

297.41:H22aA

حماد، صالح حمدي

ادب الاسلام.

297.41 .
H22aA

~~JAFET MB,~~
~~- 2 MAY 1991~~

297.41
1/22 aH
C

آداب الأساتذة

« المسامون مسوقون بنا بل دينهم الى طلب »
« ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد »
« ولا يرضيهم من ذلك ما دون الغاية ولا »
« يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم »
(الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده)

محمد صبر

(تأليف)

صالح بن محمد

﴿ ويليها رسالة الحكم النبوية وهي مائة حكمة وحكمة مختارة ﴾

(من الاحاديث الشريفة)

(مشروحة شرحاً وجيزاً عصرياً بقلم المؤلف)

﴿ الطبعة الثانية ﴾

على نفقة امين هندية

١٣٣١ - ١٩١٣

مطبعة هندية بالمويتكى بمصر

1



UNIVERSITY OF TORONTO

1



رفع الكتاب

(إلى كريم الاعتاب السنية)

أعتاب سمو ملكنا المعظم و خديونا الاكرم عباس باشا الثاني أعز الله
ملكه وأيد عادل سلطانه

بعلو جدك بسعد الدهر والى نخارك ينتهي الفخر
مولاي :

أرفع الى مقامكم السامي وأنا العاجز الضعيف هذا الكتاب
ليشرف المؤلف والمؤلف بفخر هو كل الفخار ، وشرف هو منتهي
الشرف ، وما أنا يا مولاي الا غرس النعمة وخادم تلك السدة كما كان
أبي من قبل غرس نعمة الجدة الاكبر وخادم الاباء الاكرمين وان
اختلف عملانا ، وان منتهى فخري وكل أميتي ان يحظى كتابي هذا
الصغير الكبير الذي تطلعت بوضعه في « أدب الاسلام » ديننا القويم
وروح المدينة الصحيحة بالرضا والقبول لدى مولاي ويشرف باسمه
الكريم أيد الله تعالى سمو مولاي المليك بروح منه وأعز ملكه ودولة
نهضة عصره الزاهي الزاهر وحفظ مولاي ولي العهد وسائر الانجال
الكرام آمين آمين

هذا واني لسمو مولاي الخادم الخاضع الامين

صالح حمدي حماد

ابن المرحوم حماد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مقدمة الطبعة الثانية ﴾

نعم الذخر كتاب نحرى فيه واضعه النفع العام وهو ما توخيته
بحمد الله في كل كتبي وهذا الكتاب المسمى « أدب الاسلام » احدها
على اني لا أرى في الدلالة على قيمة هذا الكتب الادبية وقد مثل للطبع
مرة ثانية على ذمة حضرة الكتبي المحترم امين افندي هندية سوى
الاتيان على كلمة سمو أميرنا المحبوب التي قالها لي مشجعاً متعظفاً حين
مثلت بين يديه الكريمين منذ خمسة أعوام وقدمت الى ذاته العلية
نسخة من طبعته الاولى حيث قال حفظه الله تعالى وأدام تأييده وتمكينه
« كنت اعهد في المرحوم والدك على ما رأيت منه وسمعت عنه
الاخلاص في كل شأنه وعمله وان لك فيه خير قدوة ومثال وانني أسر
بما قدمته وتقدمه لي ان شاء الله من هذه الآثار المفيدة واستزيدك
اجتهاداً وعناية بها وان امانك هذه الآثار العصرية لتتفع ليس فقط
بلادنا بل كثيراً من البلدان الشرقية حيث قد اصبحت بلادنا المصرية
بفضل نهضتها الحديثة وارتقاء طباعتها في مقدمة هذه البلدان ومستمد
معارفها في الادب والدين واللغة »

« ص »

القاهرة في ١٠ رمضان المبارك سنة ١٣٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منح الانسان نعمة العقل ، ووهبه مواهب الفكر ،
وخصه بالحكمة وفصل الخطاب ، والهبة التقوى والزمه كلمها ، وتعبده
بالعلم والمعرفة بذاته وصفاته والوقوف عند حدوده وأوجب عليه تحري
الادب ونشد الكمال ، وتطلب جليل الخلال وجميل الفعال ، وجعل
الفلاح مقروناً بهذا كله في الدنيا والآخرة ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد أعظم مرسل بمكارم هذه الاخلاق وأجل مبعوث رحمة
للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً .

أما بعد فهذه رسالة في « أدب الاسلام » جاءت « كقطرة » من
بحره الزاخر أنجحت لي الفرصة السعيدة من عون الله تعالى وحسن
تيسيره وتوفيقه بان ألتقطها واجمعها بين دفتي هذا الكتاب معتمداً في
استخراجها على أجلة الكتب الاسلامية والاسفار المحمدية مما يمكن
تشبيه حال صنيعي له فيه بحال ذلك الانسان الذي رأى نفسه في وسط
حديقة غناء دعته رائحة أزهارها الطيبة وشذى عطرها ومناظرها الجميلة
الى ان يلتقط من قطفها الداية فجعل يقطف زهرة من هنا وزهرة
من هناك فسالبت ان رأى في يده « باقة » من الازهار نضرة المنظر
ذكية الريح جذيرة بان تقدم الى « عروس العقول » من « عالم الادب
العصري » لاني قد جمعت فأوعت او انه قد روعى الحسن والتدقيق

في اختيار اشياها بل لانها مع ما قد راعيت فيها من الایجاز والبساطة
رتبها ونسقها كما ترى تنسيقاً « يوافق أذواقنا العصرية وقابلياتنا الزمانية
وفهمنا لآداب ديننا وما يجدر بنا العمل به منه » ولكل عصر ذوقه
ولكل جيل قابلياته ولكل مقام مقال ولكل أيام دولة ورجال .

والذي دعاني الى التطفل على وضع هذه الرسالة على هذا النمط
مع قصر الباع وقلة البضاعة انما هو ما قام بالنفس من باعث الرغبة
في خدمة « الادب العصري الحلي بشيء حي يناسبه من ادب الاسلام »
فمن ثم تكون رسالتي هذه بالنسبة الى المسلم العصري « كذاكرة » او
« مفكرة » صغيرة جلية بأداب دينه القويم وبالنظر الى غير المسلم
تكون « كأنموذج » بسيط في التعريف بالحق عن المبادئ الاسلامية
في ادب الاعتقادات والمعاملات والنظامات ثم في ادب النفوس فيما بين
الخلق وبعضهم وفيما بينهم وبين الخالق جل شأنه وعز سلطانه والاسلام
في كل هذا يرمى الى اشرف المقاصد العمرانية واسمى الغايات الانسانية
كما ستره مبسوطاً بقدر ما يناسب ما اشترطت من الایجاز في هذه
الرسالة ، ولقد قال العلامة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده هذه الجملة
بل هذه الحكمة الجليلة الكاشفة عن مرمى المبادئ الاسلامية وقد
حليت بها صدر هذا الكتاب « المسلمون مسوقون بنا بل دينهم الى
طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد ولا يرضيهم من ذلك
مادون الغاية ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم » ولا أرى
القارئ الكريم وقد اطلع على هذه الجملة الحكيمة من الامام الحكيم
رحمه الله الا سايق الى القول بأن « نعمت الغاية ونعمت الواسطة »
القاهرة في غاية محرم الحرام سنة ١٣٢٥ هـ صالح حمدي حماد

﴿ الباب الاول ﴾

(أدب الاعتقادات)

مبنى الاسلام على التوحيد - توحيد العرب قبل الاسلام - دلائل الكون المنصوبة للعقل الدالة على الصانع - الايمان بالرسول والملائكة - الايمان بما بعد الموت - تفصيل مجمل - نظام العالم دليل الصانع - نظرية حدوث العالم - هو الاول والآخر - تعالى ان يكون جوهرأ متخيذا - نفي الجسمية والعرضية - نفي الاختصاص بجهة - معنى الاستواء على العرش - الرؤبة - المعية - الصفات - القدرة - العلم - الحياة - الارادة - السمع والبصر - الكلام - قدم الصفات - افعال الله تعالى - الجزء الكسبي الاختيارى فى الانسان - نظرية تكليف ما لا يطاق - نظرية ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق - معرفة الله واجبة بامجاب الله - بعنة الرسل - بعنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - الحشر والنشر - سؤال الملكين - عذاب القبر - الميزان والصراط حق - الجنة والنار حق .

مبنى عقيدتنا معشر أهل الاسلام على التوحيد الخالص لله تعالى والقيام بتأدية العبادة له عز وجل لانه المستحق بالحق للعبادة . ومدار القرآن المجيد كله فى العقائد إنما يدور على هذا القطب وتقرير المحاجة عنه بالتى هى أحسن قال تعالى « إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو » « إنما الله اله واحد سبحانه »

« قل هو الله احد الله الصمد » « الله لا إله الا هو الحي القيوم
وقال تعالى في عبادته وحده » وما أمرُوا إلا ليعبدوا إلهًا
واحدًا « وما أمرُوا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء » وقال سبحانه وتعالى في النهي عن الشرك والمحاجة عن
الوحدانية « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » « ولا تدع مع
الله الها آخر » « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء » « لو أن فيهما آلهة الا الله لفسدتا » « قل لو
كان معه آلهة كما يقولون اذن لا يتغوا الى ذى العرش
سيلا » الى غير ذلك من الآيات الباهرات في الدلالة على
وحدانية الله تعالى ووجوب افراده بالعبادة مصداقا لقوله
تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » مما كان
متجرى الادبيات السماوية قبل ديننا والرسل الكرام في
دعوتهم قبل رسولنا صلى الله عليه وعليهم وسلم كما قال تعالى
مبيناً لذلك شرع « لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه » « وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه
أنه لا إله الا أنا فاعبدون »

ولقد كان التوحيد شائعاً في شبه جزيرة العرب قبل
الاسلام منذ عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غير أنه على
تمامى الدهور دخلت عليهم الاحداث وعبادة الاصنام
فكانوا كما وصفهم الله تعالى في القرآن المجيد « وما يؤمن
أكثرهم بالله الا وهم مشركون » فجاء الاسلام ماحياً لما كانوا
عليه مجدداً للتوحيد على أكمل الوجوه وأشرف المبادئ .
ناسخاً ما تقدمه من الاحداث والتغييرات التي شابت الدين
اخلاص بعد الرسل واضعاً مع ذلك عن الامم والشعوب
كثيراً من الآصار وأغلال التكاليف التي وضعتها في أعناقهم
التقاليد التي جروا عليها ولا غرو فالاسلام هو بالحق دين
الفطرة التي فطر الله الناس عليها وفي القرآن المجيد « ان الدين
عند الله الاسلام » « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل
منه »

ودلائل الوحدانية واثبات الصانع تعالى المنصوبة للعقل
في عالم الحس والمشاهدة من الطبيعة بحذافيرها قد نص عليها
هذا القرآن المجيد الذي يهدى للتي هي أقوم قال تعالى « الله
الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به

من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره
 وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم
 الليل والنهار وأتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله
 لا تحصوها «

وقال في خلق الانسان وتدرجه في نشأته « هو الذي
 خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم
 لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل
 ولتبلغوا أجلاً مسجياً ولعلمكم تعقلون ، هو الذي يحيي ويميت
 فاذا قضى أمراً فإنا نقول له كن فيكون «

وقال في الارض والجبال والليل والنهار وما أشبه ذلك
 « ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً
 وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا
 فوقكم سبعة شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات
 ماءً ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً «

وقال في آية أخرى ان في خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
 الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخرين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون «
 والآيات في القرآن المجيد على هذا النمط من التنبيه على
 عظمة الخالق تعالى والتنويه بتفردہ باخلق والانشاء والابداع
 واسباغ النعم على الخلق أكثر من أن تحصى والله ما أجمل
 وأنعم تلك الدلائل الكونية العظيمة منها والدقيقة المنصوبة
 للعقل البشرى والتي يصادفها الانسان أني تأمل وحيثما أجال
 نظره شاهدة ناطقة بتفرد الله تعالى بصفات الجلال والكمال
 والقدرة العظيمة حتى لقد صرخ ذلك العربي القح إذ سئل
 ما الدليل على وجود الصانع تعالى فقال « ان البعرة لتدل على
 البعير فسماء ذات أبراج وأرض ذات جبال لا تدل على صانعها
 القدير ! »

وقال تعالى أيضاً مما يشبه ما سلف ويجب على كل مسلم
 تدبره وتفعله كله واستخدام وسائل العلوم الكونية لاستكناه
 أسرارہ العجيبة لانه هو وأمثاله الكثيرة المودعة بطن كتابنا
 العزيز مطلوب لنا دينياً فضلاً عن نفعه وثمرته دنيوياً « الله
 الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش

وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر
 يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنوا ، وهو الذي مد
 الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون ، وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب
 وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
 بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون «
 وجاء في آية أخرى « ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم
 اذا انتم بشر تنثرون ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
 أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
 لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض
 واختلاف السننكم واللوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن
 آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ان في ذلك
 لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً
 وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك
 لآيات لقوم يعقلون ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره
 ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون «

فترى من هذه الآيات الجليلة وأمثالها الكثيرة في القرآن المجيد ما يبرهن اجل برهنة على وجود الخالق العظيم ووحدايته تعالى وجميل صنعه وتصرفه في خلقه بالتدبير المحكم وان للعقل الذي وهبنا إياه وتعبدنا به حقه لان يستخدم ويستعمل ثم^(١) وعندى أن هذا الضرب من العلم أجل وأشرف العلوم التي يجب أن يعتمد عليها في المدارس الاسلامية الدينية بمقدار ما يذلل من صعاب تلك العلوم الفقهية واللغوية التي ينبغي أن يجرى فيها بما يناسب الزمان وأذواقه تصنيفاً وتعليماً بهذا يأخذ العقل والفكر الاسلامي قسطه من الانطلاق المطلوب له في الآيات القرآنية الأثفة الذكر وأن لا يحجر عليه ذلك الحجر الذي أوجدته التقاليد

(١) قال الشافعي رحمه الله في رسالة الفقه الاكبر « اول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال الى معرفة الله تعالى ومعنى النظر هو فكر القلب والتأمل في حال المنظور فيه طلباً لمعرفة به يتوصل الى معرفة ما غاب عن الحس بالضرورة وهو واجب في أحوال الدين لقوله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر وقوله فاعتبروا يا أولى الابصار وقل انظروا ماذا في السموات والارض ثم استطرده فيما يرمى اليه من النظر في العالم ذلك الاسم الجامع لما سوى الله تعالى من خلقه اه مؤلف

السالفة بين متن وشرح وحاشية وتقرير وما أردأها من
 أساليب معيبة لا توافق مناهج العصر ولا ما تقتضيه أحواله
 الارتقائية الا اذا رضينا بالعودة والاخلاد الى أرض الانحطاط
 والتقهقر الذي يبرأ منه ديننا ويجب نفض غباره عن أنفسنا
 وسيأتي في آخر هذا الكتاب كيف يتطلب أدب النفس مع
 الباري تعالى اطلاق الفكر والتفكير والتدبر في مصنوعات الله
 تعالى للتقوى في الدين والدنيا مما لا يتوصل اليه الا باستخدام
 العلوم الطبيعية والاجتماعية الادبية

وبعد الايمان بالله سبحانه وتعالى والاقرار له بالوحدانية
 والتصرف والقضاء بالتدبير الجميل في الخلق وعدم الاشراك به
 تعالى ينبغي الايمان بالرسول رسل الله والملائكة الكرام والكتب
 السماوية كما نص عليه تعالى في محكم هذه الآيات « آمن
 الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
 وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا
 سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير »

ولما كانت الدنيا ليست بالدار ذات الخلد والقرار بل هي
 كما جاء في الحديث الشريف مزرعة الآخرة تلك الدار الباقية

حيث الحياة الابدية حيث السعادة السرمدية والنعيم المقيم ،
 حيث الحياة بأشرف كالاتها ومعانيها . كما يقول به ويعتقده
 الكثير من بني البشر خصوصاً أصحاب الاديان السماوية
 والاسلام في مقدمتها كما نطقت به آيات القرآن الكثيرة فلهذا
 وجب الايمان فيه والاعتقاد بما بعد الموت من الجنة والنار والحشر
 والنشر ، فالجنة للمؤمنين بالله ورسوله العاملين بما أمروا به
 وكلفوه في هذه الدار من الاعمال الصالحة والتكاليف الواجبة ،
 والنار مثوى للكافرين العاصين المخالفين لأوامره ، وان هناك
 حساباً وميزاناً يحاسب العبد بهما (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً
 يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) والآيات في القرآن الكريم
 والاحاديث في هذا كثيرة ولتفصيل هذا الاجمال أقول

كل امرئ عاقل أنار الله بصيرته وجلا صبدأ فكره
 وثقف بالعلم الصحيح ليه لا يفوته عند التأمل الدقيق والتدبر
 الحسن في نظام هذا العالم ومعجائب الصنع في الكون المكشوف
 للقلوب والبصائر كما هو مكشوف للأعين والابصار فيما حوى
 من سموات وأرضين وحيوان ونبات ومعدن وشعوب مختلفة
 وقبائل انسانية متباينة على ظهر كرتنا هذه الارضية الحفيرة

التي هي بالنسبة الى الكون أو ملكوت الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كخلفة ملقاة في فلاة » ان هذا « الخلق » العجيب والصنع الجميل لا بد له من خالق عظيم وصانع حكيم صنعه وهو يدبره أحسن التدبير ، وهذا الصانع الكريم في اعتقاد أهل الاسلام هو « الله » سبحانه وتعالى فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة وقد دل على نفسه بنفسه وأنبأ عن ذاته وصفاته بالنظر الينا معاشر المسلمين في القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم نبي الاسلام والذي أرسله رحمة للعالمين فضلا عما سلف في نبوة الانبياء والكتب الماضية وعما غرسه تعالى في الفطر الانسانية السليمة^(١) لترى الدلائل المنصوبة في العالم نفسه وان هذا العالم « حادث » يرجع الى « محدث » لعدم الاستغناء عنه وبرهان حدوث العالم أن أجزاء هذا العالم إما متحركة أو غير متحركة والحركة والسكون قد يعلم بالبداهة حدوثهما كما يعلم كذلك أن ما لا يخلو من الحوادث

(١) كان للامم الحكيمة القديمة كالليونان ونحوهم هدايتها في معرفة

الصانع تعالى بطريق الرياضة العقلية . راجع رسالة الفوز الاصغر لابن مسكويه ونحوها

فهو مثلهما في الحدوث فالعالم اذن حادث ومحدثه بالاتفاق عند
 أهل الاديان السموية ومن نحن نحوم هو الله تعالى كما قال
 تعالى مشيراً الى ذلك من اعترافهم (ولئن سألتهم من خلق
 السموات والارض ليقولن الله)

واذا كان هذا العالم العظيم الصنع حادثاً فلا ريب أن الله
 محدثه تعالى قديم أزلي لا بداية له . وبرهانه انه لو كان حادثاً
 لاحتاج الى محدث واحتاج محدثه الى محدث وهلم جراً وما
 تسلسل من الحوادث فلا بد من الانتهاء به الى محدث قديم
 هو الاول ، في الحديث الشريف (كنت كنزاً مخفياً فأحببت
 أن أعرف نخلت الخلق في عرفوني) فالله تعالى قديم لا بداية
 له وما حوادث الكون في تسلسلها وارتباطاتها معها عظم قدمها
 ومهما قيل في كيفية خلقها الا وتنتهي الى مبدعها الاول الله الذي
 أنشأ النشأة الاولى واليه ترجع النشأة الآخرة لان ما وصف
 بالقدم المطلق استحال عليه العدم البتة فالله سبحانه كما لا أول
 له فهو كذلك لا آخر له بل هو تعالى كما وصف نفسه في
 الكتاب العزيز (الاول والآخرة والظاهر والباطن) تفسي
 الحوادث والموالم وهو باق أزلياً سرمدياً تقدس في علاه

وهو تعالى ليس بجوهر متخيز لان الجواهر المتخيزة كما
قال جماعة المتكلمين مختصة باحيائها ولا تخلو من أن تكون
ساكنة فيها او متحركة عنها وما لا يخلو من الحوادث فهو
حادث ، ولو تصور متخيز قديم لتصور في العقل قدم جواهر
العالم . على ان من سماه تعالى جوهرًا ولم يرد به الجوهر المتخيز
لا يكون مخطئاً الا من حيث اللفظ دون المعنى

واذا كان الله سبحانه وتعالى ليس بجوهر متخيز فمنه يعلم
بالضرورة انه ليس « بجسم » لان الجسم مؤلف من جواهر
مترتبة وما كان مركباً احتاج الى حيز والى اجزاء قابلة للاقتراق
والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه كلها من
صفات الحدوث في المخلوقين فصانع العالم اذن ليس بجسم
واذا كان تعالى ليس بجسم فيكون بالاولى ليس بعرض
حال في جسم كذلك لانه اذا كانت الاجسام محدثة لما تقدم
من تركيبها وافتقارها الى الاحياز فالاعراض القائمة بها يعلم
بالضرورة حدوثها بل هي اخرى بان توصف بصفة الحدوث
من الاجسام القائمة هي بها والله تعالى خالق الاجسام
والاعراض ومبدع دقائقها ورقائتها من المركبات والبسائط

واليه تعالى مرجع القوة فيها جميعاً ما ظهر منها وما بطن
ثم انه تعالى منزه الذات عن الاختصاص بجهة من
الجهات لان الجهة إما فوق واما تحت واما عن اليمين واما عن
اليسار واما أمام واما خلف والجهات محدثة مخلوقة بواسطة
خلق الانسان بكيفية ان له طرفين يعتمد باحدهما على الارض
التي تقبله وهما رجلاه والطرف الاخر يتقابل به وهو الرأس فحدث
الانسان اسم الفوق لما يلي ناحية رأسه وخصص اسم التحت
لما يلي قدميه الى آخر ما اصطلح عليه في ذلك وبهذا الاصطلاح
يكون مثلاً اهل نصف الكرة الارضية التي تقابلنا مسمين أبدأ
فوقاً ما نسميه نحن تحتاً وكذلك يخالفوننا في تعيين الجهات
الاربع بحسب الاوضاع . فمن ثم نعلم حدوث الجهة وتعيينها
اصطلاحاً وما كان كذلك فالله تعالى منزه أن يتخصص بناحية
منه ولو كان الانسان خلق مستديراً كرى الشكل لما كان
لهذه المسميات وجود البتة بالنظر اليه كالكرة الارضية
وكالكواكب السابحة في فضاء الله العظيم من السموات . فالجهة
محدثة بهذا الاصطلاح والله تعالى ارفع من أن يختص بجهة
حادثة اصطلح عليها محدث بالتميين والتخصيص والله تعالى يقول

« فأين ما تكونوا فتمَّ وجه الله » بالمعنى المقصود له تعالى من القرب والتقريب الى العباد على ان ما جاء في أدب الاسلام من رفع الايدي في الدعاء الى السماء فهو أبداً للتعظيم والرفعة ولان الله تعالى فوق عباده بالسلطان والعظمة ولان السماء المكشوفة اسكان الارض الضعفاء مشهد من مشاهد ملكوت الله تعالى مصدر الرحمت والفيوضات العظيمة. أما تولية الوجوه في الصلاة شطر الكعبة بيت الله الحرام ، بيت الخليل ابراهيم عليه السلام فللتقريب والتسهيل في التعمين أيضاً ولان الكعبة « أول بيت وضع للناس مباركا » فاختارها النبي صلى الله عليه وسلم قبلة له وارضى الله بها عباده المسلمين

أما مسألة الاستواء على « العرش » التي نص عليها الكتاب المجيد « الرحمن على العرش استوى » فليس المراد بها كما قال أجلة علماء السلف وبالمعنى الذي اراده الله تعالى انه استواء استقرار وتمكن يلزم منه الجسمية لذات الله تقدس وتنزه في علاه لانه محال وانما هو استواء قهر واستيلاء كالمفهوم من قوله تعالى في آية الكرسي « وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم »

ورؤية الله تعالى في الدنيا غير مقول بها لقوله تلك
« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » وقوله تعالى في
خطاب موسى عليه الصلاة والسلام « لن رآني » وان كانت
الرؤية جائزة عقلاً بغير تعيين جهة او صورة لانه اذا كان تعالى
ليس مختصاً بجهة فبالضرورة جازت الرؤية عقلاً كذلك من
غير كيفية ولا صورة او جهة . أما مسألة المعية بحق الخلق
« وهو معكم أينما كنتم » فتعتقد اسلامياً مع نفي الاينية الجسمية
او الحلول بحقه تعالى لان قربه تعالى ليس كقرب الاجسام قال
الشيخ محمد المغربي الصوفي الشاذلي هذه الحكمة العالوية في
المعية قال « معيته تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء
كلها ثابتة في علمه أزلاً يقيناً بلا بداية لانها متعلقة به تعلقاً
يستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير
معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه
تعالى بعد ان لم يكن . وكذا ان معيته أزلية كذلك هي أبدية ليس
لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عيناً على وفق
ما في العلم يقيناً وهكذا يكون الحال أينما كانت في عوالم بساطتها
وتركيبتها وازادتها وتجريدها من الازل الى ما لا نهاية له »

هذه هي أمهات الباب في أدب الاعتقاد بالنسبة الى ذات الله تعالى القدسية من الوجود والوحدانية والقدم والبقاء ومخالفة الحوادث بمجزة أما ادب الاعتقاد الاسلامي بالنظر الى الصفات صفات الله تعالى القدسية فأولها الاعتقاد « بالقدرة » للصانع العظيم والمدبر الحكيم، وهذه الصفة من القادر والقدير والخالق والمبدع والمنشى والمعيد الخ كلها طامح بها القرآن المجيد، وبرهان القدرة قدرة الله تعالى العظيمة من العقل ان العالم محكم الصنع متقن النظام لان من رأى حديقة منسقة الفراس مرتبة الشجر منظمة المسالك وتوهم صدورها من غير ناطور (بستاني) ماهر حاذق في فنه وبعبارة أخرى من غير قادر على ترتيب ذلك بمهارة وعقل كان منخلعاً عن غريزة العقل نفسه منخرطاً في سلك اهل الجهل والغباوة

ثم الاعتقاد « بالعلم » علم الله واحاطته تعالى بجميع المخلوقات علماً فلا يعزب عن علمه تعالى مثقال ذرة في الارض ولا في السماء والقرآن كله ناطق بان الله عز وجل محيط بجميع المعلومات لا يعزب عن علمه شيء دق أو جل خفي أو ظهر لا في الارض ولا في السموات العلى فالله بكل شيء عليم ولقد جاء من بين

الآيات القرآنية الكثيرة في علم الله هذه الآية على طريقة الاستفهام التعجبي استهزاء بعقول بعض الجاحدين « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » وفي الآية الارشاد الى الاستدلال بالخلق على علم الله تعالى إذ لا ريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المتقن المزين بالترتيب ولو في الشيء الخبير الضعيف على عظيم علم الصانع بكيفية الترتيب والاتقان والاحاطة بكل شيء .

وفي كل من صفة القدره والعلم ما يدل بالضرورة على صفة « الحياة » له تعالى لانه لا يتصور صدور القدرة والعلم والخلق والابداع عن غير حي كما لا يتصور مثلاً من انسان أنه قادر وعالم وفاعل بلا حياة وهو مالا يقول به عاقل أو يتصور في عقل انسان

« الارادة » من صفات الله تعالى فهو « المبدئ المعيد الفعال لما يريد » فلا موجود الا وهو موجود بمشيئته و ارادته وحكمته وكيف لا يكون مريداً مختاراً وكل فعل يصدر منه تعالى أمكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة صالحة للضدين والوقتین

فلا بد من الارادة الصارفة الى أحد المقدورين ولو أغنى العلم
 عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت
 الذي سبق العلم بوجوده لجازان يعني عن القدرة لانه يقال
 وجد بغير قدرة لسبق العلم به وليست ارادة الله في السنن
 الكونية بالتي هي كالتي للخلق من حيث انفاذ امر والمدول
 عنه إذ ذلك محال بحق الله تعالى واجب الوجود لان هذا من
 توابع حاجات البشر وتقصيرهم في العلم عن الكمال فتتغير الارادات
 بحسب ذلك من البواعث .

« السمع والبصر » من صفات الله تعالى التي وصف بهما
 سبحانه وتعالى نفسه في الكتاب العزيز في آيات كثيرة « اتي
 ممكماً اسمع وأرى » « وكان الله سميعاً بصيراً » « ليس كمثله
 شيء وهو السميع البصير » فالله تعالى سميع بصير لا يعزب عن
 رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن
 سمعه ديب أصغر الميكروبات التي لا تراها عين الآدميين
 فضلاً عن سماع حركاتها في غدواتها وروحاتها ، واذا كان من
 كمال الخلق السمع والبصر فكيف لا تكون صفة هذا الكمال
 للخالق العظيم تعالى على ما يناسب كماله بلا جارحة ولا أعضاء .

ومن الصفات الواجب اعتقادها بحق الرب تعالى «الكلام»
وهي صفة قائمة بذاته العملية لا تكون بصوت ولا بحرف وبرهان
كلام الله تعالى ظاهر من الوحي الى الانبياء وخطابهم بالرؤية
مصدقا للآية الشريفة « ما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء »
وبرهان الكلام على تلك الصورة « وكلم الله موسى تكليماً »
« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » « فأوحى الى عبده ما أوحى »
ولا يشبه كلام الله تعالى بهذا المعنى كلام المخلوقين كما لا يشبه
وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وما قطعت
الاصوات والحروف بحق المخلوقين الا لضبط الكلام بحسب
الاصطلاحات وسهولة الدلالات كما قد يدل عليه بالاشارات
والحركات .

وكل من الكلام القائم بالذات وجميع الصفات التي سبقت
لله تعالى قديمة كذاته تعالى لانه يستحيل ان يكون محلاً للحوادث
لما تقدم من ان محل الحوادث حادث بل هو تعالى لم يزل في
قدمه تعالى موصوفاً بمحاسن الصفات ولن يزال في أبده منعوتاً
بنعوت القدم والجلال منزهاً عن تغير الحالات وكذا علمه تعالى

قديم فانه لم ينزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه في مخلوقاته بالعلم
الازلي والقدرة الازلية والارادة أي المشيئة الازلية المتعلقة
باحداث الحوادث وفق سبق علمه الازلي بها .

واذ قد انتهيت من بحث الصفات فلا أنتقل الى أدب
ما يجب اعتقاده في الاسلام بخصوص أفعال الله تعالى فاعلم
يا هداك الله أن كل ما يحدث في العالم عالم الكائنات فهو فعله
تعالى وخلقته واختراعه لا خالق له سواه ولا يحدث في الحقيقة
الا اياه وكذا القدرة التي للعباد مخلوقة له تعالى وكذا حركاتهم
وسكناتهم متعلقة بقدرته كما قيل « الحركة والسكون بيد الله »
وفي الآيات القرآنية برهان هذا ومصداق أمره قال تعالى
« الله خالق كل شيء » وقال جل شأنه « والله خلقكم وما
تعملون » ومن هنا تعلم ان انفراد الله تعالى بمخلق حركات العباد
لا يخرج ما لهم من « عمل » أو ما يجب اعتقاده منه فيهم لدلالة
الآيات القرآنية الكثيرة عليه وان فينا ذلك « الجزء الكسبي
الاختياري » الواقع في افعالنا وارادتنا الذي وقعت عليه
التكاليف والذي خوطب البشر وادينوا به وجوزوا عليه الجزء

الحق بمقتضى الشرائع من تعبدية وتعاملية كما وعدوا عليه الجزاء
الآخروي ، وهذا الجزء الاختياري في افعالنا عظيم مبناه على
العقل البشرى المستمد نوره من نور الله ومصداقه من القرآن
كثير فهو من جهة خلق للرب ومن جهة آخري كسب أى
فعل للعبد وتفرد الله بعلم ما هو كائن له منه فقدره العبد خلق
للرب كسب للعبد وكذا الحركة والاختيار الواقعان منه وأنت
إذا تأملت هذا جيداً ترى أن الاسلام أو بمباراة آخري المبدأ
السنى منه قد كمل أدبه بهذا الاعتقاد وأعتدل قوله وخلص
مبدؤه بالنظر الى أفعال البشر فلم يدخل في « الجبر ، المحض كما
قال به » الجبرية ، القدماء ومن اهل الاسلام ايضاً كما لم يقل
بمبدأي « المعتزلة ، القدرية أولئك الفلاسفة الاسلاميين
الذاهبين الى أن البشر إنما هم الذين يحدثون أفعالهم واراداتهم
وليس لله فيها من أثر البتة فمن ثم وقف المبدأ السنى بين بين
حتى يخرج من شناعة أهل الجبر فيما ذهبوا اليه وجرأة الفلاسفة
الاعتزاليين فيما تجرأوا به على الله تعالى ويوفق بين الآيات الدالة
على تصريف الله في عباده بما شاء وشاء مبدأ الخلق له تعالى
وفق العلم الأزلى وأمر التكليف في الاعتقادات والعبادات

والشرائع وتزكية النفوس والجزاء بالثواب والعقاب الاخرويين
 خصوصاً في مقابل الطاعات وفي مقابل الذنوب .^(١)

ففعل العبد على مقتضى هذا المبدأ السني المعتدل وان
 كان كسباً للعبد الا أنه في الحقيقة لا يخرج عن كونه بقضاء
 الله تعالى وسابقاً في علمه تعالى للجزم في العقيدة عقيدة أهل
 السنة والجماعة بأن ما يجري في الملك والملكوت إنما هو بقضاء
 الله وقدره وعلمه فمنه تعالى الخير ومنه تعالى الشر ما شاء كان وما
 لم يشأ لم يكن وهو معنى دقيق طالما زلت فيه أفهام وحارت
 عقول على ان الآيات ناطقة به صريحاً فما عصى عاص ولا
 اهتدى مهتدي الا بتوفيق الله تعالى وهدايته وسابق علمه فيه
 وان كانت سبل الهداية قد بينت من قبله تعالى للجزاء عليها
 بحق المهتدين كما بينت طرق الغواية والشرور لتجنبها بحق
 الضالين والله تعالى في خلقه شؤون وتصاريف تعجز عن كنهها
 عقول القاصرين مع ان هناك آيات ناطقة به « ولو شاء ربك
 لهدى الناس جميعاً » « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة »

(١) حكى في الصدق الامام ابن تيمية اقوالاً نفيسة في رسالة شرح
 حديث أبي ذر كما فصلها غيره من الأئمة أيضاً أحسن تفصيل اه مؤلف

بيدانه مهما كان من هذا المبدأ الاعتقادي فليس للانسان وهو المكلف في حد ذاته إلا أن يعمل لما فيه الخير ليوافق مراد الله تعالى لعباده منه كما نطقت به آيات اخر قال تعالى « قد افلح من زكاهها وقد خاب من دساها » (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « فاستبقوا الخيرات »

وقال تعالى في خطاب المؤمنين لملازمة التقوى « يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ، وآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقال تعالى في آية اخرى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فقد وقع اجره على الله) والآيات في المعنى كثيرة .

ومن كمال الادب في الاعتقادات الاسلامية السنية أن يعتقد أن الله تعالى كما قد تفضل بالخلق وتفرد بالانشاء تطول كذلك بتكليف العباد وتعريفهم طريق هدايته ولم يكن الخلق ولا التكليف واجباً عليه البتة كما ذهب اليه المعتزلة

وانما وجد للسابق في علمه الازلي وحكمته العظيمة ومشيدته
الكريمة وانه يجوز لعموم التكليف الذي تفضل به تعالى لمصلحة
العباد انفسهم أن يكلف العباد مالا يطيقون وبعبارة اخرى
ملاحظ لهم من توفيقه وهدايتهم لهم فيه للسابق في علمه تعالى
بحق بعضهم ولنا برهان ذلك في ابلاغ رسوله الكريم صلى الله
عليه وسلم أن أبا جهل لا يصدقه ولا يؤمن به ثم أمره إياه
بان يأمر أن يصدقه ويؤمن بالله العظيم . وليس هذا في شيء
من معنى الآية الكريمة القرآنية (لا يكلف الله نفساً
الا وسعها)

ومن تمام هذا الادب في الاعتقاد عند أهل السنة
والجماعة اعتقاد جواز أن لله تعالى إيلام الخلق وتعذيبهم من
غير جرم سابق ولا ثواب لاحق لانه متصرف في ملكه ولا
يعد المتصرف في ملكه ظالماً كما شاغب به المعتزلة في مقولاتهم .
هذا هو مبدأ (الجواز) الواجب التسليم به اعتقادياً غير أن لله
تعالى في مقابله مع ذلك الرحمة غير المتناهية كما قد نطقت به
الآيات ودلت عليه الآثار بل أرشد اليه العقل السليم لان
أفعال الله كلها مبنية على الحكمة التي تقصر دونها عقولنا وعلى

العدل والرحمة فهو تعالى لم يتفضل بالخلق عبثاً ولا كلفهم من التكاليف بحسب المقصود بها هنا فوق طاقتهم ووعدهم بالثواب على الحسنات العملية أضعافاً مضاعفة وتوعد بالعقاب (وجزاء سيئة بمثلها)

وهو تعالى مع ما غرز في عقولنا وأمرنا به من العمل لمصلحتنا بمعوته وتوفيقه في حياتنا أثاب على ما قد نبغى به من المحن والآفات والأمراض وأرشد العقول وهدى القهوم الى الوسائط العلية والعملية لدرئها وازالتها مع التزام (الصبر) والتدرغ بالاناة والاطاعة لامره وحكمته وقضائه وقدره في الاحوال السيئة حسياً ومعنوياً بلا تسخط ولا تضجر حتى لا يحبط أجرنا وننال الثواب العظيم ثواب « الصبر » وجزاء الذي بشر به في قوله تعالى « وبشر الصابرين » ولهذا المبحث بقية سترد في آخر هذه الرسالة

والقرآن المجيد والسنة البيضاء كلها ملأى بهذا وأمثاله الكثيرة فالله تعالى لا يضيع عمل عامل ولا جزاء صابر ولا يخل بمعونة المستعين به على الخير اللاجئ الى بابه المستروح بامداده ولتمام الرحمة الصمدانية جعل أن لا يعذب الا بعد البلاغ وتمام

الرسالة ، وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ، كما قد قيد
الاهلاك وازالة الامم بالتزام الفساد والاسراف في الامور أو
عدم الصلاح للخلافة الارضية (وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم وأهلها مصلحون) و(ما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون)
ومعرفة الله تعالى واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه وبالعقل
فيما يقتضي الاستدلال المنصوص عنه شرعاً لا بالعقل فقط كما
هو مذهب المعتزلة لان العقل وحده لا يؤدي الى التصديق
بالله وبشرائعه بمفرده وأنت بأدنى تأمل في احوال الامم
واختلافها في التقاليد والمعتقدات تر أن العقل لا يؤدي في
الغالب الا الى السبل المتفرقة وان عرف الصانع فمن ثم بعث
الله تعالى النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين للحكمة البالغة
وسبق العلم الازلي بان لا صلاح للعالم الا بهذا لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل ، ومع اختلاف الشرائع وطرق تأدية
العبادة التي جاء بها الرسل ونحوها فان مبدأ الاعتقاد الذي أتى
به الجميع واحد من حيث التوحيد وعدم الاشرار بالله وتزيهه
تعالى وتقديسه وهو أعظم العبادة المطلوبة بل هو الاصل في
النجاة الاخرية وهذه العبادة وما يتبعها من مراعاة الشرائع

والعمل بها بحسب المقتضيات الزمانية لم يكن شيء من ذلك
البتة الا في مصلحة البشر انفسهم لان الله تعالى غني عن
العالمين لا ينتفع بعبادة عابد ولا يضره كفر كافر ، فالرسل في
البشر كالاطباء لانه كما احتاج الناس الى الاطباء لتطبيب
ابدانهم وسلامتها من العطب احتاجوا كذلك وعلى شكل أعظم
وأشرف الى اطباء النفوس من الرسل والنبیین لان أمراض
النفوس شر من أمراض الابدان وهذا لا ينافي هداية العقول
البشرية التي جعلها الله لها لانها معرضة للخطاء والضلال وهي
تتمس الحق لجهلها به فمن ثم احتاجت الى مرشد سموي
يربها الهدى هدى والضلال ضلالا وبعد هذا الارشاد وذلك
النبیین تصير غير معذورة بل تصير مسؤولة فيما أرشدت اليه
في مصالحها الدنيوية والديوية

واذ كانت بعثة الرسل جائزة ولازمة كما هو مبين باكثر
من هذا في كتب العقائد ومحقة بمن بعثهم الله تعالى من
الرسل السابقين والانبياء المتقدمين وقد قامت البراهين والحجج
على صدقهم وبالاستمداد من انوار شرائعهم استفادت الامم
مؤمنة وغير مؤمنة ، وإذ كان هذا الامر أمر بعثة الرسل

جارياً في سنن الخليفة ومسلماً به لدى الآدميين في الجملة بالذي
 يجب اعتقاده بحقهم على ما هو مفصل في كتب العقائد ، وإذ
 كان لكل شيء عند الله وقته وللسابق في علمه تعالى من حاجة
 البشر وافتقارهم الي تجديد الاصلاح ونصب أعلام التوحيد على
 أمث من أساس في الوقت الذي أرادته واختاره سبحانه وتعالى لهذا
 بعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف
 المرسلين بشريعة الاسلام محمياً للايمان منادياً بالاسلام في
 الزمن الذي انتقاه والوقت الذي اختاره مؤيداً بالحجج البالغة
 والمعجزات الباهرة ولا سيما معجزة القرآن المجيد الذي بين فيه
 حقيقة الايمان وهداية النفوس باحسن الاقوال واشرف المبادئ
 الادبية والاجتماعية واصول التوحيد بمقتضى قواعد عامة تصاح
 لكل زمان ومكان فلما جاء الرسول بهذا ولما قام من بشارات
 الانبياء السابقين به لهذا لزم الخلق تصديقه والايمان بما جاءنا به
 من عند الله للفوز بالسعادة الحقيقية الابدية على نحو ما بشر الله
 به المؤمنين الذين يستمعون القول من عند الله فيتبعون أحسنه
 ولا أحسن ولا أشرف ولا أوسط في اعتبارنا معشر المسلمين
 مما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فرسالة هذا النبي

الكريم والرسول السند العظيم جاءت نعمة عامة من الله تعالى
كما قال سبحانه وتعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »
« وأرسلناك للناس بشيرا ونذيرا »^(١)



أما السمعيات الواجب الاعتقاد بها وتصديقها من حيث
الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع ومعناها الاعادة بعد الموت
فهو في العقل ممكن لانه من مقدور الله تعالى ولان فيهما الجزاء
الحقيقي والحياة الصحيحة بعد مجاوزة عقبتها من الموت قال تعالى
« كما بدأنا أول خلق نعيده » وقال تعالى « قال من يحيي العظام
وهي رميم قل يحييها الذي انشاها أول مرة » وقال عز من قائل
« ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة »^(٢)

ومن السمعيات الواجب التصديق بها سؤال الملوك
في القبر فقد وردت به السنة وهو ممكن في نفسه إذ ليس

(١) راجع في الفضائل الشفا للقاضي عياض وبالنسبة لتقرير امر
الرسالة الجواب الصحيح لابن تيمية اه مؤلف (٢) راجع تفسير
الرازي والفصل لابن حزم في مسألة الحشر والنشر والاعادة الخ
اه مؤلف

يستدعي ذلك غير اعادة الروح الى جزء من اجزاء البدن التي يفهم بها الخطاب وعدم سماع الاحياء للسؤال هو كما لا نرى من النائم غير سكونه بظاهره مع انه قد يكون مدركاً بباطنه لآلام وللذات قد يحس بها ويشعر عند تنبهه ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يرونه ولا يسمعون كلامه .

وعذاب القبر حق وقد جاء في الحديث : القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، ولا يمنع منه تفرق اجزاء البدن مثلاً في بطون السباع وحواصل الطير ونحو ذلك إذ المدرك للذة أو ألم العذاب من الانسان إنما هو جزء يعلمه الله من نفس الانسان

والميزان حق ويجب التصديق به . قال تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، وقال عز من قائل : فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه الخ ، وكذا الصراط يجب التصديق به لورود الخبر به أما صفة وصفة الميزان فما لا يعلم حقيقتها الا الله تعالى .

ويجب التصديق بالجنة والنار وانهما مخلوقتان قال تعالى

« سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
 أعدت للمتقين ، وقال تعالى « ومشوى الكافرين النار ، والآيات
 في الجنة والنار والجزاء بهما على الاعمال إن خيراً فالجنة وبعيها
 وإن شراً فالنار وسعيرها كثيرة وكذلك الاحاديث للترغيب
 والترهيب « ذلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده
 والعاقة للمتقين ، ^(١)

(١) راجع على هذا الفصل تفسير الرازي واحياء الغزالي
 والاقتصاد في الاعتقاد له اه مؤلف



﴿ الباب الثاني ﴾

(أدب العبادات)

العبادات - الطهارة - اقسام الطهارة - الوضوء - الغسل -
 التيمم - طهارة الثوب و اجزاء البدن - النظافة من الايمان - الصلاة
 عماد الدين - خمس صلوات كتبهن الله - عدد الركعات و اوقات الصلوات -
 اركان الصلاة - المندوبات تسبيح الركوع و تسبيح السجود - القنوت -
 مكروهات الصلاة - فريضة الجمعة - النوافل - الاذان و الجماعة -
 روح الصلاة - فرض زكاة الاموال - على من تجب الزكاة و مقدارها -
 مقدار زكاة النعم - زكاة الزرع - لمن تصرف الزكاة زكاة الفطر - الاوقاف
 و الجبوس - الصوم و فضله - لوازم الافطار - سنن الصيام - آدابه
 الجميلة - ذكرى البيت الحرام - اركان الحج - فضل الحج - زيارة
 قبر النبي صلى الله عليه وسلم - القرآن المجيد - ادب تلاوته الذكر
 و الدعاء و الصلاة على النبي .

قال الله تعالى : وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون ،
 فعبادة الله تعالى في شريعة الاسلام فرض على كل مسلم عاقل
 و هي تتركب من معتقد و قد تقدم بيانه و افعال إما بدنية و إما
 مالية و كلها راجعة الى فائدة البشر و مصلحتهم أنفسهم إذ الله تعالى
 أجل و أعز من أن تقيده عبادة عابد أو أن يضره كفر كافر
 كما سبقت الاشارة اليه و إنما مرجع الفائدة و المضرة الى الناس

بل الحكمة في العبادة وأسرارها الالدية التي هي روحها وقوامها
ترجع كلها الى الخلق من ثوب وعقاب وقرب وبعد كما قد
نطقت به الآيات القرآنية والآثار النبوية .



وتبدأ بالطهارة أى نظافة أجزاء البدن من النجاسات
والاقتدار بالماء الطاهر للدخول في العبادة من الصلاة التي هي
أهم أركان العبادة وعماد هذا الدين لان ذلك تزيين للظاهر
ولان من يدخل في حضرة الملك يجب عليه أن يكون نظيف
الظاهر فكذلك الله تعالى ملك الملوك فان من يقف بحضرة
وبين يديه في الصلاة لا بد له من أن يدخل هذا المدخل
ويقف ذلك الموقف نظيفاً طاهر الظاهر كما يدخل نقي الباطن
مخلص القلب « والله يحب التوابين ويحب المتطهرين »
والطهارة عندنا معاشر أهل الاسلام تنقسم الى طهارة
« خبث » وهي طهارة بدن المصلي وثوبه وكان صلواته من
أعيان مستقدرة ، وطهارة « حدث » وهي طهارة البدن من
أحوال اعتبارية تسمى احداثاً يعتبر قيامها في بدن الانسان
عند حدوث أمور مخصوصة، وهي تنقسم قسمان طهارة صغرى

وتسمى «وضواً» وكبرى وتسمى «غسلاً» والتيم بالصعيد الطيب من التراب أو ماني حكمه يقوم حكماً مقام الماء في إباحة الصلاة لضرورة كما سيأتي بيانه بعد ، ففتاح الصلاة الطهور وهي لا تقبل الا به كما في الحديث الشريف «لا تقبل صلاة بغير طهور» والحديث الآخر «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ»

والوضوء كما تراه مبسوطاً في كتب الفقه^(١) منه فرض ومنه سنة ، فالفرض بعد التسمية ما ذكر الله تعالى في الآية المتعلقة بالوضوء من الكتاب العزيز «يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين» وما بقى من المضمضة والاستنشاق والاستنثار والتكرير ثلاثة والاسباغ فسنة . والوضوء ركن من أركان الصلاة وهو لا يقع الا في الحدث الأصغر من مثل خروج خارج من أحد السبيلين عيناً كان أو

(١) كتب الفقه بحسب المذاهب الاربعة عندنا كثيرة في كل مذهب قرر أمته وعلماءه في قروع العبادات والمعاملات الامور الكثيرة وكلها لا تختلف عن بعضها والبعض الا اختلافاً يسيراً اه مؤلف

ريحاً وباقي النواقض الموجبة لتجديد الوضوء خروج دم أو
قيح أو قيء ملء الفم أو النوم مضطجماً أو مستنذاً إلى آخر
ما تراه مستوفي الشرح في كتب الفقه الاسلامي ، وللوضوء
فضائل ومزايا جليلة حتى لقد يستحب تجديده ولو لم يكن ثم
موجب من ناقض عند القيام إلى الصلاة وفي الحديث الشريف
« ان أمتي ليدعون يوم القيامة غرّاً محجلين من آثار الوضوء
فن استطاع منكم أن يطيل غرته فليعمل »

أما الغسل وحكمه من القرآن المجيد قوله تعالى « وان
كنتم جنباً فاطهروا » وقوله عز وجل « لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً الا عابري سبيل حتى
تغتسلوا » ويبدأ الغسل بالوضوء ثم بافاضة الماء على عموم
الجسد والدلك وتخليل الشعر إلى آخر ما في الباب مما قد
تكلمت بتفصيله كتب الفقه والسنن وكذا حكمه بالنسبة إلى
الحيض عند النساء وفي النفاس مما هو من أهم شروط حفظ
صحة البدن في جميع أحواله^(١)

(١) راجع الشرح الصغير للشيخ الدردير وصحيح البخاري ومسلم

وغيرهم اه مؤلف

والتيمم فرض اذا تعذر استعمال الماء سواء للوضوء أو
 للغسل إما لفقده وإما لشدة الحاجة إليه لسد العطش أو كان
 بالإنسان مرض من جراحة ونحوها يخاف عليها منه اذا
 استعمال الماء والتيمم لا يتناول غير المسح على الوجه والأيدي
 مرة واحدة بالضرب على الصعيد الطيب الطاهر أو مافي
 حكمه ولا يجزى الا في صلاة واحدة، وبما ان التيمم ما شرع
 الا لدفع الحرج الذي ينشأ عند فقدان الماء أو عدم القدرة
 على استعماله، وحيث ان الصعيد الطيب أى التراب الطاهر
 أو مافي حكمه من حجر صلد ونحوه لا سبيل لفقد شيء منه
 البتة فن ثم فرض التيمم به لدفع هذا الحرج من فقدان الماء
 في الطهارة ليقوم مقامه في إباحة الصلاة مع اضرار النفس
 بالخضوع للخالق تعالى الذي أوجدها من هذا التراب الذي
 تصادفه أو مافي حكمه اني ذهبنا وحيثما كنا فتستعويض به عن
 الماء في اداء هذا الركن من أركان هذه الصلاة من حكم
 الطهارة ورسمها بلا حرج وكل هذا من أمر التيمم وحكمه
 وكيفية وسببه يفهم من آية التيمم التالية لآية الوضوء والطهارة
 وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط

أولامستم النساء فلم تجددوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا
بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن
يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون «

وطهارة الخبث في الثوب من النجاسات الطارئة وكذا
اجزاء البدن واجبة ، والحكمية أى التي ليس لها جرم مخصوص
يكفي اجراء الماء على مواردھا ، وطهارة مكان الصلاة من
النجاسات والاخبث واجبة أيضاً

ولقضاء الحاجة آداب وخصال جميلة من التستر وازالة
الفضلات الباقية على الاعضاء من بول او غائط بالاستنجاء بالماء
والتجمر من البول للتنشيف ويجري كله باليد اليسرى

أما النظافة المستحبة فالاول منها ازالة ما يتجمع في الشعر
من درن رقل فالتنظيف فيه مستحب بالفسل والترجيل
والتدهين لازالة الشعث عنه ، كان صلى الله عليه وسلم يدهن
شعره ويرجله ويأمر به . وجاء في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام (من كان له شعرة فليكرمها) أي يصبها من الاوساخ ،
وكذا نظافة اللحية للتجميل والتزين المحبوبين والامر بالحضاب
بالحناء مشهور

الثاني ما يتجمع في الآذان والانف والاسنان من الاوساخ
 فيستحب فيه التنظيف بالازالة والفسل والمضمضة وما سنّ
 السواك الذي جاء في الحديث انه مطهرة للنفم الالهذه الحكمة
 الكريمة فضلا عن انه يطيب النكهة ويقوى المثة

الثالث غسل (البراجم والرواجب) وهي ظهور الانامل
 ورؤوسها وما تحت الاظفار مما يلتصق بها حتى تبدو نظيفة .
 كانت العرب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تكتر من
 غسل الايدي قبل الطعام ولا بعده فيجتمع عليها الوسخ فامرهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسلها وتنظيفها وامرهم كذلك
 بتقليم الاظافر وتنظيفها ونف الابط وحلق العانة وقص الشارب
 واحفاف اللحى وعدم نف ما فيها من شيب وجواز خضابها
 بالحناء او ما في حكمها ولهذا كله وختان الاطفال تلك السنة
 الشرقية القديمة مزيتها وفضله كما هو مبين في مظانه من كتب
 الاسلام وآدابه العملية

الرابع الاستحمام لازالة ما قد يمتري البدن من الدرن
 والاوزاخ والغبار وذلك يزيله الحمام ولدخول الحمام آداب من
 ستر العورة وكراهية النظر الى الغير وتقديم النية في التزيين

المحبوب في العبادة وعدم الاسراف في الماء الى آخر ما هناك
من الحُصَال والآداب الجميلة^(١)



أما الصلاة فهي عماد الدين كما جاء في الحديث الشريف
ومن أعظم فرائض الله على العباد قال تعالى (ان الصلاة كانت
على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وهي باستيفاء شروطها وأركانها
الحسية والمعنوية تنهي عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى في الآية
الكريمة ولذلك جاء في الحديث الشريف (من لم تهه صلته
عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعداً) ويدل على مزيد
فضلها وعظيم اهميتها في العبادة الاولى في الذكر غب الشهادة
كما في الحديث المرتب لمباني الاسلام (بني الاسلام على خمس
شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً)

والمفروض من الصلاة في الاسلام خمس صلوات كتبهن
الله في اليوم والليله على المسلم البالغ العاقل بشرط استقبال
القبلة وستر الدورة والطهارة التي سبق شرحها والايان بالاركان

(١) الاحياء للامام الغزالي اه مؤلف

الآتي بيانها قال النبي عليه الصلاة والسلام (خمس صلوات
 كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً
 استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهداً ان يدخله الجنة ومن لم
 يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله
 الجنة) ولله ما أجل ما شبهها به صلى الله عليه وسلم في حديث
 آخر قال : مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر باب احدكم
 يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون يبقى من درنه قالوا
 لا شيء قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس كمثل نهر
 عذب تذهب بالذنوب كما يذهب الماء بالدرن ، وفي حديث
 آخر : الصلوات كفارة لما يذنبن ما اجتنبت الكبائر ،

وعدد ركعات الصلوات الخمس المكتوبة سبع عشرة ركعة
 اثنتان للمصبح ووقته من طلوع الفجر الصادق الى طلوع الشمس ،
 واربع للظهر ووقته من الزوال الى وقت العصر من امتداد ظل
 الانسان قد قامته ، واربع للعصر ووقته من امتداد ظل الانسان
 قد قامته الى قرب غروب الشمس ، وثلاث للمغرب ووقته من
 غروب الشمس الى قرب غياب الشفق ، واربع للمساء الاخرة
 ووقتها من غياب الشفق الى قبيل طلوع الفجر

هذه هي الصلوات المفروضة التي أمرنا بالمحافظة عليها
 والمثابرة على أدائها كما قال تعالى «حافظوا على الصلوات والصلوة
 الوسطى وقوموا لله قانتين» وهي لا تستغرق من وقت الانسان
 كله ساعة زمانية او ساعتين على الاكثر

أما أركانها فاربعة عشرة خصلة فرضاً وأربع عشرة خصلة
 سنناً فالاولى: النية، تكبيرة الاحرام، القيام لها، قراءة الفاتحة
 القيام لها، الركوع، الرفع منه، السجود، الجلوس بين
 السجدين، التسليم، الجلوس له الطائفة في جميع الاركان،
 الاعتدال بعد الركوع والسجود على الجهة وحال السلام،
 الترتيب أي مراعاة الاركان بحسب الترتيب السابق

أما السنن الاربع عشرة فهي: قراءة ولو آية واحدة بعد
 الفاتحة في الركعة الاولى والثانية، والقيام لها، والجهربها في
 الصبح والجمعة والركعتين الاولين من المغرب والعشاء، والاسرار
 بها في الظهر والمصر وهذه السنن الاربع مخصوصة بالقرض،
 وكل تكبيرة بعد تكبيرة الاحرام، وقول سمع الله لمن حمده
 لامام وقد حال رفعه من الركوع لامأموم، وقراءة التشهد
 ونصه المحفوظ للمؤلف المالكي المذهب، (التحيات لله،

الزكيات لله ، الطيبات الصلوات لله ، السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ،
أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) وجلوس
له ، والصلاة على النبي بعد التشهد الاخير وافضل صيغتها
(اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد) والسجود على صدر
القدمين والركبتين والكف ، ورد المقتدى السلام على أمامه
وعلى من على يساره ويجزي فيه (سلام عليكم وعليكم السلام)
بلا جهر ، واجهر بتسليمة التحليل ، وانصات المقتدى في الجهر ،
والزائد على الطائفة بقدر الواجب

والمندوبات. هي نية الاداء ، ونية القضاء ، والخشوع ،
واستحضار عظمة الله تعالى وامثال أمره ، ورفع اليدين حين
تكبيرة الاحرام حذو المنكبين وارسالهما بوقار وكره القبض
في فرض ، إكمال سورة بعد الفاتحة وكره تكريرها بذاتها في
الركعتين في الفرض ، وتطويل القراءة في الصبح ثم في الظهر
لقذو امام جماعة معينين طلبوه منه وتقصيرها في العصر والمغرب ،

والتوسط في العشاء ، وتقصير الركعة الثانية عن الاولى والمساواة
 جائزة ، واسماع النفس في السر ، والقراءة في السرية خلف الامام ،
 والتأمين لقدمي الفاتحة ، وتسوية الظهر حال الركوع ، ووضع
 اليدين على الركبتين وتمكينهما منهما ، ونصب الركبتين
 وندب التسبيح في الركوع والسجود أي ان المصلي يقول
 « سبحان الله العظيم وبحمده سبحان ربي الاعلى » وندب في
 السجود الدعاء كما جاء في السنة ، والتوسط في المباداة بين
 المرفقين عن الجنين . وقول الفذو المأموم « ربنا ولك الحمد » بعد
 قول « سمع الله لمن حمده » حال القيام اذ يعمر الرفع بقول « سمع
 الله لمن حمده » والتكبير حال الخفض وحال الرفع من السجود
 الا في القيام من التشهد الاول حتى يستقل قائماً فيكبر
 وندب تمكين الجبهة من الارض أو ما اتصل بها ،
 وتقديم اليدين على الركبتين حال الانحطاط للسجود وتأخيرهما
 عن الركبتين حال القيام منه للقراءة ، ووضع اليدين حذو الاذنين
 حال السجود وتوجيه الاصابع لجهة القبلة ، والمجاافة بين المرفقين
 عن الركبتين والمجاافة بين الضبعين (ما فوق المرفق الى الابط)
 والجنين بخلاف المرأة فتكون منضمة في جميع أحوالها هذه ، ورفع

المجزة عن الرأس بان يكون محل السجود مساوياً لمحل القدمين
والدعاء في السجود بأمور الدين أو الدنيا له ولغيره خصوصاً وعموماً
بلا حد كالتسبيح وقد تقدم، والافضاء في الجلوس كله وهو جعل
الرجل اليسرى مع الالاية للارض وتقديم اليسرى نحو اليمنى قليلاً
ونصب قدم اليمنى عليها وجعل باطن ابامها الى الارض، ووضع
الكفين في الجلوس على الفخذين بحيث تساوى رؤس أصابعهما
الركبتين وتفرج الفخذين بخلاف المرأة، وعقد ماعدا السبابة
والابهام أى الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى في حال التشهد
بجعل رؤسها بلحمة الابهام ماداً السبابة لجهة الامام كالمشير،
وتحرك السبابة في التشهد الى اليمين واليسار تحريكاً وسطاً

ونذب القنوت في الصبح قبل الركوع الثاني ولفظه عند
المالكية « اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل
عليك ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ونخضع لك
ونخضع من يكفرك ، اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك
نسمى ونخضع ، نرجو رحمتك ونخاف عذابك ان عذابك الجد
بالكافرين ملحق »

ونذب الدعاء باسرار وتعميم قبل السلام وبعد الصلاة على

النبي السالف ذكر صيغتها وصيغته المشهورة عند المالكية كما في الشرح الصغير للإمام الدردير « اللهم اغفر لنا وارادينا ولائمتنا ولمن سبقنا بالإيمان مغفرة عزمًا اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

ونذب التيامن بتسليمة التحليل إذا كان المصلي مأموماً أما الإمام والقد فيشير عند النطق بها للقبلة ويثنىها بالتيامن عند النطق بالكاف والميم من « عليكم » حتى يرى من خلفه صفحة وجهه ونذب سترة الإمام والقد لمنع المارين بمحل سجودها ويأثم المصلي إذا تعرض بصلاته من غير سترة في محل يظن به المرور وللصلاة مكروهات ومبطلات قد اضربت عنها لعدم التطويل كالضحك والفقهية والكلام في الصلاة ونحو ذلك ولقد ورد جواز الصلاة والمرء قاعد لمرض أو علة كما جاء جواز القصر والجمع فيها في حال السفر وحكمها في ذلك وبيانها مفصل في كتب المذاهب والسنة فليرجع إليها وكذا بالنظر إلى السهو وسجوده « وترقيع الصلاة » به

وصلاة « الجمعة » فرض وخطبتها كذلك قال تعالى في

فرضها « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسموا الى ذكر الله وذروا البيع » وخطبتها قد يستحسن فيها مع الاختصار والوضوح بيان المواعظ الوقتية والمهام العصرية مما يتعلق بالشؤون والمصالح الدينية والدينية ولا أقبح من حال خطباء العصر الجامدين فيما يتلون من خطب محفوظة عن أقوام مضت أيامهم وسلفت مصالحهم المباشرة للمصالح العصرية وبذلك لا تحصل الفوائد المطلوبة والثمار المقصودة من خطبة الجمعة ولا تؤثر أثرها الذي سنت من اجله . وجملة القول أن فضل الجمعة كبير وأجرها عند الله عظيم بل يومها كله يوم كريم مبارك يجب أن يصرف بعمل من العبادة مرضي من مثل تلاوة القرآن والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والغسل فيه للخروج الى الصلاة صلاة الجمعة واجب والتزين والتجمل والتطيب مستحب ، وشروط الجمعة من الوقت والجماعة والخطبة وباقي سننها وآدابها الجميلة مستفيضة بها كتب السنة والفقهاء فلا أطيل فيها في هذا المختصر .

والنوافل من الصلاة منها سنة مؤكدة ومنها مستحب ومنها تطوع وهي تختلف باختلاف المذاهب واستنباطات الأئمة

المقتدى بهم مما لا يعد في الحقيقة اختلافاً يذكر فلا ذكر منها
 ما هو على وجه العموم من أوكدها وفضلها كركتي الفجر
 والسنن الرواتب عند كل صلاة ما عدا العصر فإنه لا صلاة
 بعده ، وكذا ركعة الوتر في العشاء والتهجيد بالليل فإنه فضلاً
 كبيراً قال تعالى مخاطباً الرسول للتشريع « ومن الليل فتهجد به
 نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً »

وصلاة العيدين عيد الفطر وعيد الاضحى بسبع تكبيرات
 في الركعة الاولى بما فيها تكبيرة الاحرام وخمس في الثانية بعد
 تكبيرة القيام والخطبة بعد اداء ركعتيها سنة
 وصلاة الكسوف والخسوف للشمس والقمر ركعتان
 يطيل القراءة فيهما .

وصلاة الجنائز باربع تكبيرات وبلا ركوع ولا سجود
 والدعاء للميت

وصلاة القيام (التراويح) في رمضان عشرون ركعة
 بعد العشاء

أما الصلوات المستحبة والتطوعات الجميلة في الليل أو في
 النهار فغير داخله تحت حصر أو قيد فللمرء شأنه بمقدار مندوحة

حاله ومبلغ رغبته فان شاء فعل وان شاء اکتفى بما فرض الله
واكدته السنة .

والآذان للصلاة سنة مؤكدة بكل مسجد والجماعة ولا
سيما في المساجد نفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة كما
جاء في الحديث الشريف وللإمامة شروط وآداب جليلة
هذا ولقد تقدم ان من اجمل السنن في الصلاة حضور
القلب في الصلاة والخشوع والخضوع والمحافظة على ادائها
بأوقاتها « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله
قانتين » وقد جاءت الآيات والاحاديث الكثيرة في تفضيل
ذلك كله وفي كراهة الذهول في الصلاة وعدم مراعاة روحها
من الحضور القلبي حتى لا ينال المرء من صلانه سوى تعب
القيام والقعود دون نوال اجر او ثواب او ظهور اثر في تهذيب
الاخلاق وتطهير الوجدان المقصود بالذات وما الصلاة الا
الصلة بين العبد وبين الرب تعالى فلا يفوتن مسلم العناية بهذه
الصلة وليحسن ربطها بالخشوع والاخلاص فيحسن الله تعالى
كل حاله الحسى منه والمعنوى .

اما فرض الزكاة زكاة الاموال على افراد المسلمين والتي يريد جماعة من الاشتراكيين المصريين أن يرجع الى مثلها في ضرائب الاموال الاميرية والتروات القومية في الاعم المصرية فقد كلف الله بها عباده المسلمين للمصلحة لهم والنفع العائد اجتماعياً عليهم دنيا وأخرى « في الدنيا صلاح الامور الذاتية والعمومية^(١) وضبطها والبركة والتماء في الارزاق واعالة من تصرف اليهم بعض الزكاة من الفقراء الهيئة الاسلامية، وفي الآخرة ثواب الله العظيم لعباده المحسنين العاملين للخير. والزكاة فرض عين على كل غني قادر بشرطه قال تعالى في الامر بالزكاة « اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال تعالى في الامر بأخذها من المسلمين لمصالحهم « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » وقال تعالى فيما يكسب الراحة والبر الاجتماعي « لن نألو البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال تعالى في مدح من يعرف حق الفقير من زكاة ماله « والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم » ولقد ضرب الله تعالى أحسن مثل لمخرجي زكاة أموالهم فيما يخففهم به عليها

(١) راجع في هذا الصدد كتاب حجة الله البالغة للشيخ احمد

من خير وبركة وثواب عظيم قال تعالى «ومثل الذين ينفقون أموالهم
 ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها
 وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بصير بما
 تعملون » وقال تعالى « ومثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل
 الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله
 يضاعف لمن يشاء » وجعل تعالى إخراج الزكاة والصدقات
 كالاقراض له تعالى المضاعف أجره « ان تقرضوا الله قرضاً
 حسناً يضاعفه لكم » : « واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا
 لانفسكم تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً » وجعل عقاب
 مانع الزكاة شديداً « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا
 ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في
 نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم
 لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون » ولله ما ابلغ هذا التقرير
 لمآل الزكاة في الهيئة الاجتماعية

وتجب الزكاة على كل مسلم حر ولو غير بالغ ووجوبها
 هي والخراج والجزية قديماً على غير المسلمين للحول كالاموال
 الاميرية والضرائب الشخصية في النظم المالية الحديثة

وهي تنحصر في النقود وعروض التجارة والنم من الماشية وما يخرج من الحبوب أو الثمر أو المعدن أو الركاز فما يخرج من النقدين سواء كان ذهباً أو فضة ربع العشر (أي اثنين ونصف في المائة) ففي المائتين درهم خمسة دراهم وفي العشرين ديناراً نصف دينار وفي عروض التجارة وتقوم بما اشترت به اذا بلغت قيمتها نصاباً^(١) ربع العشر أيضاً .

أما النم فاذا كانت ابلاً « فشاة » في كل خمس وهكذا الى خمس وعشرين فتكون زكاتها بنت مخاض^(٢) من الابل الى ٣٦ ففيها بنت لبون^(٣) الى ست واربعين ففيها حقة^(٤) الى ٦١ ففيها جذعة^(٥) الى ٧٦ ففيها بنتا لبون ، الى ٩١ ففيها حقتان الى ١٢٠ وفي ١٢١ الى ١٢٩ إما حقتان أو ثلاث بنات لبون فان زادت على ١٢٩ ففي كل عشر تتغير الفريضة اي الواجب فيجب في كل ٤٠ بنت لبون وفي كل خمسين حقة

(١) اي المقدار الذي تجب فيه الزكاة ويقدر الآن باثني عشر جنبها انكليزيا في الذهب وتقدر المائتي درهم بأثنين وعشرين ريالاً مصرياً اي ٤٤٠ قرشاً صحيحاً (٢) التي دخلت في السنة الثانية (٣) وهي التي دخلت في الثالثة (٤) وهي التي دخلت في السنة الرابعة (٥) وهي التي دخلت في السنة الخامسة من سنها

ففي ١٣٠ حقة وبنتا لبون وفي ١٤٠ حقتان وبنتا لبون وفي
 ١٥٠ ثلاث حقاق وفي ١٦٠ أربع بنات لبون وفي ١٧٩ حقة
 وثلاث بنات لبون وفي ١٨٠ حقتان وبنتا لبون وفي ١٩٠ ثلاث
 حقاق وبنتا لبون وفي ٢٠٠ إما أربع حقاق أو خمس بنات لبون
 وإذا كانت النعم بقراً ففي كل ٣٠ منها «تبيع» دخل في
 السنة الثالثة وفي ٤٠ «مسنة» دخلت في السنة الرابعة إلى ٦٠ ففيها
 «تبيعان» إلى ٧٠ ففيها «مسنة وتبيع» إلى ٨٠ ففيها «مستنان»
 وفي ٩٠ ثلاثة أئبعة وفي ١٠٠ «مسنة وتبيعان» وفي ١١٠
 «مستنان وتبيع» وفي ١٢٠ ثلاث مستنات أو أربعة أئبعة
 والجاموس كالبقرة في حكم الزكاة

وإذا كانت النعم غنماً ففي كل ٤٠ رأساً منها «شاة جذعة أو
 جذع» ذو سنة إلى ١٢١ ففيها «شاتان» إلى ٢٠٠ وفي ٢٠١
 إلى ٢٩٩ «ثلاث شياة» إلى ٤٠٠ ففيها «أربع شياة» ثم في
 كل مائة شاة، والممزر كالضان. وليس في الخيل والبغال والحمير
 زكاة لحكمة أنها معدة للنفع الذاتي أو لأنها من رأس المال
 المساعد وليست مصدر استقلال في حد ذاتها ولأنها لا ينتفع
 بلحومها ولبانها وأشعارها كغيرها من النعم التي كانت مصدراً

الثروة العرب ولم تزل في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي وغيره
مصدراً ومستغلاً للثروة العظيمة .

وزكاة الزرع مما اخرجته الارض بالسيح أو المطر فقيه
العشر أو نصفه اذا سقى بآلة وبلغ نصابه اى خمسة اوسق
(٦٠ صاعاً) بشرط ان يقصد منه الاستغلال فالحطب والتصب
والحشيش والسعف لا تدخل في الباب لفقدها الشرط الا اذا
قصد بها الاستغلال بالتجارة ، وكل حب لا يصلح طعاماً
كبذر البطيخ والقثاء ، فلا زكاة فيه لكونه غير مقصود بنفسه
وإنما المقصود به البطيخ والقثاء وكذا كل تابع للارض كالنخل
والاشجار لانه بمنزلة جزء الارض والشريعة لم تقرر في مبدأ
الزكاة بحسب مقتضيات ذلك الوقت الزكاة على الارض والعقار
(ما عدا الخراج على الاراضي الخراجية) لحكمة ان المنتفع
بالاكثر من الزرع هو الزارع المستغل للحب ونحوه مالكا كان
المزارع او مستأجراً ولان في محصول الشجر من غير التمر
والعنب مالا يقوم بمثل مستغلات الحبوب وما في حكمها مثلاً
ولان زكاة الاموال عامة وهى في نظر الشرع تؤخذ من مالك
نصابها فالملك متى ما توفر لديه نصاب الزكاة من مستغل

ما يملك من عقار أو نحوه وجبت عليه الزكاة والمزارع تؤخذ
منه عشرًا أو نصفه من مستغلاته عند حصادها أو بمقتضى
قاعدته المتبعة حتى الآن في طريقة اخذ الضرائب في بلاد
الدولة العلية

أما المعدن من الذهب والفضة فيؤخذ منه ربع العشر
ويؤخذ عند استخراج كالأزرق عند حصاده أما الركاك ففيه
الخمس والركاك الدفائن مالم يطاب بمال ويحصل بكبير عمل
أما من تصرف اليهم الزكاة من أصناف الخلق فثمانية
نص عليهم في القرآن المجيد :

(١) الفقراء الذين لا يملكون إلا شيئاً قليلاً

(٢) المساكين الذين لا يملكون شيئاً ما

(٣) العاملون على الزكاة لتصرف في وجوهها من عمال

الامام أو الحاكم المخصصين لجبايتها وتحصيلها وتوزيعها بمعرفته
على مستحقيها

(٤) المؤلفة قلوبهم على الاسلام لتقريرهم وترغيب غيرهم فيه

(٥) المكاتبون من الارقاء لاداء نجومهم (ديون وعنتهم

تدفع مقسطة في اوقات معينة) فتفك رقابهم من ذل الرق

(٦) الغارمون الذين عليهم ديون استغرقت في الطاعات فيعطون من الزكاة بمقدار ما يسدون به غرماءهم
 (٧) الغزاة في سبيل الله المدافعون عن الاسلام والذابون عن بيضته وبلاده ولو كانوا اغنياء يعطون منها إعانة لهم وتنشيطاً لهمهم

(٨) أبناء السبيل من المسافرين الذين انقطعوا عن أموالهم فيعطون منها بمقدار ما يعيدهم إلى أوطانهم^(١)
 وزكاة الفطر في رمضان نصف صاع^(٢) من بر أو دقيق أو زبيب أو صاع من تمر أو شعير وهو ثمانية أرطال أو ما يقوم مقامها من نقود ويخرجها من ملك نصاباً من أي مال عن نفسه وعن أولاده الصغار وعبيده وتصرف هذه الزكاة زكاة الفطر في مصرف الزكاة الأصلية

أما الصدقة صدقة التطوع فسنة جميلة ومن أوكداعمال البر الاسلامي وهي تصرف إلى الفقراء في أي وقت بلا قيد الملة والنحلة ولقد جاء في فضلها آثار جليلة قال عليه الصلاة

(١) الصراط المستقيم للشيخ زباني والشرح الصغير وغيرها
 (٢) الشرح الصغير وغيره (٢) يساوي قدحا وثلاثا بالكيل المصري الآن

والسلام « تصدقوا ولو بشق تمره فانها لتسد من الجائع وتطفى
الخطيئة كما يطفى الماء النار » وقال عليه الصلاة والسلام « ان
صدقة السر لتطفى غضب الرب » وقال في حديث آخر (اتقوا
النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا فبكلمة طيبة) وقال عليه الصلاة
والسلام (ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب -
ولا يقبل الله الا طيباً - الا كان الله اخذاً يمينه فيريها كما يربي
احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد) وقال في حديث آخر
(الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر الوالدين وصلة
الرحم تحول الشقاء سعادة وتزيد في العمر وتقي مصارع السوء)
وفي حديث آخر (اذا اردت ان يلين قلبك فاطعم المسكين
وامسح على رأس اليتيم)^(١) وفي القرآن المجيد « ان تبدوا
الصدقات فنعماهي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم
ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير »

وهناك في الاسلام ذلك المبدأ الخيري العظيم من الصدقة
الجارية بحبس الجبوس والاقواف على المساجد والمدارس
والمستشفيات والملاجي وما أشبه ذلك وهي من أجل انواع

(١) الجامع الصغير للسيوطي وغيره من كتب الاحاديث والسنن

الصدقات الجارية والقربات المفيدة في الهيئة الاجتماعية ولها
احكامها وشروطها الحسنة في الشريعة ^(١) كما ان للزكاة
والصدقات على انواعها حكمتها في اصلاح احوال الهيئة الاجتماعية
واذ كان الامر كذلك فلا احسن من مراعاة روح العصر
في تقريرها وصرفها في وجوه البر والمنافع العامة فالضرائب
الشرعية سواء على العقار كالخراج والاعشار أو على الاموال
كالزكاة ونحوها تعتبر من اهمها لانها ركن اقامة المصالح
الحكومية في الهيئة وعمار بيت المال والتضافر بالصرف على
امداد المدارس والمستشفيات والمساجد والملاجئ ليفضل
صرفها اى التصديق بها على الكسالى والمطلّة من الشحاذين أولئك
الذين يسألون الناس الحافاً وأولئك الذين يتخذون من مندوحة
ذلك المبدأ الاسلامي وسيلة وفرصة لاحتراف الشحاذة
والكديّة مخالفين في ذلك أوامر الدين نفسه وللهيئة حيال هذا
حقها للضمان حتى لا تصرف صدقاتها الا في وجوه البر التي
تصلح من شأن فقرائها وعجزتها لا ما يكثر من كسالاها وعطلتها



(١) تراجع كتب الوقف الخصبنة وأبوابه في كتب الفقه الجامعة

أما الصيام فمن أعظم وأشرف العبادات البدنية وأجل الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده المسلمين في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وهو امسك الانسان عن الاكل والشرب والجماع من وقت طلوع الفجر الصادق الى غروب قرص الشمس وفرض الصيام مأخوذ من الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)^(١)

والاحاديث في فضل الصوم كثيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلوف فم الصائم وثوابه العظيم (والذي نفسي بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجل الصوم لي وأنا الذي اجزى به) وما شرف الصوم بالنسبة الى الله تعالى وان كانت العبادات كلها له تعالى كما شرف البيت الحرام بالانتساب اليه والارض كلها له الا للمعنيين أحدهما ان الصوم كف وزك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع

(١) صحيح البخاري وكتب التفاسير

أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه أحد ولا يطلع عليه الا الله عز وجل لانه عمل في الباطن بالصبر المجرد وفيه قمع الشهوات التي هي وسائل الشيطان الى النفس وواجبات صوم رمضان للمسلم العاقل الصحيح القادر منها دخول شهر رمضان وتبييت النية ويجزى فيها عند المالكية أول ليلة منه وعدم ادخال شيء الى الجوف عمداً والامساك عن الجماع والامساك عن اخراج القيء عمداً.

ولو ازم الافطار ثلاثة القضاء والكفارة والقديية. أما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم ترك الصوم لعذر من مرض وحيض وسفر ولا يشترط في القضاء التتابع ، اما الكفاره فتجب في الجماع عتق رقبة فان أعسر فصيام شهرين متتابعين ، اما القديية فتجب على الحامل والمرضع والشيخ الهرم اذا أفطروا عن كل يوم مد حنطة أو ما في حكمه بشرط القدرة

أما السنن في الصيام فعدة سنن منها تأخير السحور وتعجيل الفطور وترك السواك من بعد الزوال وقيل بجوازه النهار كله عند المقتضى الشرعى والجود في رمضان لحديث (انبسطوا في النفقة في رمضان فان النفقة فيه كالنفقة في سبيل

الله) و (من فطر صائماً كان له مثل أجره غير انه لا ينقص
 من أجر الصائم شيء) وهي من السنن الجميلة والآداب العربية
 النبيلة ومن جميلات تلك السنن في هذا الشهر المبارك مداورة
 القرآن والاعتكاف في المساجد ولا سيما في العشر الاواخر منه
 التي هي مظنة ليلة القدر التي هي خير من الف شهر وقيام
 رمضان بالتراويح ونحوها من السنن الجميلة لحديث (من قام
 رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه في غير حقوق
 العباد) كما هو مفهوم كل الاحاديث التي على هذا النمط

ومن أجمل الآداب في الصيام وأشرف الخلال فيه ان
 يكف المرء جوارحه عن الرذائل الامر المطلوب في كل
 الاحوال فبالاحرى في رمضان - فيكف الانسان عن
 الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والخصومة قال صلى
 الله عليه وسلم (إنما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائماً فلا
 يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اللهم اني صائم)
 ولقد كره الاستكثار من الطعام عند تناول الافطار لانه
 كيف يتدارك أمر كسر الشهوة المقصود من الصيام اذا كان
 يعوض المرء على نفسه في الافطار ما فاته من الطعام في نهاره

كله فضلاً عن ان الاكثار مضر بالصحة بعد خلاء الجوف
نهاراً كاملاً^(١)



تحفظ التقاليد الاسلامية وبعبارة أخرى التقاليد العربية
السامية لمكة والكمبة البيت الحرام مقاماً سامياً وذكرى كريمة
ألا وهي ذكرى حادثة إسكان ابراهيم خليل الله ابنه اسماعيل
عليهما السلام وأمه هاجر تلك البرية العربية ثم بناء البيت بيت
الله الحرام واذانه في الناس بالحج كما نص عليه القرآن المجيد ،
ولقد بقي أمر الحج الى البيت شائعاً في العرب الى ان جاء
الاسلام فاقره فريضة على كل مسلم قادر مراعيّاً في ذلك
المصلحة الاسلامية العامة الدينية والسياسية من اجتماع خلق
كثير من المسلمين سنوياً في صعيد واحد للقيام بهذا النسك
وذكر الله واداء هذه الفريضة ذات الفوائد الكثيرة وزيارة
قبر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة يثرب
الفاخرة الزاهرة

والآثار في فضل الحج كثيرة قال تبارك وتعالى اشهداً

(١) الشرح الصغير والاحياء للغزالي وغيرها

لامر البيت وفضله وقدمه في البيوت المقدسة (ان أول بيت
 وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين فيه آيات بينات
 مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت
 من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين)
 وقال تعالى في أمره ابراهيم بالحج (وأذن في الناس بالحج
 يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا
 منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من
 بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا
 تقضهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)^(١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثواب الحج (من
 حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه)
 وقال صلى الله عليه وسلم (حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها
 وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة) والاحاديث في باب
 فضل الحج والعمرة بالنسبة الى صلاح النفوس والاحوال اكثر
 من ان تحصى في مثل هذا المختصر

(١) راجع الطبري والرازي ونحوهما والتفت الوسخ بقال قضي

تفته اي ازال وسخه

أما شروط وجوب الحج واركانه وآدابه . فشرط صحته
الوقت والاسلام والحرية والبلوغ والعقل والاستطاعة ، ومن
لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ، والاستطاعة حكمان
وجود الراحة والزاد وامن الطريق . أما الاركان فخمسة الاحرام
والطواف والسمي بين الصفا والمروة بعده والوقوف بعرفة في
يومه ، واركان العمرة كذلك خلا الوقوف بعرفة ، ويجوز الافراد
بالحج والافراد بالعمرة والجمع بينهما ، ومن آداب الحج ان
يفتسل المرء عند الاحرام في ميقاته المشهور ويلبس ثوبي
الاحرام الأبيضين تاركاً ثيابه المخيطة وينوي عند السير غب
ذلك الاحرام بالحج أو بالعمرة أو بهما معاً ويكفي مجرد النية
والسنة أن يقرن بها لفظ التلبية (لبيك اللهم لبيك لا شريك
لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) وندب
تجديد التلبية بحسب تغير الاحوال وخلف الصلاة مع التوسط
وعدم رفع الصوت حتى لا يسمع

وهناك آداب وسنن لطيفة في دخول مكة وكيفية الطواف
والسمي والوقوف في المناسك كلها من عرفة ومنى ومزدلفة
والنحر ورمي الجمرات لا يحتملها هذا المختصر وترى مبسوطه

في كتب الفقه وأسفار المناسك مناسك الحج الاسلامي .
 أما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة
 مدينة يثرب دار هجرته ومكان قبره الشريف ومسجده المبارك
 وحرمه المنيف فسنة يحسن القيام بها عند القيام بأداء فريضة
 الحج خصوصاً على نحو ما سبقت به العادة الاسلامية ولقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم (من حج وزار قبري فقد وجبت
 له شفاعتي) وفي حديث آخر (من زار قبري بعد وفاتي
 فكأنما زارني في حياتي)



القرآن عندنا معشر أهل الاسلام كتاب الله الينا الذي
 أنزله على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي اليه به
 منجماً اي مقطعاً مجزأ في بضع وعشرين سنة هي سنى النبوة
 الاسلامية وقد جمع فيه أصول شرعنا وإيماننا فهو عندنا كما
 وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل الله المتين والهدى
 والنور والصراط المستقيم ، وإذ قد جمع لنا الله فيه كل ما يهمننا
 من أصول الدين ومبادئ الخير في الدنيا والآخرة ومدد
 العقول والقلوب في الامور الاعتقادية والاجتماعية والادبية

والعملية فلا جرم كانت واجب التلاوة والتعلم على كل مسلم للاهتداء به في الدين والدنيا ولقد جاء في فضل القرآن وتلاوته بالتدبر والتتمن آيات واحاديث جمّة قال صلى الله عليه وسلم (تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي) وقال عليه الصلاة والسلام (من قرأ القرآن ثم رأى ان أحداً أوتي افضل منه فقد استصغر ما عظمه الله تعالى) وقال عليه الصلاة والسلام (افضل عبادة امتي تلاوة القرآن) وقال صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وعن ابن مسعود قال (إذا اردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين) وقال عمرو بن العاص (من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه) ولا غرو فالقرآن فيه الهدى والشفاء كما قال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة) وكما قال تعالى في آية أخرى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)

ولتلاوة القرآن آداب وفضائل جليّة لا على قاعدة من يتخذ تلاوته مهنة ومحترفاً مما قد يدخل في تلاوة الغافلين ولا على قاعدة من يتخذ بعض آياته ويدونها رقي تماثم ووصفات

عجائز فان هذا كله ليس في شيء من المراد بتلاوة القرآن بالتدبر والعمل بحلاله واجتناب حرامه بل هو كما هو مشاهد فيه من امتهان كلام الله تعالى القديم ما فيه وانما المقصود بالتلاوة التلاوة الاسلامية الصحيحة المبنية على العبادة والاستفادة والاستعداد بروح القرآن في كل الشؤون لانها من افضلها واقرها للمبداء الاسلامي ولهذا التلاوة عشرة آداب أو قواعد ضابطة: ^(١)

(١) ان يكون قارئ القرآن على وضوء واقفاً أو جالساً على هيئة الادب مستقبلاً للقبلة خصوصاً

(٢) ان يراعي الاكثار أو الاقلال بحسب ظروف الاحوال التي تتاح له وخير الامور الوسط للتأني المطلوب للتدبر والذكر سمعت عائشة رضي الله تعالى عنها رجلاً يهذر بالقرآن هذراً فقالت: إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت، وما ورد عن بعض السلف من ان بعضهم كان يختم القرآن في الليلة أو نحو ذلك فهذا بحسب مبلغ اجتهادهم وتفرغهم.

(٣) وللسهولة لزمتم قسمة القرآن في التلاوة بان يخصص المرء لكل يوم منه جزءاً أو أكثر أو أقل والقرآن كما لا يخفى

(١) الاحياء للغزالي

مقسم بحسب الرسم العثماني الى اجزاء واحزاب أحدثت في المصاحف لهذه الغاية من التسهيل في التلاوة .

(٤) الترتيل لقوله تعالى « ورتل القرآن ترتيلاً ، لان الترتيل مفيد على العموم للتفهم والتفكير ، ولقد وصفت أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام قراءته للقرآن فاذا هي تمت قراءته وتصفها مفسرة حرفاً بحرف . وقال ابن عباس رضي الله عنه « لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلها وأتدبرها أحب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة ، أي مسرعاً في القراءة

(٥) إحضار القلب خشية ورهبة وشوقاً وهو المقصود لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابتكوا فان لم تبتكوا ابتكوا ، فاحضار القلب عند آيات الوعيد والزواجر خشية قد يملأ القلوب خشوعاً وعظمة كما قد يملأ هذا القلب فرحاً ونشاطاً وشوقاً عند آيات الوعد والبشارة وان الله لا يضيع اجر العاملين في خيري الدنيا والآخرة وهذا كله يتبع أحوال المرء في قوة نفسه وأخذه واستحضار فكره وذهنه عند التلاوة وقوة الايمان .

(٦) مراعاة حق الآيات المختصة بالسجدة فيسجد لها

سجدة السلاوة وفي القرآن كله أربع عشرة سجدة ولا يسجد
الا على طهارة

(٧) افتتاح القراءة بالاستعاذة والبسملة : « أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم » واختتامها بقول
القارئ « صدق الله العظيم » وفي تضعيف القراءة اذا مر
بآية دعاء دعا إما بقلبه وإما بلسانه ، وكذا في آيات الاستغفار
اذا مر بآية منها يستغفر وإن مر بآية رجاء سأل الله وان مر
بآية خوف استعاذ بالله تعالى ، ونظم القرآن دعاء مأثور مشهور
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مثبت في آخر المصاحف
العثمانية المتداولة .

(٨) الجهر بالقراءة لحد أن يسمع نفسه إذ القراءة عبارة
عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع
به المرء نفسه

(٩) تحسين القراءة وتزيينها بالصوت الحسن قال صلى الله
عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم »

(١٠) القراءات المشهورة سبع فللمرء ان يختار منها ما شاء
ليقرأ القرآن بها وان كانت اكثر المصاحف الحالية قد قصرت

على احداها وهي قراءة ابي حفص عمر فلذلك يفضل لغير الفقيه
الاقتصار عليها ناهيك وانها من افصحها .

ولا أطيل في الآداب الباطنة اذ القرآن كله مواعظ
وحكم وعبر وبشارة ووعد ووعيد ودلائل آيات في خلق الكون
بينات وكله متى التزم المرء فيه أدب التلاوة ولذة التدبر والتأمل
بشوق وعزيمة وجد من نفسه لنفسه خشية وخشوعاً وحسن
نظر وتدبر في صفات الله تعالى وافعاله وعظيم قدرته وابداعه
لمصنوعاته وجميل افعاله وتصرفاته في خلقه ولطفه ومننه ورحمته
وحكمته وعدله في ربوبيته ووحدانيته وتزههه عن الشريك
والمثيل والند والنظير وسيأتي مزيد افصاح عن القرآن وتفسيره
في باب أدب العلم



وليس بعد تلاوة القرآن ومدارسته في أدب العبادات
اجمل ولا افضل من ذكر الله - ولذكر الله اكبر - والذكر
باللسان والجنان وليس المراد بالذكر هنا تلك المجالس التي انحط
فيها المسلمون الى البدع والرقص على نشيد المنشدين أو نقر
الدفوف فان هذا وامثاله من اعمال جهلة المتصوفة خارج عما

أنا بصدد البتة لانه ناد عما كان عليه السلف الاول ولا يناسب
روح عصرنا الحالي وانما المقصود بالذكر الذكر الذي أمرنا الله
تعالى به من أحضار القلب عظمة الرب وذكره وتسبيحه بالقلب
اخلاص سواء في السر أو العلن وسواء على انفراد او في جماعة
ولا سيما عقب الصلوات مستحباً المرء فيه الخشية والخضوع
وطهارة الباطن اما ذلك الرقص والتغني بالقصائد المملوءة
بالنزل والنسيب البارد والشجر والنخ والطبل والزمر فما هو
الا البدعة بعينها والضلالة كل الضلالة

وأنت ايها المسلم المصري اذا تأملت بثاقب الفكرة قوله
تعالى « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
فقنا عذاب النار » علمت حقيقة هذا الذكر الذي عناه الله بقوله
تعالى « ولذكر الله أكبر » وفهمت سره ومراد الله تعالى منه
في امرنا به « واذكروا الله » و « اذكر ربك في نفسك تضرعاً
وخيفة » لا ما أخذ القوم به من قشور وبدع وضلالات لم
يجن منها الاسلام فائدة ما

ومن افضل الذكر التهليل عند الوضوء والتسبيح عقب

الصلوات والاستغفار « وبالليل هم يستغفرون » « ومن يستغفر
الله يمجده الله غفورا رحيمًا » والدعاء والضراعة الى الله تعالى لقوله
تعالى « أدعوني استجب لكم » « أدعوا الله مخلصين له الدين »
وقوله تعالى « فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »
وأفضل الدعاء المأثور والمرء أنه يدعو بما شاء من خير
له ولغيره بشرط أن لا يتخطى ما أحل الله لعباده أو بما لا يخرج
عن حد المعقول كما دلت عليه الآثار الشريفة خصوصاً عقب
الصلوات وبالإسحار أي في الليل الذي هو متجلى الرحمت
ويدعو المرء بأي اسم شاء من أسماء الله الحسنى « أي ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى »

والدعاء شروط وآداب كاستقبال القبلة ورصد الاوقات
الفاضلة والاحوال الشريفة وخفض الصوت بين المخافتة والجر
وعدم تكلف المحسنات اللفظية من السجع والترصيع والتزام
الحشوع والخضوع واستحضار القلب والتوبة من الذنوب ورد
المظالم الى اهلها وتبكير الدعاء . كان صلى الله عليه وسلم اذا
دعا دعا ثلاثا لحكمة التشريع في إنفات النفس الى ما هي بصدده
من الامر والموقف العظيم فلا تغفل عن موقفها وتوقن بالاجابة

وهو واجب الاعتقاد بشرطه — ويصدق الرجاء والامل وتعظم
الرغبة والشوق ، قال صلى الله عليه وسلم « أدعوا الله وأنتم
موقنون بالاجابة وأعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من
قلب غافل »

وورد في الكتاب والسنة الامر بالصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم ، قال تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » والصلاة من الله
تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار (يستغفرون لمن في الارض)
ومن الناس الدعاء وجاء في الحديث « من صلى عليّ واحداً صلى
الله عليه عشرين مرة ومن صلى عليّ عشرين مرة صلى الله عليه مائة » وصيغ
الصلوات كثيرة افضلها المأثور في كتب السنة المعتمدة .



﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ أدب العلم ﴾

شرف الانسان - فضل العلم - فضل التعليم والتعلم - العلم في
 الصغر - تفاضل العلوم - ابتداء أمر العلم في الاسلام - العلوم التي
 اشتغل بها المسلمون - المقدار اللازم من العلم الذي هو فرض عين -
 أدب التوحيد - الفقه - علم التفسير - علم الادب - العلوم الآلية -
 ما يلزمنا الآن معاشر المسلمين بالنظر الى الجمهور

يمتاز الانسان عن الحيوان الاعجم بقوة العقل والفكر
 والنطق وهذه الميزة والكرامة من الخالق جل شأنه للانسان
 جعلته أهلاً للخلافة أي السيادة على الارض يستمرها ويسود
 عليها ويستخدم مواردها وقواها الطبيعية في شؤونه بالعمل
 والكسح ولذلك كان من أهم واجباته أن يستزيد مما يقويه
 ويسهل عليه مهمته هذه ولا شيء ينيله ذلك غير العلم والمعرفة
 ولهذا جاء الدين الاسلامي حاناً على العلم أمراً به موجباً له
 كفرض عين على كل مسلم في أمرى الدين والدنيا حتى يعلم
 الانسان المفروض عليه في اعتقاداته وعباداته وأمر معاشه في
 الهيئة وأدب الاجتماع البشرى واصلاح هذه الدنيا التي ينتفع

بها واتقان ذلك كله بالعلم والمعرفة وفي هذا منتهى الشرف والرفعة
 لنوع الانسان وتفاضله من أجلها بعضه على بعض وكتاب الله
 تعالى ناطق بفضل العلم والعلماء ، قل هل يستوى الذين يعلمون
 والذين لا يعلمون ، ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، وقال
 صلى الله عليه وسلم ، فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة
 البدر على سائر الكواكب ، وقال عليه الصلاة والسلام : الايمان
 عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم ، وقال أيضاً
 ، اذا أتني عليّ يوم لا ازداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل
 فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم ، وقال عليه الصلاة
 والسلام (العلماء ورثة الانبياء) وفي حديث آخر (من يرد الله
 به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده)

وقال الامام علي رضي الله تعالى عنه اكميل (يا كميل العلم
 خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم
 والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على
 الانفاق) وقال الزهري (ما عبد الله بشيء أفضل من العلم)
 هذا قليل من كثير مما قيل في فضل العلم على الاطلاق
 وما قيل عند أهل الاسلام في فضل التعلم والتعليم بالتبعية لذلك

كثير ايضاً قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً) ولا شك ان الدعوة الى الله تعالى لا وسيلة لها الا بالعلم والتعليم اللذين ثمرتهما العمل ولقد حث القرآن المجيد على نشر العلم وطلبه قال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة نفر ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال تعالى (واذا أخذ الله من النبيين ميثاقهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه) أراد به الله تعالى نشر العلم أو ما هو من أخصه معرفة الله تعالى وشرائعه

(وقال تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة)

وما الحكمة والموعظة الحسنة الا العلم الشامل الجامع لخيري الدنيا والدين كالذي يطلب اليوم وينشد من (جامعات العلوم) و (كليات المدارس) وفي هذا منتهى الفخر والسؤدد الذي جاء للترغيب في الاستزادة منه قوله تعالى (قل رب زدني علماً) وجاء في الحث على طلب العلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وفي حديث آخر (اطلب العلم ولو بالطين) وفي حديث (طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة

والصيام والحج والجهاد في سبيل الله عز وجل) وفي حديث
 (أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم)
 وهناك حديث آخر دال على فضل العلم وطلبه (ان الملائكة
 لتضع أجنحتها لطالب العلم)

والآثار في الباب باب مدح العلم والتملم كثيرة لا يكاد
 يحصيها مثل هذا المختصر ولقد شبه بعض العلماء حاجة الانسان
 الى العلم بحاجة المريض الى الدواء فالعلم ضروري للنفس والتعلم
 واجب على المرء ولقد قال الامام على كرم الله وجهه (ليس
 الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك) وسئل
 ابن شهاب أفضل العلم أم العمل فقال (العلم لمن جهل والعمل
 لمن علم) وقال الشافعي رضي الله عنه (طلب العلم افضل من
 صلاة النافلة)

وأفضل العلم ما لقن في الصغر لانه يكون كما قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (العلم في الصغر كالنقش في الحجر)
 وقال عليه الصلاة والسلام في الترغيب في تعليم الاطفال
 (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيد إياه او
 جهل قبيح يكفه عنه ويمنعه منه) وقيل (من أدب ولده فقد

ارغم ضده ومن لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في
الكبر حيث يحب (لكن اذا كانت هذه الدنيا من المهدي الى
الاحد دار عمل وكدح وتجربة وتعلم لذلك لم يكن لامرئ بد
من الاستزادة فيها من العلم والنور وقد مرّ بك قوله تعالى
(وقل رب زدني علماً) والحديث الشريف (اذا أتى على يوم
لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم)
مع ان مقامه صلى الله عليه وسلم أرفع من ان يحتاج فيه الى
التعليم الديوي وانما حكاها للتشريع ككل ما جاء مثله للتشريع
للأمة وتعليمها وارشادها حتى لا يقعد بالكبير والعظيم همتها
دون الاستفادة والاستزادة من علم ينفع وحكمة تلتقط وعمل
جليل يختار ، ولقد سأل بعض الناس عالماً عظيماً من السلف
الصالح (أيحسن بي أن أتعلم وأنا كبير - فقال له ذلك العالم على
الفور - اذا كان يحسن بك أن تعيش فانه يحسن بك أن تتعلم)
وكان عطاء يقول وهو في التسعين من سنه (وددت لو اني
أحسن العربية)

فالعلم والعمل به هو السعادة الابدية لانه وسيلتها العظمي
ونقطة ارتكازها الكبرى في الدنيا والآخرة بل هو مطية

السعادة الذاتية ومنتهى لذة الحياة وتقدمها ولقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف (من طلب الدنيا
فعلية بالعلم ومن طلب الآخرة فعليه بالعلم) وقال في حديث
آخر (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤته
ومن يتق الشريعة) ولا شر شر من الجهل^(١)



والعلوم البشرية تتفاضل بحسب الفوائد التي تحصل منها
والثمار التي تجني وزيادة النفع بالنسبة الى الظروف المحددة
والمقتضيات الزمانية غير ان ما كان على العموم من العلوم
والمعارف أمس بأحوال الناس الاجتماعية وألصق بأمورهم
النفعية كالشرائع والآداب ونحوها عداً أشد وجوباً من غيره
في التعليم ثم يأتي بعده الامثل فالامثل من العلوم والمعارف
البشرية مرتبة بحسب مراتبها النفعية كالطب لحفظ صحة
الابدان وكالحساب والهندسة للزومهما في قيام المصالح وعمارة
هذا العالم ثم العلوم الكونية الطبيعية لمعرفة ما في الكون من
عجائب وغرائب وقوى واسرار ومنافع ناهيك بأن فيها وفي

(١) الاحياء والجامع الصغير وغيرهما

نواميسها الدقيقة المحكمة النظام والترتيب اجل براهين وجود
الصانع تعالى وبديع حكمته

ولقد جعلت الشريعة الاسلامية العلوم والمعارف درجات
بعضها فوق بعض فكان منها بمقتضى هذا الترتيب ما تعلمه في
نظر الشريعة (فرض عين) كالعقائد والشرائع التعبدية وبعض
التعاملية والآداب النفسانية ومنها ما هو (فرض كفاية) اذا
قام به البعض سقط عن الآخرين كالهندسة وكالطب الى
اشباه ذلك فترى من هذا ان الدين الاسلامي قد أحكم الاختيار
في تحرى العلوم بالنظر الى مصالح البشر الصحيحة مما يعنى به
وينشده علماء العصر في تبسيط أمهات الشرائع والآداب
العملية الى اشباه ذلك لانهم يرونها كما رأتها من قبل مبادئنا
الاسلامية من لوازم البشر في اجتماعاتهم وحاجتهم الى العلوم
بحسب تفاوتها في درجة نفعها ولزومها لسير العمران من
أصول الآداب الاجتماعية والشرائع ثم وسائل ذلك من
أصول المعارف الاخرى الضرورية ثم تخصيص العلوم العالية
والتعمقات الفنية بفئات مخصوصة كالتى هي في حكم الفرض
الكفائي في شريعتنا الاسلامية

ولما كان المسلمون قلالا ولأول عهدهم بالحضارة الاسلامية
 كان تحصيل العلم بينهم قاصراً على فهم امور الشريعة وآي القرآن
 واستنباط الاحكام منها ومن السنة بالتلقين والرواية والحفظ
 دون اهتمام بتدوين علومها في الاسفار والكتب ولكن لم
 يلبث الحال طويلاً على ذلك حتى غيروا تلك الحال بأرقى منها
 فكثرت تعلم الخط العربي بينهم ودونت من ثم الكتب والاسفار
 الجليلة في سائر العلوم وصار تعليم العلم صناعة من الصناعات
 تكثر وتقل بحسب الظروف المحدقة بالهيشة الاسلامية في
 تقلباتها المختلفة

واكثر اصول العلوم التي يشتغل بها المتأخرون قد أولاهها
 المسلمون من قبل عنايتهم واشتغلوا بها بقدر طاقتهم ومبلغ
 ما اقتضته تقدمات عصورهم وورقي أزمئتهم وسعة معارفهم ولكل
 أيام دولة ورجال وحال من الرقي يناسب الحال .

أما العلوم الفقهية فقد وفوها حقها بما لا مزيد عليه لمستزيد
 اصولاً وفروعاً بالنظر الى ما تناسب وقائع زمانهم وظواهر حوادثه
 وكذا العلوم الكلامية من العقائد والآلهيات ثم علم التفسير
 تفسير القرآن المجيد وعلوم الحديث حديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم علم الاخلاق وآداب النفوس والسلوك على طريقة الصوفية أو على طريقة الفلاسفة اليونانيين ثم علوم اللغة العربية من النحو والصرف والمعاني والبديع والبيان واللغة والشعر وأدواته ثم المنطق والفلسفة والجدل ثم الطبيعيات والرياضيات والطب والفلك أو الهيئة مما يدلنا على ان قومنا وسلفنا الصالح الاول لم يفهم شيء مما يشتغل به أهل الغرب اليوم من العلوم والمعارف الا بمقدار ما توسع فيه أبناء العصور المتأخرة بمقتضى ناموس الارتقاء في الاساليب والاكتشافات والاختراعات التي انبى عليها نسخ كثير من آراء المتقدمين واقوالهم لا في الاصول الحقة الثابتة ولكن في الآراء الطارئة بحسب تلك المكتشفات في العلوم الطبيعية خصوصاً.

وحيث اني هنا بصدد بيان ادب الاسلام وبعبارة اخرى بصدد ما بنى عليه من الاصول الحقة والامور العامة الداخلة في الادب الاجتماعي الانساني والتمدن البشري وبيان ما اشتغل به المسلمون قديماً وما تأدبوا به او ترقوا بتحصيله من فروع العلوم البشرية اللازمة وفاق ما رأوه في ترتيبها وأهميتها من الوجهة النفعية والمكانة العملية بحسب أحوال الهيئة الاجتماعية

الاسلامية في تلسم العصور الماضية خصوصاً فلنكتف اذن
بسرديان أهم فروع تلك العلوم التي اشتغل بها المسلمون مبتدئين
بالعلوم الخبيصة منها باللصاق بالدين فأقول .

الاول التوحيد - اختلف علماء الملة قديماً في بيان العلم
الذي هو فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل فقال الفقهاء هو
الفقه المبين للشرائع المبينة للحلال والحرام وسائر المعاملات، وقال
أهل التفسير وأهل الحديث هو علم الكتاب وعلم السنة إذ
بهما يتوصل الى العلوم كلها ، وقال المتصوفة والاخلاقيون هو
علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى والاخلاص له وآفات
النفوس وتزكيتها من الارجاس والذائل ، وقال العالم أبو طالب
المكي هو العلم بما تضمنه حديث نبي الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله الى آخره وهذا الذي اختاره أكثر أجلة
المتكلمين فيكون من أدب الاسلام ان أول ما يجب معرفته
من الفروض العينية « التوحيد » ثم « الفقه » وهذا وذلك
يقتضي النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم فوجب « التفسير » ووجب « الحديث » واذا كان كل
هذا فيا ظير من أفعال العباد والمقصود بها جميعاً تزكية الباطن

مع الله تعالى ذلك الذي جاء فيه الحديث الشريف « من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته » فمن ثمّ لزم الوقوف على آداب النفوس والعمل على تزكيتها لتنال السعادة الحقيقية ونحن اذا نظرنا الى باقي العلوم الشرعية وما بني عليها من العلوم الآلية التي جعلت كالوسيلة اليها وجدنا انها كلها متسلسلة الحلقات مفتقر بعضها الى بعض في ادب الاسلام بالمقدار المناسب للكافة في صلاح احوالهم وبالقدر الواجب للخاصة من أربابها في صناعاتها وهذا بعينه ما نراه في احوال المتأخرين فيما رأوه ضروريا من انواع العلوم والمعارف فالشرائع والآداب والمعارف الضرورية لاستصلاح احوال العالم لا بد من ان يلم أبناء الهيئة كلهم باليادى الاولية الضرورية منها من الوجهة العملية خصوصا على مثال ما نراه في التربية المصرية عند المتأخرين فيما يحتاجون اليه من العلوم والمعارف النافعة في التربية العمومية أما التعمق والتبحر في الاصول والفروع منها فيختص بأرباب الفن القائلين به والذين هم قادة وهداة لغيرهم فيه

لقد تقدم في اول هذا الكتاب في باب « أدب
 الاعتقادات » جملة مما فيه الكفاية من الوجهة العملية والنظرية
 في « التوحيد » فيما يتعلق بمبدئه اسلامياً أما تعلمه والتأدب به
 عند الكافة من المسلمين كعلم يجب تعلمه لانه فرض عين على
 كل مكلف فينحصر في معرفة العقائد الدينية واجبها وجائزها
 ومستحيلها بحق الذات العلية ذات الله تعالى القدسية ثم ما يتبع
 ذلك من العقائد وحكمه كما ترى الوجوب العيني على كل مكلف
 من ذكر واثني واولها معرفة الصفات العشرين الواجب اعتقادها
 بحق الله تعالى وهي ^(١)

الوجود ، القدم ، البقاء ، مخالفة الحوادث ، قيامه تعالى
 بنفسه ، الوجدانية ، القدرة ، الارادة المتعلقةان بجميع الممكنات
 العلم المتعلق بالجائز والمستحيل ، الحياة ، السمع ، البصر المتعلقةان
 بجميع الموجودات ، الكلام الذي ليس بحرف ولا بصوت
 ويتعلق بما تعلق به العلم ، وباقيها وهي سبعة تتعلق تعلق ملازمة
 بالصفات السبع الاخيرة منها ويقال لها الصفات المعنوية وهي
 كونه تعالى قادراً ومريداً ، عالماً ، حياً ، سمياً ، بصيراً ، متكلماً

(١) الاحياء للغزالي وشروح السنوسية في التوحيد

أما الصفات المستحيلة في حقه تعالى فهي العشرون صفة
 التي تضاد الصفات السالفة من : العدم . والحدوث . والقضاء .
 والمائلة للحوادث . وعدم القيام بالنفس . والتعدد . أو التركيب .
 والعجز وعدم الارادة . والجهل . والموت . والعمى . والصمم .
 والبكم الى آخر ما يقع مضادا للصفات العشرين الواجب التأدب
 باعتقادها في الاسلام بحقه تعالى

أما ما يجب اعتقاده بحق الرسل عليهم الصلاة والسلام
 فالصدق والامانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه الى الخلق ، ويستحيل
 في حقهم اضداد هذه الصفات من الكذب والخيانة بنقل
 شيء نهوا عنه نهى تحريم أو كراهة أو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه
 الى الخلق وقد نص القرآن في غير موضع منه على تلك الاحوال
 للرسل وامثالها « وما ينطق عن الهوى » « ولو تقول علينا
 بعض الاقاويل لاخذنا منه بالوتين » الى اشباه ذلك من الآيات .
 ويلحق بذلك تصديق ما اخبروا به من احوال الآخرة
 من الحشر والنشر والجنة والنار الى آخر ما تراه مبسوطا في
 كتب العقائد الموضوعه للكافة والمبرهن عليها عقليا ونقليا وقد
 تقدم شيء منها في اول الرسالة

أما الفقه من العبادات والمعاملات الشرعية فلازم أيضا
 لآبناء الهيئة لزوم التوحيد اصولاً للتشريع وفروعاً للعمل لان
 الاسلام إيمان وتصديق بالقلب واللسان ثم عمل بالاركان وحكم
 هذا الفقه الوجوب العيني في فروع العملية بقدر ما يعرف المرء
 به تصحيح عباداته وما في حكمها من معاملاته واحواله الشخصية
 اللازمة لكل انسان في الهيئة أما ما زاد على هذا القدر اصولاً
 وفروعاً فخكمه الوجوب الكفائي ولعمر الحق ان هذا هو اسمي
 ما يطلب لصلاح أحوال الكافة لان تفرغهم ذلك التفرغ العظيم
 المطلوب لما هم بصدده من الاعمال الحيوية والمهن المعاشية
 وطلب الارزاق والسمي بهذا كله في عمار العالم موجب كله
 لهذا قاض به بطبيعة الحال فصار انقطاع الفقهاء والمتشرعين من
 العلماء لما هم بصدده من الاصول الفقهية والفروع المستنبطة
 وتسهيل ورودها على الناس في حل مشكلاتهم ومعضلاتهم
 وتنظيم شؤونهم مهنة لهم لازمة للهيئة الاجتماعية في كل عصورها
 على حسب مقتضيات احوالها كما صار ما هو فرض عين من
 الفقه لازماً لكل مكاف لصلاح أمر دينه ودنياه بحسب تلك
 المقتضيات الزمانية حتى تكون الهيئة الاسلامية على الدوام في

ترق مستمر تبعاً للاحوال والظروف ولهذا على ما يقول الفقهاء
والاصوليون اصل كبير في الدين

ولقد مرّ بك جملة صالحة مما هو في حكم الفرض العيني
من الفقه في باب ادب العبادات من هذه الرسالة بمقدار
ما وسعه نطاقها ولا حاجة بي هنا الى المزيد وهناك من الكتب
فيه على اختلاف المذاهب ما لا يقع تحت حصر وان كان
ينقصنا منها (كتب عصرية) تناسب روح الزمان في اساليبه
واذواقه و (احواله) حتى يسهل ورود الشرع حياً على كل
وارد من الكافة من المسلمين المتعطشين لذلك المحتاجين اليه
أبما احتياج ولا إخال أحداً من أبناء العصر المهدين الا وهو
يشعر بحاجة الامة الى ذلك ويلوم القائمين بزمامة العلم الشرعي
على جمودهم واكتفائهم بالحواشي والتقارير والشروح القديمة التي
لا تناسب في تطبيقاتها احوالنا الحاضرة ولقد قال بعض قضاة
الجزائر الحاليين ان الشرع الاسلامي غير واقف وانما هو
ككل اشياء هذا العالم في ارتقاء مستمر على ان الذي ينقصه
انما هو الهمة والعزيمة من اهله حتى يجلي عن شأنه ويستوفي
حقه في الاخذ بيد الامة في تقدماتها واشيائها الحالية ولا يرمي

بالنقص عن الكمال من جماعة الباحثين الغربيين
 أما التفسير تفسير كتاب الله تعالى القرآن المجيد والذكر
 الحكيم الذي لا يفرغ جديده بالكشف عن معاني آياته
 وأسرارها الصالحة لكل زمان ومكان لأنها قد استوفت
 الاصول العامة للشرع والعقائد والآداب الاجتماعية السامية
 وتأويلها بحسب ما يظهر منها لذوى النهي وأرباب البصائر من
 الراسخين في العلم والحكمة من أبناء الملة الاسلامية فخكمه
 الوجوب الكفائي لاهل العلم الاختصاصيين وبعبارة أخرى
 لأولئك العلماء المتبحرين في كل فن من اللغة والشريعة والعلوم
 الطبيعية والفلسفية بحسب مبلغ اطلاعهم في أزمته على الحقائق
 والوقائع العمرانية والحوادث الكونية^(١) ولهذا حذر الشارع
 الحكيم من تأويل القرآن بالرأي وقال تعالى تنبها على هذا
 المبدأ (لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) حتى لا تصرف
 معاني الآيات الى آراء واحوال قد ترى بداهة العقول ومواقع
 الآيات وتناسبها واسباب نزولها أنها قد صرفت في غير حقها
 من المعنى الصريح أو التأويل الرجح كما قد وقع فيه الكثير من

(١) قد حاز قصب السبق في الباب الامام الرازي في تفسيره الكبير

الصوفية وأرباب الاشارات الامر الذي يبدو لامين كل ناقد بصير مطلع على تفسيراتهم وتأويلاتهم

على ان هذا ليس بمانع ان يكون في الآيات القرآنية معان غير ما فهم منها بظاهر التفسير أو معان أخرى تناسبها منه وقصدها الله تعالى حتى تتساوى العصور في الاخذ والاستنباط من القرآن حكمة من الله تعالى وفضلاً والقرآن كما قيل (هو السهل الممتنع والقديم الذي لا تفرغ جده) قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى ^(١) (من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم : قال على رضي الله تعالى عنه (إلا ان يؤتي عبداً فهماً في القرآن) فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ، وقال صلى الله عليه وسلم (ان للقرآن ظهراً وبطناً ومطلعاً) ^(٢) وفي هذا كفاية لقوم يعقلون

(١) الاحياء للغزالي (٢) راجع أيضاً الاتقان السيوطي ففيه

شيء كثير يؤيد ذلك او يخالفه اهـ

ونحن بأشد الحاجة الى تفاسير تطبق فيها المكتشفات المصرية
والحقائق العلمية على الآيات القرآنية ثم تأويل بعض آيات يفهم
منها بحسب الظاهر ما يخالف المجهود المؤلف تأويلاً يشفي
الصدور ويقنع العقول مما هو من مصلحة الامة وشد أزر
دينها تبعاً لسنة الارتقاء التي شملت كل العناصر خلا امثال
هذا الباب على نحو ما اشرت اليه بالنظر الى الفقه وحاجة الامة
الى كتب عصرية فيه مما هو من أشد موجبات الاسف ولو
كان فسخ الله تعالى في اجل الامام المرحوم الشيخ محمد عبده
لا تم تفسيره المصري ذلك الذي لم يظهر منه غير قطع وتنف
قليلة ولبل بهذا الصنيع صدى الامم الإسلامية في جميع
أقطار العالم

أما علم الادب - أدب النفوس وتهذيب الاخلاق العملية
فهذا ايضاً مما يجب مدارسته على انفراد وان كان مندجاً في
الاخلاق الدينية للوقوف على الرذائل لاجتنابها والوقوف على
الفضائل للعمل بها . وهو يقسم الى أدب مع النفس وأدب
مع الخلق وادب مع الخالق وسيأتي في باب ادب النفس من
هذا المختصر جملة صالحة منه بقدر ما يحتمله المقام .

ويدخل في هذا الباب علم التصوف من مجاهدة النفس
وتزكية القلوب والاعراق بطريق الرياضة والتأدب بمحضرة
الرب تعالي وتصفية الباطن والظاهر من الاكدار في جميع
الشؤون والاطوار كما قال الشاعر ملجأ
ليس التصوف لبس الصوف ترقيه

ولا بكاؤك ان غنى المغنونا

ان التصوف ان نصفو بلا كدر

وتتبع الشرع والقرآن والدينا

فالتصوف على هذا فرع علم ادب النفوس لهذا طلب
قديماً لانه كما قال احد مشايخه الشيخ قاسم الخالي (انه الوقوف
مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً) على ان القوم لما غيروا
وبدلوا وتوسموا وتطرفوا وتشددوا وتممقوا لهذا كله خرجوا
عن المبدأ الصحيح والغاية الحميدة خصوصاً متأخروا المتصوفة
فانهم نهجوا نهجاً مخالفاً للشرع وخبطوا وخبط عشواء في دياجير
البدع والجبر المحض مما جعل الادب والكمال الشرعيين المطلوبين
في علمهم هذا في واد وهم باعمالهم وافانينهم في واد آخر غير ذى
زرع ولقد جاء في الحديث الشريف هذه الحكمة العالمة الكاشفة

(أي اكم والتعمق في الدين فان الله جعله سهلاً نخذوا منه ما تطيقون فان
الله تعالى يحب ما دام من عمل صالح وان كان يسيراً)
أما العلوم الآلية التي هي وسائل ووسائط لفهم أسرار
الدين ومعاني القرآن و بلاغاته وحكمه واحوال النبوة واحاديث
سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ثم تسهيل فهم العلوم الدنيوية
فقد حدثت بالضرورة بعد عصر النبوة وتطلب العقول والرقى
الاسلامى للمتسع من الاحوال والتقدمات العلمية فشاع الخط
العربي والقراءة والكتابة تلك الاشياء التي هي ضرورة لكل
انسان ووضع علم النحو والصرف واللغة والمعاني والبيان والبدع
والعروض والقافية بالنسبة الى الشعر وتثبتت العقول بتعلم
الحساب والجبر والهندسة والفلك لضرورتها في احوال الخلق
وتصرفهم في الشؤون العمرانية الحسية والمعنوية والطب ذلك
الفن الذي عليه مدار حفظ صحة ابدان افراد الهيئة ومداواتها
من الامراض الطارئة والاستقام اللاحقة ثم العلوم الطبيعية
لمعرفة اسرار مواليدها والتاريخ وتخطيط البلدان وتدوين الاخبار
والآداب وقول الشعر وفن الموسيقى^(١)

(١) مقدمة ابن خلدون وغيرها

فهذه منها ما هو واجب تعلم مبادئه على كل انسان ومنها
 ما يخلق بان يدخل في حكم الفرض الكفائي والكمال العمراني
 فيختص به ارباب الفن الاختصاصيون حتى تنتظم احوال
 العمران البشرى وللسلف من اهل الاسلام في كل منها آثار
 جلية وماثر غراء وايد بيضاء بقدر ما وسعه حالهم واقتضاه
 نفعهم ومصالحتهم من معقول العلوم ومنقولها

والذي يلزمنا نحن ان نتأدب به معاشر اهل الاسلام
 المصريين في هذا العصر من جهة اكتساب العلوم وتحصيل
 المعارف اللازمة لرفينا ورقى هيئاتنا هو ان نتحرى بسوادنا
 الاعظم الاحاطة بالمباني الدينية التي هي فرض عين ثم ان نتعلم
 مبادئ العلوم الآلية الضرورية من الخط ومباني اللسان
 والحساب وشي من دروس الاشياء وادب النفس حتى يدخل
 احدنا غمار هذه الحياة وهو على شيء ويزاول فنه الخصوصي
 وهو على جانب من المعرفة والعلم الضروري والعلم كما قال
 الشاعر :

العلم يحيي نفوساً فقط ما عرفت من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
 العلم للنفس نور يستدل به على الحقائق مثل النور للعين

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ ادب العمل ﴾

شرف وظيفه الانسان - فضل السعي في الدنيا - الخلق مسخرون
 في اعمالهم وليسوا مخيرين - مبدأ الصناعة البشرية - حكم الصناعة في
 الاسلام - الحث على اتقان الصنائع - امهات الصنائع - الفلاحة -
 صناعة البناء وفن العمارة - النجارة والحداة - الوراقة حرفة التجارة
 - صناعة النقل - الخدم - صناعة التعليم - الطب - الغناء والموسيقى
 جمع المال من حلال .

خلق الله تعالى هذا العالم الارضى وجعل اعيانه كلها
 المنتفع بها من المواليد الثلاثة مذلة مسخرة للانسان الذى زانه
 بالعقل وحلاه بالفكر وسخره بالارادة ليعمر الارض تعميراً
 يوافق السنن الالهى المطلوب في تنظيم العالم وتنسيق اشياه
 واستخراج مواد معاشه على أ كمل وجه ولقد نطق الكتاب
 العزيز بذلك في كثير من المواضع منه ما هو على سبيل الامتنان
 للدلالة على شكر الصانع الحكيم ومنه ما هو على سبيل الحث
 لتجويد الاعمال والقيام بها في اصلاح الارض على أ كمل وجه
 يقتضيه امر الخلافة قال تعالى في خطاب بني اسرائيل « عسى
 ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف

تعملون» وقال في خطاب المسلمين « وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من
قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم » وجاء في تذييل
الارض وتسخيرها لبني آدم « ولقد مكناكم في الارض وجعلنا
لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون » « وسخر لكم ما في الارض
جميعاً » و « ذللناها لكم » وجاء في تحرى أحسن العمل في
الارض « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن
عملاً » وقال تعالى في السعي وابتغاء الارزاق بالعمل من فضل
الله « فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » « واسموا في
مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » « الله يبسط الرزق
لعباده » « وابتنا فيها من كل الثمرات رزقاً للعباد » وقال في
تقسيم الاعمال والمساعي « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا » الى غير ذلك من الآيات البيّنات والحجج القاطعات
موردة في معرض الامتنان تارة والحث على السعي في طلب
الرزق أخرى سواء بالنظر الى الجماعات أو الافراد على أكمل
الوجوه وأنتم الخلال المطلوبة مما سماه الله تعالى اصلاحاً حتى
تم بذلك وظيفة الخلافة الآدمية ويتم عمار هذا العالم ويكون

صلاح هذه الدار التي هي مزرعة الآخرة ودار التكليف في كل الاعمال الحسية من حيث الصنائع والفنون على انواعها والمعنوية من حيث الآداب والشرائع والعلوم مما العمل له كله واجب على المجموع الانساني والله ما أجل الحكمة المودعة في الاثر الشريف « اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » فالدنيا نعمة واستصلاحها واجب والشكر عليها فرض والقيام بحقوقها بالنظر الى السعى في طلب العيش بأوسط الطرق ضربة لازب قال النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الحث على العمل والسعى على الرزق « ان من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة » وأنت اذا تأملت في حقيقة الذنوب التي تجلبها البطالة والفراغ رأيتها اكثر من ان تحصى. وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسئلة وسعيّاً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » وهذا الحديث بما بني عليه من المعنى أصل في الاجتماع إذ العمل مطلوب فيه والسعى في تربية العيال مرغوب فيه بطبيعة العمران وصون النفس وتعففها من خير ما وهبت النفوس ومديد المساعدة والرغد الى فقراء ابناء

الهيئة محبوب وقال عليه الصلاة والسلام « ان الله يحب العبد
يتخذ المزنة يستغنى بها عن الناس » وقال كذلك في اتخاذ الحرفة
« ان الله يحب المؤمن المحترف » وقال ايضاً في الكسب الحلال
والبيع المبرور (أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع
مبرور) (أحل ما أكل العبد كسب يد الضائع) وقال في
فضل التجارة (عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق)
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الحث على العمل
(لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد
علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) وكان زيد بن سلمة
يفرس في أرضه فراه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له
مشجعاً على العمل (أصبت استغن عن الناس بكون أصون
لدينك واكرم لك عليهم) كما قال صاحبكم احية :
ولن أزال على الزوراء أعمرها إن الكريم على الاخوان ذوا مال
والآثار والاقوال في الباب باب فضل العمل والسعي
واكتساب المال الحلال يضيق عنها الحصر وتطول في سردها
الشروح وبجمل القول انه لا انتظام لامر هذا العالم الا بسعي
الافراد في طلب المعاش والجماعات حتى تعمر الدنيا وفاق السنن

الآلهي المطلوب ولقد أوجدت الشريعة النظمات الكافلة في كل المعاملات من حق الملكية والبيع والشراء وحرية التجارة والاخذ والعطاء وأنحت على الاحتكارات وجعلت لكل ذلك قيوداً وحدوداً عامة صالحة لكل زمان ومكان حتى يستبان حرامها من حلالها وصحيحها من فاسدها وأكثر الأصول تناسب مقتضيات كل زمان ومكان حتى ينتظم أمر الخلق ويسعدوا فيما هم بصدد من الاعمال والصنائع والمخترفات وكل المهن الاجتماعية والاعمال المعاشية التي الخلق مسخرون لها في صورة مخيرين بطبيعة حال العمران البشري قال الامام الراغب الاصفهاني :

« لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية يؤثر الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملاستها وتطبعه قواه بمزاوتها فاذا جعل اليه صناعة أخرى فربما وجد متبلاً أو متبرماً بها وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاشات ولولا ذلك لما اختاروا من الاشياء الا احسنها ومن

البلاد الا اطيها ومن الصناعات الا الطفها ومن الاعمال الا
ارفعها ولتناجزوا على ذلك ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلاً
مسخراً في صورة مخير فالتاس اما راض بصنعته لا يريد عنها
حولا كالحائك الذي يرضى بصنعته ويعيب الحجام والحجام
الذي يرضى بصنعته ويعيب الحائك وبهذا انتظم امرهم كما قال
تعالى «فتقطعوا امرهم بينهم زمراً كل حزب بما لديهم فرحون»
واما كاره لها يكابدها مع كراهيته اياها كأنه لا يجد لها بدلا
وعلى هذا دلّ قوله عليه الصلاة والسلام «كل ميسر لما خلق
له» بل صرح تعالى بقوله «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا» وقال «وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وقل كل
يعمل على شاكلته» ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «لن يزال
الناس ما تنافسوا فاذا تساوا واهلكوا» والتفرق والاختلاف
في نحو هذا الموضع سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق
كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها التي لولاها لما حصل
لها نظام فسبحان الله ما أحسن ما صنع وأحكم ما أسر وأتقن
ما دبر ولهذا قيل من حق من قبض له صناعة مباحة فرزق
منها ان يراعيها على ما يجب كما ما يجب وعليه قوله عليه الصلاة

والسلام « مَنْ زُرِقَ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَلْزِمِهِ »^(١)

فترى من هذا ومن أمثاله الكثيرة في أقوال حكماء الأمة
الاسلامية ومن استقرأ حال التمدن الاسلامي إبان ازدهائه
واشراقه أن ما وُجدَ في كتب القوم مما يخالف هذا بظاهره
من الانقطاع عن العمل والتفرغ للعبادة جملة ليس من المبادئ
الاسلامية البتة وقول بعض الباحثين الغربيين بالحمل على ذلك
أن الصلاة الاسلامية لتخلو حتى من طلب المعونة على الرزق
استغراقاً في العبادة ليس بالذي يدل على ذلك الذي يطمنون
به على الاسلام وجملة القول انه لم يرد بهذا أمر من الله ورسوله
بل كره الاسلام الكسل وحرّم التبطل ومقت صاحبه وفضل
عليه رجل العمل وصاحب الشغل وحكاية ذلك الرجل الذي
كان يلزم المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح
الصحابة له بالفضل في العبادة حين مات وتفضيل النبي صلى الله
عليه وسلم من كان يعوله عليه شهيرة في كتب السنة والله ما أبلغ
هذه الحكمة المعزوة الى لقمان الحكيم فيما وعظ به ابنه وقد
أوردها مؤلفو العرب للنصح والارشاد قال « يا بني استغن

(١) الدررمة الى مكارم الشريعة للامام الاصبهاني

بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد قط الا اصابه
ثلاث خصال رقة في دينه وضمف في عقله وذهاب مروءته
وأعظم من هذه الثلاث استحقاف الناس به «

على ان قيام هذا العالم الانساني بطبيعة النظام الطبيعي
للعمران البشري وما ركب في الانسان نفسه من أجله من
غريزة التنازع على البقاء التي تفسرها تلك الخصال من الحرص
وخوف الفقر ليتج القيام بالعمل ويبعث النفوس على الجهد
والكد واحتمال كل التكاليف الادبية والاجتماعية لتحصيل
الاقوات والارزاق مما يفسره قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم « الناس من خوف الفقر في الفقر، فالعمل والسعي واجبان
انسانياً والاسلام يحث عليهما والارزاق مع ذلك بالمعنى الاسمي
يبد الخلاق ومن تعطل او تبطل لاي سبب وبأية حجة فقد
انسخ عن الانسانية وصار في حكم الموتى او الاعضاء الشلاء في
جسم الهيئة الاجتماعية وكذلك الامة التي يكون هذا شأنها في
مجموعة تلك المجموعة من بني الانسان والاسلام أجل وأعظم
من ان يكون في مبادئه ما يجمعنا بهذه الصفة المحقرة والله تعالى
يقول مخاطباً لنا « كنتم خيراً امة اخرجت للناس » لا بأجسامنا

واحسابنا ولكن بمبادئنا وجودة اعمالنا



والاعمال الدنيوية التي بمزاوتها اخلق مشغولون لتحصيل
 الاقوات والارزاق وتقويم اود الحياة من المطعم والملبس
 والمسكن ونحو ذلك وما يتفرع عنها من اسباب التمدين والتأنيق
 في الحضارة هي الصنائع والحرف البشرية وامهات الاعمال
 الانسانية لان الله تعالى للحكمة العظيمة في ايجاد الانسان
 وعمله لم يخلق شيئاً من امتعة هذه الدنيا وارزاقها واقواتها مهيناً
 بحيث يستغنى عن صنعة الانسان لتلك الحكمة من ايجاد عمله
 المبني على العقل واستخدام قوة الفكر وترفع الاذواق والتأنيقات
 وتوزيع الشؤون العملية بخلاف الحيوان الذي يتغذى من
 النبات بغير معالجة او طبخ مثلاً ولا يحتاج في بدنه الى ملبس
 او مسكن وقصر مشيد بل يقنع بالصحرى والكهوف مسكناً
 ولباسه شعره وجلده بعكس الانسان ولا سيما الانسان المتمدن
 او الراقى فانه يحتاج في هذا الصدد الى انواع كثيرة من الصنائع
 المختلفة المرتبط بعضها ببعض والتي يتكون من جملة اصول
 التمدين وبالتالي دعائم العمران المادي والرقى وهي وان اختلفت

في ارتقاآتها بحسب الازمنة والامكنة فان وجود اصولها
 ليعهد في الهيئة الاجتماعية منذ وجد هذا الانسان وحكمها في
 النظام الاسلامي وبموجب الشريعة المحمدية انها من الضروريات
 وبالتالي في حكم الفرض الكفائي لحكمة تبادل المنافع ومنتوجات
 الاعمال التي الخلق مشتغلون بها قائمون عليها في تحصيل المعاش
 بالاضطرار في صورة الاختيار كما تقدم في قول الامام الراغب
 ولقد كان للسلف الاسلامي عناية بالصنائع التي اشتغلوا
 بها واعتمدوا عليها في رقيهم بقدر ما وسعه مبلغ تقدمهم وتحرروا
 فيها بنسبة احوالهم الكمال والاتقان الذي ندب اليه الشارع
 الحكيم عليه السلام «ان الله يحب الصانع الحاذق» ولا معنى
 لهذا وغيره مما جاء بهذا المعنى سوى حث الهمة لتحرى الاستجدادة
 والاتقان في الاعمال والصنائع مراعاة لما تطلبه الاحوال
 العمرانية الارتقائية في تقدمها بنسبة التقدّمات اللاحقة الطارئة
 على أنواع الصناعات الانسانية عند أهلها واختيار أساليبها
 الجيدة واشيائها الجديدة على الدوام لنوال المزيد في الربح والرواج
 فضلاً عن بلوغ الكمال العمراني الذي هو اسمى ما يطلب
 من الانسان بمقتضى قطرة ووظيفته على ظهر هذا الكرة .

والصنائع البشرية التي يعتمد عليها أكثر الناس في
 تحصيل العيش والكسب كثيرة لكثرة فروع الاعمال
 المتداولة بين البشر بحسب اوساط بلدانهم وأقطارهم المختلفة في
 أشياءها ومنتوجاتها وأحوال ارتقائها وان رجعت الاصول في
 الصنائع الى عدة فئات ترى لدى كل البشر على السواء وهاته
 الاصول ترجع الى اربع أو خمس صناعات ولنقصر القول على
 تلك الاصول الجامعة مما يناسب حال كل عمران فان التكلم
 على متفرعاتها ومتولداتها التي تارة تكثر وتارة تقل بحسب
 أذواق كل عصر وكل مصر وحركته الاقتصادية وتقدمه
 المادى والمعنوى مما لا يمكن حصره ولا ضبطه وان أوجبت
 المنظمات الاجتماعية بين شرعية ووضعية تحرى اشياها ليسعد
 البشر فيهم بصدده من الاعمال وأسباب السعادة والغبطة
 الدنيوية

ولقد قسم بعض العلماء قديماً كابن خلدون^(١) وغيره
 الصنائع البشرية والاعمال الانسانية الى ثلاثة أقسام
 (١) الصناعة

(١) مقدمة بن خلدون

(٢) التجارة

(٣) الامارة

وأدخلوا في كل طائفة منها ما يناسبها من أنواع الصنائع التي من أمهاتها وأولها « الفلاحة » التي عليها مدار تحصيل الاقوات بالقيام على الزرع والضرع وتربية الحيوان الداجن المنتفع به . وقد جاء في مدح الزراعة آثار كثيرة واوجدت لها الشريعة والنظامات الاسلامية القيود والحدود كحقوق الملكية والارتفاق والمزارعة والاستئجار والسقيا كما وضعت عليها زكاة الزرع والحيوان والخراج الى اشباه ذلك للصرف على المصالح العامة ولقد جاء في مدحها وفضلها في معرض الامتنان آيات من القرآن بينات وقال صلى الله عليه وسلم « التمسوا الرزق في خبايا الارض » على ان مما يجب ان يتنبه له المسلمون إنما هو ترقية أعمالهم الزراعية بحسب الاساليب الحديثة والطرق الجديدة لان ذلك بمقتضى ما هو مشروط من تحرى الخدق والمهارة في الصنائع وتجويد الاعمال في حكم الواجب الذي لا مندوحة منه حتى تفيض أراضيهم المشهورة بجودة التربة في أكثر بقاع الاقطار الاسلامية بالخيرات العظيمة والفيوضات

العمية ولا يجعلوا للكسل والضعف اكتفاء بالاساليب القديمة
العملية القاصرة سلطانا عليهم فيفوتهم استدرار الثروة العظيمة
من أكبر مصادرها وأهم ينابيعها بالنظر الى أحوال بلادهم
الزراعية

ومن أمهات الصناعات البشرية صناعة البناء، التي
احتاج اليها الانسان منذ أن وجد تقريباً لاقامة المساكن
وتشييد الاماكن التي يتخذها لمنافعه من الاواء اليها والانتفاع
بها في مصالحه. وفن العمارة تقلبت عليه أحوال كثيرة وتغيرات
جمة بحسب ادوار التمدن البشرى ولقد كان لاهل الاسلام
فيه اليد الطولى بقدر ما احتمله مبلغ رقيهم والآثار التي خلفها
أهل الاسلام في جميع أقطاره وما حوت من نقوش وزخارف
تشهد لهم بانهم برعوا قديماً في فن العمارة بقدر ما وسعته احوال
عصورهم وانه ليجدر بالمسلمين الآن ان يطلبوا ترقى ذلك الفن
عندهم لانه من أعظم مظاهر العظمة الدالة على كمال الارتقاء
وسبيل ذلك ليسر لهم عملياً وعملياً اذا أرادوا ان ينهضوا ليمشوا
الرقى المصرى جنباً الى جنب في اشياؤه النافعة وهذا الفن او
تلك الصناعة تضم اليها عدة صناعات أخر متممة لها كما هو معلوم

مما ينبغي ان يشملها هي ايضاً الترقى المحبوب بالتبعية لذلك .
 وصناعة (التجارة) وصناعة (الحدادة) من الامهات ايضاً في
 الصنائع البشرية وهي تخدم صناعة البناء وصناعة الفلاحة كما
 تخدم البشر في حاجاتهم الكثيرة الاخر من مثل الادوات
 والعدد المنتفع بها في كثير من الشؤون الحيوية والصناعية ،
 وقيامها بمعالجة الخشب والحديد والنحاس ونحو ذلك وتهيئة تلك
 المواد بحيث ينتفع بها في تلحم الشؤون المختلفة سواء كانت عدداً
 للعمل او أدوات للمنافع الحيوية . هذا وغير خاف ان تقدم
 هاتين الصناعتين في أوروبا قد بلغ أشده بخلاف الشرق
 لا كتفائه بما اعتاده من قديم بحيث صار الفرق بيننا معاصر
 أهل الاسلام وبين أهل الغرب في مضمار تينك الصناعتين
 كالفرق بين الطفل الصغير والرجل الكامل الشديد البطش
 والقوة فضلاً عن مهارة اليد والعقل وهذا لا يجيزه شرع ولا
 عقل والمصلحة الذاتية للمسلمين قاضية بالترقى في مثل هذه
 الشؤون الحيوية للتساوى بأهل القوة طلباً للنجاح والفلاح في
 مضمار الحياة الانسانية بين الشعوب العصرية فمن ثم يجب على
 المسلمين ان ينشدوا الكمال في الصناعة وينشطوا لتحري روجها

بواسطة الاكثار من انشاء المدارس الصناعية على الطراز
الجديد والمصانع والا اتموا ولحقهم وزر الخاملين وحرمان
المقصرين المهملين .

ومن أمهات الصنائع البشرية كما لا يخفى صناعة الغزل
والحياكة ، ثم الخياطة ، وكلها لولاها ما لبس انسان ولا
تأنتق متأنق في ثيابه او فرشته المنجدة من الاصواف والابوار
أو القطن والحرير والتيل ويلحق بها صناعة الصباغة والصبغة
بالالوان والنقوش وهذه وتلك كلها منحة الآن عند المسلمين
بعد ان كان لهم فيها القدر الممل والشأن كل الشأن فيخلق بهم
بالنظر الى تلك الاحوال التي سبقهم فيها الغرب أيما سبق ان
يشمروا عن ساعد الجد ويطرحوا أسباب الكسل والتواني
ليحبوا أمثال تلك الصناعات عندهم على مقتضى ما جرى عليه
الغربيون من الطرق والاساليب الجديدة والعدد المسهلة وانه
ليعار عليهم أن يستغنوا بالمنسوجات الاوروبية عن احياء صناعة
الحياكة ومستلزماتها في بلدانهم وهي التي تخرج الى أوربا بمادتها
الاصلية من القطن والصوف والحرير وان نقصتها مادتها الثانية
من الفحم والعدد والالات العاملة فيها بحسب الطرق الجديدة

ولقد يدخل في هذا النقص نقص الصناعة في البلدان الشرقية
 « صناعة الوراقة » اي الكاغد المنتفع به في الكتابة والطباعة
 ونحوها فان البلدان الاسلامية قد فقدت منها هذه الصناعة
 بالمرّة مع انه ليس من غنى عنها البتة لانه اذا احتيج الى الكتابة
 والخط احتيج بالبداهة الى الورق ، وصناعة الطباعة الحديثة كما
 كفت العالم مؤونة الخطاطين والنساخ فقد زادت الحاجة
 بنسبة رواجها عندنا الى صناعة الكاغد ناهيك بمنافعه الاخرى
 في الشؤون التي يتعلق بها في التجارة

وحرفة « التجارة » من مهمات الصنائع البشرية والتجارة
 محاولة تنمية الاموال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء في
 مثل غلة زرع او حيوان او قماش او ما أشبه ذلك من عرض
 التجارة وذلك القدر النامي هو الربح ، المحاول اخذه وللتجارة
 بالنظر الى اعمالها المختلفة واحوالها الدقيقة القيود والحدود
 الضابطة في الشريعة في باب البيوع والشركة والمضاربة الشرعية
 وما أشبه ذلك وفي معاطاة التجارة مزالق قد يوجد بها الغرور
 والطمع ولذلك نبه الشارع الى الصدق في المعاملة وآدابها الجليلة
 من تجنب الغش والخديعة وتطفيف الكيل والاجحاف واكل

اموال الناس بالباطل ثم المكايسة في المعاملة ، واليقظة المطلوبة
للربح غير مانعة على وجه ما من الصدق والامانة وملازمة
الحق في الاخذ والعطاء على الوجه الشرعي المطلوب في كل
الشؤون بموجب ادبنا الاسلامي

ومن الصنائع المهمة في العمران حرفة «النقل» للآدميين
وأشكال الحاصلات والمستغلات والتجارات في البر والبحر وهذه
الحرفة من الاهمية بالمكان العظيم بحيث أنها لو نقصت في بلد
عن مقدار حاجته لتعطلت كل أحواله وحركانه التجارية وأيما
بلد سهلت فيه وسائل النقل راجت أعماله ونمت أشغاله وتقدم
وأرتقى بنسبة ما فيه من حركة ، ونظرة في التاريخ الاسلامي
تكفي لان يعلم المسلم المعصرى منها ما قام في تلك الايام الماضية
من مبلغ قوة حركة القوافل العربية والسفن الشراعية والاسواق
العظيمة لتصرف أنواع التجارات والمحصولات في سائر الاقطار
من أقصى الشرق الى السواحل الاوروبية مما استلم القيادة
فيه الآن الاوروبيون بعد انحطاط الدول الاسلامية ولقد
زادت حركتهم التجارية بما اخترعوا من سكك الحديد وسفن
البخار والتلغراف والتلفون والتلغراف اللاسلكي الامر الذي

يجدر بالاقطار الاسلامية على اختلاف بقاعها ان تتشط
وتستفيد منه وتعتمد على مثله في جميع حركاتها العمرانية
واعمالها الاقتصادية ولا عذر للمسلمين لا شرعي ولا عرفي
يمنعهم عنه ويحول بينهم وبينه الا اذا كان ما التزموا من كسل
وركنوا اليه من خمول كاذب يذهب بريحهم .

ومن الحرف اللازمة « الخدم المتبادلة » في المنافع
والاشغال المتباينة وكل الشؤون الحيوية المتنوعة وهي ذاهبة كل
مذهب وبواسطتها أيضاً قام العمران ولقد اوجدت لها الشريعة
بحسب الاحوال والمقتضيات الحدود والقيود في الاجور
والكرآت كما دوت بصددها القيود في القوانين المدنية الحديثة .
ومنها صناعة « التعليم » وهي من أشرف الصناعات في
الهيئة بحسب الادب الاسلامي وفضلها ومزيتها في الهيئة اجل
من ان يذكر ولها بالنظر الى المعلم والمتعلم آداب جليلة مشهورة
ومن أمهات الصنائع والحرف اللازمة في الهيئة « صناعة
الطب ، اي ذلك الفن الذي يشارك صاحبه اهل العلم في فضلهم
واهل الصناعة في نفهم وانتفاعهم ، وصناعة الطب ضرورية في
الهيئة وتدخل في فروض الكفايات في الاسلام حتى يوجد في

الهيئة من يداوى اسقام بنيتها ويسوس امورها الصحية وسلامة
أبدانها المطلوبة شرعاً وعرفاً بمقتضى قوانينها الصحيحة ويلحق
بصناعة الطب فن « الصيدلة » تركيب العقاقير والادوية
اللازمة للطبيب .

ومنها صناعة « الغناء وفن الموسيقى » وهذه قد وجد لها
أصل إباجة ورخصة في الدين وقد برع فيها جماعة من أهل
الاسلام قديماً أيما براعة وهي ضرورية لتنشيط النفوس
وتطريب القلوب وانعاشها في الاوقات المعينة وانه ليدخل فيها
بل هو من اجل مہذبات النفوس مع ذلك فن التمثيل ذلك
الفن الذي عرف الغريون فضله فوفوه حقه اتقاناً وتحسيناً .

هذه هي أمهات الصنائع الانسانية بحسب ما اعتمد عليه
في التمدن الاسلامي وحث عليه في ادبه الاجتماعي ونظامه
العملي وما ينطوي تحتها من فروع الاعمال والمهن شيء كثير
جداً كان يكثر ويقل بحسب الظروف وانواع التأنقات في
الحضارة كما نراه الآن في الغرب ، ولقد استنبطت في الشريعة
الاسلامية كل القيود والحدود والآداب اللازمة لتمشية النظام
في كل الاعمال والصنائع وكسب المال وراحة الافراد فيما سخرها

فيه منها وما تعاملوا به من أجلها بمقتضى قواعد عامة وأصول
يوجد فيها الخلف كما قد وجد فيها السلف ما يرقى جاهلهم وينظم
شؤونهم بحسب المقتضيات متى ما راعوا حسن الاختيار
وسلامة الاذواق المصرية ولكل عصر شأنه بلا حرج وكل
هذا يدلنا معاشر أهل الاسلام على فضل ما عرف من أدب
العمل عندنا وحث عليه من السمي والكدرح في التماس العيش
وتحصيل الرزق بأي من انواع الصناعات الشريفة الممهودة في
المجتمع بحسب ميل الشخص واستعداده منذ الصغر وليس
في الاسلام من حرج أو قيد وحائل يحول دون الترقى في
الصناعات على اختلاف أنواعها وتطلب المزيد من المهارة
والخندق في الاعمال وتجويدها المطلوب شرعاً كما انه ليس
هناك ما يمنع اكتساب المال بالسعي والتوفير في الدرهم والدينار
المكسوب من حلال إذ ذلك كله مطلوب مرغوب فيه شرعاً
طلباً لقوة الافراد والجماعات ما دامت مراعي فيها الحقوق
والواجبات التي عليها، كما قد أوجدت الشريعة في الارث فيها
أجود النظمات الاجتماعية كما يرى في كتب الفقه والموارث
أو الفرائض .

فلكسب العيش وتحصيل الارزاق بل لنوال الفنى والسعادة
والغبطة في هذا العالم لا بد للمرء بحسب أدب الاسلام من
عمل يعمل فيه وحرفة يحترفها وصناعة يمارسها بحسب اختياره
للحرية العظيمة التي في المبادئ الاسلامية وإذ قد جعل الله في
الدرهم والدينار سر ما به قوام كل الاشياء وتقدير قيمها وتبادل
منافعها فكانه بحسب العرف القديم والحديث صار هذان
النقدان الكريمان نوعا من الثروة والمال العامل الدائر في كل
الشؤون الجالب لخير الاشياء الموفى كلا حقه بقدر عمله ومبلغ
ما اعطى من النفع لغيره من صناعة أو سلعة وأخذ منه في مقابلها
وحيث صار من خصائص النقادين الكريمين هذه الفضيلة
وتلك المزية من بين الاموال البشرية فلا جرم وجب على كل
امرئ عاقل ان يدخر ويوفر لنفسه منها ليزداد قوة في عمله
وحيطة للاحوال الطارئة في كل شأنه وايامه المستقبلية وعدم
صرفها إلا في حقها وبالمقدار اللازم ولقد ذم الكتاب العزيز
الاسراف والمسرفين في الاموال قال تعالى « والذين اذا أنفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أي في الحد الوسط
المعتدل وقال تعالى مخاطبا الامة في خطاب النبي صلى الله عليه

وسلم « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتتعد ملوما محسوراً » فجمع بين النهي عن البخل والشح
المذمومين المؤدين الى الضن بالحقوق كما نهى عن بسط اليد
الذي ينتهي الى السرف المضيع للمال الموجب للوم النفس والذم
والحرمة . وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « لئن تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكفون
الناس ، ولا وسيلة الى ذلك بغير اقتناء الثروة وادخار المال

ولم يكتف النظام الاسلامي والادب المحمدي بالحث على
هذه الفضيلة فضيلة التدبير والاقتصاد بل أوجبت الشريعة
الحجر على السفهاء حتى تحفظ عليهم أموالهم التي أتحت لهم
« ولا تعطوا السفهاء أموالكم اللاتي جعل الله لكم ، وجعلت
حكم السفيه عن عتته أو اسراف حكم الصبي الذي لا يحسن
التصرف وتجب الوصاية والقيامه عليه ولله ما أجملها من حكمة
عالية في التشريع كتلك الحكمة العالية في الموارث وجودة
مبدئها في توزيع المال

وخلاصة القول ان العمل واكتساب المال على انواعه من
وجوهه المشروعة مع اداء الحقوق المفروضة على المرء فيه

والاعتدال في النفقة والصرف وادخار الاموال للايام وكبار
الاعمال هو القطب الذي تدور اليه رحى هذه الدنيا في عمارها
والمبدأ الذي رمى اليه الاسلام في أدبه العالي وتعاليمه السامية.
فتأدب أيها المسلم المصري بهذه الآداب وليكن لك حزم
وعزم في العمل والكسب واكتساب المال الحلال وحسن
تديره وتوفيره والقيام عليه لانه قوة لك والبطالة والفقر
والسرف ضعف بل موت يتناول الشعوب كما يتناول الافراد
فليفتقه القوم وليأخذوا بقول الشاعر الحكيم الذي يقول :
للمال عندي جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب



❖ الباب الخامس ❖

❖ أدب المعاشرة ❖

الانسان مدني بالطبع - أصل الاجتماع بحسب المبدأ الاسلامي -
 الزواج - فوائد الزواج - التربية - كراهة الزوج بلا قدرة بأكثر من
 واحدة - لزومه للجمهور - أركان الزواج - آداب الزواج - الخصال
 التي تحرى في الزواج - ادب العشرة بين الزوجين - تدبير المنزل -
 الادب مع الوالدين - أدب المعاشرة مع الاخوان وعموم الهيئة -
 حسن الخلق - الصداقة - اختيار الاصدقاء - حقوق الصحبة - حقوق
 وآداب الهيئة الاجتماعية - حقوق الجوار

قال الحكماء ، الانسان مدني بالطبع ، أى انه لم يخلق
 ليعيش افراده عيشة الانفراد كما أكثر جنس الحيوان بل لا بد
 له من الاجتماع ببني جنسه على الصورة المعهودة ليأنس بهم
 ويأنسوا به متكافلين في الاعمال متضامنين في المساعي بواسطة
 ما ركب فيهم من قوى عالية هي موهبة الآله لصفوته من
 خليقته على ان كثيراً من انواع الحيوان كما دل عليه الاختبار
 قد يشارك الانسان على نوع ما في فضيلة العيش جماعات الا
 انها تختلف عنه في الكيفيات والترتيبات المبنية على قوة الفكر
 والعلم والعمل المحكم فالقرود التي تعيش مجتمعة وأسراب الفيلة

وبقر الوحش والقطا والنمل والنحل لها كلها عيشة اجتماع تشبه على نوع ما اجتماع الانسان ولكنها مهما يكن من حالها فانها لتخالفه في الاحوال المبنية على العقل الخصيص بالانسان في تربيته وحسن اختياراته ولا غرو وهو البالغ الذروة العليا في سلسلة الارتقاء

ولقد نبه القرآن المجيد على هذا الاجتماع الانساني وآدابه المختلفة في مواضع منه بذكر الاقوام الماضية والشعوب الغابرة قال تعالى في تفاضل الشعوب « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقال في التعاون الصحيح « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وبين كذلك حال العشرة القريبة في النسب والمصاهرات والقرابة وهناك أجمل حديث في أدب الاجتماع وحقيقة مبدئه في التكافل والتضامن بين ابناء الهيئة الواحدة وهو حديث « المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً، وفي الآية القرآنية الشريفة « انما المؤمنون اخوة فاصالحوا بين اخويكم » ما يرمي الى هذا الفضل في المساواة والآخاء بين المؤمنين حتى لا يكون لاحد فضل على آخر الا بالتقوى وهي جماع الخير وهالك ايضاً حديث آخر جميل في

المعنى وهو الحديث الشريف القائل « مثل المؤمنين في تواددهم
وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر
بالجمل ، والله ما أجل هذا التعبير في شعور الامة الحية وتعاطفها
على ذاتها وحبها على ذلك



واول رباط في العشرة « الزواج ، وقد جمعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سنته فقال عليه الصلاة والسلام
« النكاح من سنتي ومن رغب عن سنتي فمرد رغب عني »
والزواج أفضل ما يكون في الهيئة الاجتماعية وحفظ قوامها
متى ما بلغ المرء سنه ووجد القدرة عليه ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ، وهو أفيد ما يكون بالنظر
الى العفة المطلوبة والتحسين المرغوب وقد نبه عليه في القرآن
المجيد وجاء في الحديث « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتنق
الله في الشطر الثاني »

وفوائد الزواج في الهيئة الاجتماعية خمس (١) « إيجاد الولد ،
بقاء للنسل وحفظاً للجنس وهو الاصل في حكمة الزواج حتى

(١) الاحياء للغزالي

لا يخلو العالم من جنس الانس وانما وجدت الشهوة بحسب
الطبيعة التركيبية المحكمة كالمستحث لذلك والباعث عليه كما
يلاحظ شوق التلقيح في الاشجار وجاذبته بين الذكر والانثى
وكما يشاهد ميل الحيوان الى السفاد لهذه الغاية الحكيمة غاية
بقاء الاجناس لعمار هذا العمار الارضي وان كانت تلك الرغبة
لتوجد على اكرمها واعفها في الانسان وهو رأس الخليفة وسلطان
المخلوقات وخلاصتها المصطفاة ولذلك خوطب بالعفة والحكم
على النفس في حال عدم القدرة على الزواج في ادب الاسلام
« فليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله »
ولقد جاء في الحديث الشريف لتلك الحكمة حكمة تكثير النسل
(تناكحوا تناسلوا) وفي التوراة مثل ذلك أيضاً. ولهذا الحكمة
لم يخرج امر الزواج ويعلق من جهة ثانية على الفقر المخرج
فقال تعالى (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله)

ولمراعاة هذا السنن الالهي والواجب الطبيعي لم ير في
احوال المسلمين ولا في شريعتهم امر الرهبانية او العزوبة الدائمة
الا للعدر الشرعي بل قد وجد بالصد من ذلك لمصالح اجتماعية

وأدبية سامية اباحة ورخصة في (تعدد الزوجات) الى اربع
 للقادر الواحد حتى تسد الشهوات ونزعات النفوس ولا يكون
 لغناها وقوتها به سبيل الى الفساد والزنا وهو المحرم شرعاً وعرفاً
 المفسد لحوال الاجتماع المردي بالهيئة المشين للافراد المضيع
 للانساب وهذا السبب من سد الحاجة الطبيعية (هو الفائدة
 الثانية) للزواج حتى تكسر الشهوات وتحصن النفوس وتلزم
 العفة المطلوبة شرعاً وقد تقدم الحديث (من تزوج فقد أحرز
 شطر دينه) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استطع
 منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)
 ففي الزواج فضلاً عن فائدة ايجاد النسل فهد غائبة النفوس
 وصيانتها من الوقوع في الفساد فساد الاخلاق والوقبات
 المفسدة لحال الاجتماع

الفائدة الثالثة (ادخال الراحة على النفس والهناء والسعادة
 بالتأنس والمداعبة والملاعبة وترويح القلب بذلك حتى ينصرف
 قلب المرء ولبه وسمعه وبصره عن غير حلاله وحتى ينشط
 ويتفرغ لعمله المعاشي في نهاره لان النفس ملول وترويحها
 بالسرور والهناء العائلي ضروري لترتاح الى القيام بتكاليف الحياة

المطلوبة متى روت بأمثال تلك اللذات الدنيوية المرغوبة
ولذلك جاء في الخبر (لا يكون العاقل طامعاً الا في ثلاث تزود
لمعاد وحرقة لمعاش ولذة في غير محرم) وقال الامام علي كرم الله
وجهه (روحوا القلوب ساعة فانها اذا اكرهت عميت) وجملة
القول ان السرور العائلي الذي ينشده الآن أرقى المجتمعات
الحالية من آداب الاسلام وبالتالي من فوائد الزواج المقصودة
في تعاليمه السامية ومبادئه العالية

الفائدة الرابعة - تدير المنزل فان المرء لينصرف همه عنه
اذا وجدت له زوجة صالحة تعمل هم خدمته من الطبخ واللباس
والفرش والكنس وتنظيف الاواني وبالجملة تهيئة كل لوازم البيت،
واذا كان ذلك من فوائد الزواج وحكمته في ادب الاسلام
فلا جرم وجب من أجله (تربية) الفتيات تربية منزلية صحيحة
تعلمن القيام بواجباتهن المنزلية عند ما يصرن نساء لرجال
الامة وهم بذلك يوفرن على الرجال أوقاتهم ويخلصن لهم
الراحة حتى لا تتعذر عليهم مهام أعمالهم وتذهب أوقاتهم ولهذا
جاء في الحديث الشريف (من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن
واحسن اليهن حتى يغنين الله عنه أوجب الله له الجنة البتة

البتة) وما الاحسان اليهن هنا الا بحسن تربيتهن ، فالمرأة
الصالحة المصلحة للمنزل عون للرجل من هذه الوجة في سائر
عمله ولقد فسر بعض المفسرين الحياة الطيبة في قوله تعالى
(فلنجيئنه حياة طيبة) قال هي المرأة الصالحة أى المدبرة لامر
بيتها بما يجب الراحة والهناء لاهله ويدخل السرور على
نفوسهم

الفائدة الخامسة - مجاهدة النفس وحثها على زيادة
التنشط في السعي على الارزاق والكسب الحلال فان المرء متى
ما علم وشعر بحمل وقر البيت والاهل والولد على عاتقه زاد
نشاطه واقدامه على الكسب والربح حتى يقدر على اعالة عائلته
وتربية اولاده والعمل لمستقبلهم وفي الحديث تلك الحكمة الرامية
الى هذا الغرض (كالم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)

واذا كان الزواج بهذا المقدار من الاهمية في الهيئة
الاجتماعية وجب ان تتخذ له العائلات عدته من قبل باحسان
تربية البنين والبنات والنظر الى مستقبلهم في الاعمال والواجبات
من حيث ايجاد الاعمال للاولاد مما تقوم به حياة البيوت
من المهن والصناعات النافعة ثم تعويد البنات وتربيتهن على

الكمال البيتي بحسب الاذواق المصرية علماً وعملاً وبذلك
 تصفو الحياة للعائلات وتحصل السعادة للذرية . في الخبر (ان
 اول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة اهله وولده يوقفونه بين يدي
 الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجمل
 وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم) وفي الحديث ايضاً (لا يلقى
 الله احد بذنب أعظم من جهالة اهله) وهذا صريح في وجوب
 تربية الاهل والولد والعمل لمصلحتهم والتخلق معهم بالاخلاق
 الحسنة التي تعدى الى نفوسهم والشجر على اصولها تنبت
 ولهذا الغاية الشريفة من حسن تربية الاولاد واعالة
 العيلة كره السلف عادة الزوج اذا لم يكن للمرء قدرة على القيام
 باعباء البيوت وتكوين العائلات لعجزه عن التكسب او لتفاهة
 مادته او فقدان الثروة الكافية للقيام باثقال البيوت وتربية العائلة
 بنسبة الاقدار والمقامات في الهيئة . فذلك الفقير الذي لا يسمعه
 غير تقويت نفسه ويمجز عن نفقة غيره يكره له الزوج الا بعد
 التمكن من القدرة على اعالة الزوجه حتى لا يقع في (اثم من
 يضيع من يعول) وجاء فيمن يخلص من اهله ويهرب من نفقتهم
 (ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لن تقبل له

صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم) فالذي لا يقدر على القيام بهذا الواجب العائلي بنسبة حاله يكره في حقه الزواج وتحمل ائقال العائلة (وليستغفب الذين لا يجدون نكاحاً حتى يفنهم الله من فضله)

أما من لم يكن بهذه الصفة - وهم في الغالب الجمهور الاعظم من رجال الامة ذوي الاعمال وارباب الحرف والصنائع أية كانت - فلا شك ان الزواج بحقهم متى ما بلغوا سنه المستوفي واستوفوا حقهم من القدرة بنسبة بيثهم - أفضل لهم واحصن لنفوسهم وأصلح وأسد في أحوال الاجتماع البشري ولقد تقدمت حكمة ذلك وفوائده من بقاء الجنس وبمباراة أخرى تكثير عدد الامة وراحة النفوس وتدير مصالح البيوت وزيادة النشاط والتقوي في الاعمال .

وأركان عقد الزواج في الاسلام محل أي زوج وزوجة وولي وصيفة كما هو معلوم وشروط صحته صداق وشاهدان عدل والشروط في الولاية والرضا وصيفة العقد وباقي المندوبات مستفيضة بها كتب المذاهب والسنة^(١)

(١) راجع الخرشني والشرح الصغير

أما الآداب الإسلامية في الزواج ومندوباته فكثيرة منها
تقديم الخطبة لا في حال «عدة» المرأة المعتدة (حتى يبلغ
الكتاب أجله) ولا في حال سبق غيره بها إذ قد ورد النهي
عن الخطبة على الخطبة كما نهي عن المواعدة سرّاً (ولكن
لا تواعدوهن سرّاً) ومنها أن يلتقي أمر الزوج إلى سماع الزوجة
أي المخطوبة وإن كانت بكراً ويستحب النظر إليها قبل النكاح
للتأليف والتأديم بين الزوجين حتى قال بعض العلماء «كل تزويج
يقوم على غير نظر فأخره هم وغم، وهذا كثير ولكنه غير مطرد
أما الأخلاق فتستوصف للزوجين وتحري على قدر الامكان
وفي هذا من أمر الاختيار والانتقاء في الزواج سواء بالنسبة
إلى الرجل أو بالنسبة إلى المرأة جاءت آثار جليلة وسيأتي منها
بعد شيء

أما ما يحرم نكاحه في الإسلام بالنظر إلى الارتباطات المانعة
كما جاء في الآية (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم الأخ) فمعلوم
من الآية ومفصل في كتب الفقه ومعمول به عند المسلمين
كافة غير أن البلوى عامة طامة من جهة الرضاع في هيئتنا
الاجتماعية الحالية فليحذر منها لضررها وإثمها

والخصال التي يلزم ان تتحرى في الزوج والزوجة كثيرة فالرجل ينظر اليه من جهة خلقه وخلقه واقتداره وهو ما يعبر عنه بالكفاءة التي ينبغي على الولي ان يتحراها فيمن يخطب اليه قال صلى الله عليه وسلم النكاح رقة فلينظر أحدكم أين يضع كريمته ، أما الخصال في المرأة فهي ان تكون حسنة الخلق جميلة الخلق حسنة التربية صحيحة البنية للولد عفيفة دينة لانها اذا كانت شرسة الطباع اتعبت زوجها ونقصت عليه حياته ، وان كانت دميمة الخلقه جعلت نفسه تتطلع الى محاسن الناس فربما وقع في المحذور المنهي عنه واذا كانت فاسدة التربية لم تصالح شأن بيته ولا تربية اولاده ، واذا كانت غير ولودفاته الفائدة الاولى من مشروعية الزواج للولد ، وان كانت غير عفيفة افسدت على نفسها وعلى زوجها واهلها وتلقت صيت عائلتها وشرفها والبسها ثوب الخزي والعار بارتكاب المحرم ولهذا كله ولتلافي شأنه ولتفادي الوقوع في الفتن في الهيئة وجد النهي عن اظهار الزينة لغير محرم وتقرر الحجاب الشرعي للصيانة ثم ملازمة البيوت إلا لضرورة في الخروج مع مراعاة الحشمة وكال ادب والوقار لدى الخروج الى الاسواق

على ان من يتأمل في احوال النساء الحالية عندنا ويشاهد
كثرة تبرجهن وتزينهن عند الخروج من المنازل وهذا الحجاب
« الشفاف » الذي يضعنه على الوجوه فيزيدها حسنا وجمالا
ربما خلت منه وزينة وحلية ربما كانت مفقودة منها فضلا عن
كونه لا يستر منهن الا قليلا مما يخالف الحكمة في الحجاب
وآيته الصريحة المقصود بها الحشمة والعفاف ان من يرى هذا
كله للأسف على تلکم الحال الرديئة الدالة على نقص التربية
الشرعية الصحيحة وجبذا لو كانت وكان ما يطلبه حضرة العالم
الفاضل قاسم بك امين صاحب كتاب تحرير المرأة لانه لو
ربيت الفتيات المسلمات تربية صحيحة لما اندفعن بالقدوة السيئة
من الامهات والصويحبات في تيار التبرج « تبرج الجاهلية الاولى،
الفاضح مما ليس في شئ من الاذواق المصرية ولتحشمن
وعرفن قيمة الجمال الحقيقي في الخلق قبل الخلق وما الذنب في
هذا كله إلا على العادات الرديئة التي لصقت بالعقول والنفوس
فافسدت حال الجنسين عندنا فايك ايها الشاب المسلم المصري
في مسألة الزواج وخضراء الدمن
ولمثل هذا السبب حث الشارع الحكيم على تطلب ذات

الدين والحسب والنسب كما حث على الولود الودود وما المقصود بالنسبة الى احوالنا الراهنة إلا الفتاة المتصفة بالادب والكمال وهذا لا يكون على أفضله عند الفتيات والفتيان إلا إذا صحبه التهذيب والادب النفسي بالتربية والقُدوة الحسنة مما حث عليه في أدب الاسلام كثيراً .

ولقد كرهوا من جهة اخرى تطلب ذات المال عند الزواج طمعاً في مالها لانهم عدوا ذلك قلة مروءة من الرجل ولأن المال قد يأسر غالباً لطمع الزوج ارادته أو يجعلها أقل مما هو مطلوب لكمال السلطة في العائلات من ظهور سلطة الزوج أو التوقير لمقامه وحسن سعيه بجده واجتهاده على أهله ومما يستحب في أحوال الزواج قلة « المهور » والاقبال مما يقدم عادة في مقدماته وبدائياته من التحف والهدايا لان التوسع في ذلك بعد من قبيل الاسراف الذي لا فائدة منه ولا موجب له ، وكذلك حفلة العرس ينبغي أن تكون على كل حال متوسطة في « وليته » لا كما هو متبع اليوم في الزواج والاعراس وحفلات أفراسها الطنانة الرنانة التي كثيراً ما نسمع بما يعقبها من الحسرات والندامات

والآداب المطلوبة من الزوجين وان كانت لتفهم مما
تقرر سابقاً من القواعد في الزواج وآدابه إلا أنني أذكر منها
هاهنا ما هو المطلوب فيها بالذات لتمام الإلفة ودوام المحبة بين
الازواج (١) الامر الاجتماعي الذي أجمعت العقول وآداب
الاجتماع عند الامم قاطبة على وجوبه وأول ذلك تحسين الخلق
بين الزوجين لتصفو لهما المودة وتحسن بينهما العشرة ولقد حث
الشارع الحكيم الطرفين اى الزوج والزوجة على ذلك ورغب
في التساهل والتحاب باحتمال بعض الهفوات والسقاطات العائلية
فيما يشجر عادة بين الازواج كما جعل لطاعة الزوجة عظيم
الاهمية لهذه الغاية حتي جعل نظر الزوجين الى بعضهما كفارة
للدنوب وان نفور المرأة من زوجها يوجب عليها عند الله الوزر
العظيم والذنب الجسيم وفي الآية الشريفة صريح الامر
بالمعاشرة بالمعروف بحق الرجال « وعاشروهم بالمعروف »
ولقد كان آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم عند احتضاره
مما يتعلق بالعناية بالصلاة والرقيق والنساء

الثاني المداعبة والملاعبة بادب وحشمة لادخال الرجل

(١) الاحياء للغزالي

السرور على أهله في الاوقات التي تسمح له بالجلوس بين عائلته
وفي الحديث الشريف « اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً
والطفهم بأهله »

الثالث ان يتوسط في الانبساط فلا يجعل من مداعبته
وملاعبته سبباً لسقوط مقامه واحترامه في نظر زوجته ومهابته
من نفسها فالاعتدال مطلوب والتوسط محبوب وهذا أمر ربما
كان لكل امرئ فيه ذوقه انما على كل حال فان التكبر
والنظرسة التي قد تلازم بعض النفوس غير المترية مذموم كما
ان الحط بالنفس والتدلى بها مع الزوجة لدرجة تجعل المرء
« مسخرأً » مذموم جداً والحكمة بين الاطراف والمحبة
واطمنان النفوس ثم

الرابع - الاعتدال في النفقة والصرف وهو مطلوب في
كل شيء من الرجال والنساء وما المرأة المدبرة في بيتها
الحريصة على أشياءها الحازمة في كل تكلم الشؤون الاربعة الدار
بالمعنى الحقيقي وما المرأة « الانانة » التي تكثر الانين والتشكي
وه المانة ، التي تمن على زوجها بما تصنع معه في بيتها أو تلك
المرأة « الحدافة » التي تشتهي اليه كل شيء تراه أو تلك « البراقة »

التي لا هم لها الا تصقيل الوجه وتزجيج الحواجب وتكحيل الميون
 مما يشغلها عن مهام بيتها الا شر نساء هذا العالم قديماً كان
 أم حديثاً مما لا يغير خلقهن فيه الا جودة تربيتهن

ويدخل في هذا الباب من أدب العشرة عشرة الزوجة
 والنفقة مسألة الطعام فلا ينبغي للمرء ان يتناول طعاماً مشترى
 له أو نحوه الا ويطعم منه أهله وولده أما في تناول الطعام
 العادي اليومي فيفضل أن يجتمع المرء فيه بأهله وولده على
 مائدة واحدة ليزداد سروره بهم وسرورهم به

الخامس - الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادئ الامور
 التي تخشى غوائلها ثم لا يبالغ مع ذلك في اساءة الظنون لان
 سوء الظن الذي نهى عنه الكتاب العزيز ان بعض الظن
 إنم، لما يتخلله غالباً من الاوهام الباطلة فلا ينبغي ان تجسس
 بواطن الامور بالتنقيب والمضايقة التي ربما أضرت من حيث
 قد يراد بها المصلحة ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
 تتبع عورات النساء أو ان تبغت وقال في امر الغيرة الكبيرة
 ان الغيرة غيرة، لانها في الحقيقة تضر بالرجال والنساء معاً اما
 الغيرة المتوسطة من الطرفين المشروطة آنفاً فمدوحة لانها من

الشهامة والمروءة الموجبة لصالح الامور واستقامتها ولهذا جاء في الحديث الآخر ، ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ،

السادس التعليم تعليم الزوجة ومذاكرتها المعارف الضرورية الدينية والدنيوية ولا ريب في ان هذا من افيد ما يكون في الباب وقد سهل أمره في هذا العصر بانتشار الكتب والجرائد والمجلات ويستحب ان تكون المدارس والمطالعة بحضرة الاولاد لانه يكون ولا ريب من افيد ما يكون فيما يراد من أمر تربيتهم وتهذيبهم وتثقيف عقولهم الصغيرة على المبادئ القويمة الروحية والدنيوية

السابع - تأديب الاولاد وتربيتهم تلك التربية العائلية الكريمة فاذا جاء له مولود ذكراً كان او اثنى فينبغي له ان يفرح به ويسر على حد سواء (بعكس حال ما كان عليه أهل الجاهلية من كراهة البنات ووأدهن تلك العادة الوحشية التي أبطها الاسلام) وأن يحسن العناية بشأنه ويعق عنه ويختنه اذا كان ذكراً ثم يحسن تربيته والقيام بحقه الى ان يبلغ مبلغ الرجال وكذلك البنت حتى تبلغ مبلغ النساء والآثار والاحاديث في فضائل

الباب باب تربية الاولاد وافلاذ الاكباد اكثر من ان تحصى
 الادب الثامن - اصلاح ذات البين فيما قد يشجر بين
 الأزواج وهذا معلوم حكمه بالنسبة الى التحكيم تحكيم الاهدل
 في ذلك كما جاء في الآية الشريفة (فابمشوا حكماً من أهله وحكماً
 من أهلها) وما أحكمه من مبدأ او قاعدة تراها جارية الآن في
 كل الشؤون عند أولئك الغربيين الذين أخذوا آدابنا وعملوا
 بها ونحن لا نعمل بها اللهم الا ما كان من قشور جامدة
 وبواسطة ذلك يمكن الصلح بين الزوجين في غالب الاحيان بعد
 النظر في شكايه الطرفين ومعرفة المحق من المحقوق منهما.

واصلاح ذات البين بين الناس عموماً وبين الأزواج
 خصوصاً من أعظم ما حث عليه الشارع الحكيم وندب اليه
 الا اذا كان قد وجد بالنسبة الى الأزواج ان لا سبيل الى
 الاصلاح الا بالتفريق بينهم بالطلاق ذلك الذي أباحه الله شرعاً
 لاجزافاً كما اعتادته عامة المسلمين الآن عندنا بل لاسباب
 قسرية ولهذا جاء في الحديث انقض (الحلال الى الله الطلاق)
 وهو قد يقع مرتين وفي الثالثة لا بد من الفراق البتة ولا يمكن
 الرجوع الا بعد زواج المرأة بآخر وفي أحوال المسلمين الحالية

في أمر الطلاق والزواج والنفقات ونحو ذلك مساوٍ لا تحصى ولتقهاء السوء فيها فتاوى يالها من فتاوى..

الادب التاسع - العدل بين الزوجات اذا كان للمرء اكثر من زوجة الى اربع كما ورد به الجواز بشروطه غير أن مسألة العدل بين الزوجات من أصعب الامور التي قل ان يتصف بها على التمام انسان فلهذا كان الاقتصار على الزوجة الواحدة من افيد واحكم ما يأتي امرؤ في حياته الاجتماعية كما تقدم



اما الآداب بحق ذوي القربى^(١) من الوالدين (بالوالدين احساناً) والاخوة وسائر القرابة وما لهم من حق على المرء فمن اوكد ما حث عليه الشارع وجاء به أدب الاسلام الشرعي فلقد جاءت الآيات القرآنية حاثّة على ذلك آمرة به وكذا الاحاديث النبوية الكثيرة الواردة في بر الوالدين وحسن القيام بحقوقهما والادب معهما وصلة الارحام والتجيب اليها تودداً وتعظماً قال صلى الله عليه وسلم في حديث في فضل صلة الارحام (من سره أن ينسأله في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه)

(١) الاحياء للغزالي

اما عقود الوالدين وعدم القيام بحقوقهما وتوقيرهما
 ورحمتهم (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً
 واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
 صغيراً) وكذا جفاء ذوي القرابة وتقاطعهم وتدابيرهم وتشاخصهم
 فكل هذا من أممات الخصال والعيوب وشر الرذائل والسخائم
 التي ورد النهي الشديد عنها وبئست الخصال ولا دواء المتفشية
 الآن بين المسلمين هي



ثم انه لما كان لكل انسان في احوال المعاشرة والمخالطة
 والالفة الاجتماعية غير اهله وعائلته اخوانه واصدقاؤه وابناء
 هيئته الاجتماعية ولهذا الخلطة والمعاشرة الضرورية في النظام
 الاجتماعي الاسلامي حقوق وآداب حجة وجب لهذا على كل
 انسان الاتصاف بها لينتظم حاله وتحسن كل شؤونه والمرء كما
 قيل قليل بنفسه كثير باخوانه وما اخوان المرء بالمعنى الاعم الا
 أهله وناسه واخوانه ثم عموم بني جنسه

واعظم مؤثر في الالفة الاجتماعية على الاطلاق (حسن
 الخلق) كما جاء في الحديث الشريف انه ما عبد الله بافضل منه وقد

حث عليه الدين كثيرا لانه موجب للتحاب والتآلف والتوافق
 في كل الاحوال الاجتماعية بخلاف سوء الخلق فانه مؤدٍ الى
 التباغض والتدابير والتحاسد وانتقاص الاقدار ولقد مدح الله
 نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق الذي تؤلف به القلوب
 قلوب الامة بقوله تعالى (وانك لعلی خلق عظیم) وفي الحديث
 الشريف (اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق)
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة بن شريك حين
 سأله عن احسن ما اعطى الانسان فقال عليه السلام (حسن
 الخلق) وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب ادب النفس
 فحسن الخلق بما يقصد به هاهنا من التواد والتحاب
 التآلف والتجاوز والصفح في بعض الاحوال المعينة هو عين
 مكارم الاخلاق التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو
 مثمر لا عظم أمور الارتباط وهذا يكون من التقوى النفسية
 الملازمة للنفس والاذواق الكريمة التي تكتسب من الاتصاف
 بأجمل الاحوال التعاملية إما من طريق الدين واما من طريق
 الآداب الاجتماعية قال الله تعالى (لو أنفقت ما في الارض
 جميعاً ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم في مدح أصحاب الاخلاق الفاضلة (أقربكم
 مني مجالساً أحاسنكم أخلاقاً الموطون اكنافاً الذين يؤلفون
 ويؤلفون) وقال أيضاً (المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن
 لا يالف ولا يؤلف) وقال عليه السلام فيما يحرم على المؤمن
 من المؤمن (إن الله قد حرّم على المؤمن من المؤمن دمه وماله
 وعرضه وإن يظن به ظن السوء) والاحاديث في الباب باب
 التحاب الاجتماعي في الله والمودة بين الناس والاخوة والصدقة
 كثيرة والآثار الاسلامية فيها عظيمة ونفعها في مصالح الهيئة
 الاجتماعية والامور الدنيوية والدينية اشهر من ان تذكر.



هذا هو الشأن العام في الإخاء القومي والمعاشرة الاجتماعية
 بالمعنى الاعم أما الصداقة بالمعنى الإخص في الهيئة الاجتماعية
 الانسانية فقد تكون أدق وأمتن ما يكون في الباب من حيث
 اتحاد المشارب والاذواق تبعاً لتلك الخاصية او الجاذبية في
 النفوس المعبر عنها بالمناسبة والمشاكله لان الناس أشكال وأمثال
 (وشبهه الشيء منجذب اليه) بحكم السن والمماثلة في العمل
 والمشاكله في الذوق ونحو ذلك ولقد أوجد في أدب الاسلام

آداب في باب الصداقة والصحبة تعتبر كقواعد عامة لصالح
الاحوال ودوام المحبة واختيار الاصحاب والخلان لان للنور
النفسي بالظواهر الخداعة مفعوله في الصداقات الكاذبة فيندفع
المرء في الشرور بتأثير هذه الصحبة وتلك الصداقة فتكون
العداوة بناء على هذا خيراً منها وأفضل ولهذا قد نبه على
البنغض في الله كما جاء الحث على الحب في الله لانه من المعلوم
ان من يحب لشيء فبالطبع يبغض لقيام ضده فاذا وجد
للمرء صديق واقع في بعض المعاصي والردائل الشائنة كره ذلك
منه ووجب عليه شرعاً وعرفاً نصحه وحثه على تركه والاقلاع
عنه والا انتهى الحال بالطبع الى القطيعة والهجران عادة هذا
اذا كان للصديق المستقيم قوة ارادة وعزيمة وأما اذا كان
ضعيفاً فربما جره ضعفه وقوة صديقه الى ممالأة صديقه الواقع
في الردائل والمساوى فيسبح معه في تيار واحد وهو الغالب
فيما نشاهد الآن من خداع النفوس وغرورها وسهولة طروء
العدوى ولذلك جاء في الحديث الشريف المرء على دين خليله
فلينظر أحدكم من يخالل ، ولهذا أيضاً وجبت صحبة الاخيار
ممن يتصفون بالاخلاق الكريمة والخلال الجميلة كاشتهار بعلم

أو أدب أو حسن خلق أو تقوى جامعة فهو لا، يكتسب المرء
من صحبتهم ويستفيد بقربهم في أخلاقه الفوائد الجليلة بعكس
مصاحبة الحمقى والمتنطمين ولا سيما أرباب الفساد والشر ولعمري
ما أبلغ هذه النصيحة وتلك الحكمة في اختيار الصاحب التي
فاه بها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال « عليك
باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة
في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما بقلبك
منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين من القوم ولا
امين الا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا
تظلمه على شرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله ، وقال
جعفر الصادق « لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على
غرور ومثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب
والاحمق فانك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك
والبخيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون اليه . والجبان فانه
يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو أقل
منها »

واللطائف في الباب باب اختيار الاصحاب وانتقاء الاحباب

ممن توفرت محاسنهم وكملت مروءتهم كثيرة في كتب الادب
 والمحاضرات الاسلامية المتداولة فلا نطيل فيها وقد صنف ابو
 حيان التوحيدى المشهور في المعنى رسالة جليلة دعاها «الصدقة
 والصديق» وهي متداولة وقال المتنبي في فضل الصديق الصدوق
 وما بلد الانسان الا الموافق ولا أهله الا دنون غير الا صادق
 اما حقوق الصحبة وآدابها التي يجب الوفاء بها قياماً بحق
 الصداقة فقد يمكن حصرها فيما يلي: (١)

(١) الحق في المال قال النبي صلى الله عليه وسلم « مثل
 الاخوين مثل اليدين تغسل احدهما الاخرى » يريد المعاونة
 في الشؤون المالية بالاقتراض والمعاونة الى اشباه ذلك ولو
 وصل الحال الى الايثار على النفس مما بلغت اليه حال المرءة
 الاسلامية على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدح حالهم
 فيها في الكتاب العزيز «الذين يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
 خصاصة» ولنا فيما جرى من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاركتهم لهم في
 الاموال اعظم برهان على ما قام قديماً عند المسلمين من تلك

المروءات والمنايات الآلهية مما لا يمكن تبعاً للاحوال
الاجتماعية والاصطلاحات الشرعية والعرفية أن يقوم مثله
الآن لان لتلك الاعمال احوالها التي كانت مطلوبة لها والتي
كانت الامة في حاجة إليها أما في مثل الاحوال اللاحقة
والعرف الذي نحن عليه فهذا الحق درجات لا تخرج الا بالميزة
القليلة عن دائرة سائر المعاملات بين الخلق مراعاة لشأن
الصدقة وامر الاخاء وثقة النفوس وتوددها وسقوط التكليف
بين الاصدقاء

(٢) الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات حاجات الاخوان
ولها درجات في الفضل قد تبدى بسؤالها من الصديق
وتنتهي على افضلها في قيامه بها ابتداء لمجرد علمه بها وقدرته
عليها مع ابداء الارتياح والبشاشة وقبول المنة واطهار الفرح
والسرور لتسر أفتدة الاصدقاء ويدخل في الباب السؤال عن
الاخوان إذا غابوا وعيادة مرضاهم فانها كلها من أوكد الحقوق
في الصحة واحرى ان تدوم بها المحبة والمودة .

(٣) السكوت باللسان عن القدح في الاصحاب فيما يعد
تقيصاً لشأنهم وخطاً من كرامتهم او اغتيالهم بما يكرهون في

نفس او عرض او مال ولا يكتفي بذلك بل يجب رد غيبة
الاصدقاء بالدفاع عنهم فضلاً عن نشر الثناء عليهم بما هم اهله
مع إبلاغهم ما يسرهم مما يكون قد اطرى عليهم به والمجال من
المدح والثناء الحق .

ويدخل في باب نصح الصديق اذا رآه قد وقع بلسانه
في منكر من بداء او خنا فيها بلطف ولين عنه ، وكذا ان
شاهد منه جنوحاً الى اقتراف محرم من شرب خمر او تدهور في
رذيلة فان هذا من اوكد الحقوق واجمل الآداب وافضلها مع
الاخوان والاصدقاء فضلاً عما فيه من ثواب عظيم عند الله
ويدخل في ادب الباب من باب اولى الامتناع عن
التشائم والتشاحن والمرء والمزاح الثقيل ، ثم التجسس والتخسس
واساءة الظنون فان تجنب هذا كله من موجبات زيادة الإلفة
وتوثيق عرى الصداقة والاخلاص ودوام المحبة . قال صلى الله
عليه وسلم : لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله إخواناً ،

وعلى الجملة فانه يجب معاملة الصديق بما يجب المرء ان
يامله به صديقه وهو النصفة بالحق ولقد قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم حديثاً كريماً حب لا خيك ما تحب لنفسك،
 ولا شك ان الصديق انما ينتظر من صديقه الاخلاص وستر
 العورات والنصح ورد الغيبة والابتعاد عن النيمة المحرمة شرعاً
 واجب احدثكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً، والابتعاد عن المراء
 والتسفيه قال بعض السلف (من لاحي الاخوان وماراهم قلت
 مروءته وذهبت كرامته) وفي الحديث الشريف (ذروا المراء
 لقلة خيره وذروا المراء لان نفعه قليل وانه ليهيج العداوة) ولا
 شك ان الممارسة تسقط مروءة الانسان لان من يريد ان يظهر
 بمزيد العقل والفضل على الاخوان واحتقار المردود عليه باظهار
 جهله أو تجهيله وتسفيهه موجب للتضييع والقطيعة مورث
 للعداوة ولقد قال الحسن رضى الله عنه حكمة جليظة في المعنى
 قال (اياك وممارسة الرجال فانك لن تعدم مكر حكيم أو مفاجأة
 لئيم) أما المذاكرة والمجادلة بأدب والمسامرة والمناظرة بلطف
 ورقة فمدوحة ومفيدة جداً

(٤) النطق بحلو الكلام وتعود محاضرة الاخوان بما
 يذيع المحامد والمحاسن وينشر بين الاصدقاء لطائف الحديث
 وأطياب الكلام والسمر بأدب وحشمة مع ترك هجر القول

وبذاء اللسان والتجھيل والممارسة على نحو ما سلف وبث لطايف العلم والمعرفة والمطارحات والمخاورات فيها بعقل وكال وتخليل الحديث بشيء من لطيف المزاح ورقيق الملح والنكاهات الادبية بلطف وادب وهو مبدأ كريم من أفيد ما يخرى لدوام الانتفاع بالصحة والصدافة وإيناس الانفس المتحابة وتطيبها وانعاشها .

(٥) الاغضاء عن صغير الهفوات واغتفارتافه الزلات مما لا يخلو منه انسان ولا يوجب قطيعة ولا يقتضى هجراً ولقد تقدم ان النصح عند وقوع الصديق في الرذائل لازم في السر والخفاء وعدم التشهير والتسفيه له شفقة وحنانا واجب لانه لا شور نائرة الكراهة والبغضاء في النفوس الا من هذا الجانب فاذا قدرت على تقويم اود الصديق واقالته من عثراته وزلاته وانتشاله من احواله على هذه القاعدة فقد فزت بأجل ما يشكره لك الناس والله تعالى . أما تلك السقطات الخفيفة فيكفي فيها مجرد التنبيه عليها بكل لطف ورقة لتدوم المودة وتوثق عرى المحبة واعلم أنك ان تسبق صديقاً قط اذا أنت اكثر عليه من الملامم والتعنيف في كل شيء وزدت في التأنيب كما

قال الشاعر مظهراً لحال أكثر الناس في تلحم الصغار .

ولست بمسئوب أخلاقه على شعث أي الرجال المهذب

(٦) الاخلاص والوفاء وهما من أوكد ما تدوم بهما

الصحة وتعرف بهما المروءات في الهيئة الاجتماعية فاذا بلغ

امرؤ مرتبة أعلى من مرتبة صديقه فليداوم على مودته

واخلاصه له ولا يصرم حبال صحبته معه وإن بعدت بينهما الشقة

في العشرة مراعاة للمقتضيات أما الوفاء فهو الثبات على الحب

حال الحياة وبعد الممات بالتعطف والتلطف على اولاد الصديق

وعليه قال النبي عليه الصلاة والسلام « قليل الوفاء بعد الممات

خير من كثيره في حال الحياة »

(٧) التخفيف وترك التكليف من أجمل الآداب وأعظم

الاصول حتى لا يتحمل على الاصدقاء بالزيارات ولا بالتكاليف

ولا بالتغالي وإظهار مالا يقدرون على القيام له بمثله في الضيافات

والحفلات الاخوية خصوصاً قال بعض الحكماء « من جعل

نفسه عند الاخوان فوق قدره فقد أثم وأثموا ، ومن جعل

نفسه في قدره تعب وأتعبهم ، ومن جعلها دون قدره سلم

وسلموا » ولن يتم التخفيف الا باطراح التكليف خصوصاً وإن

عرف المرء فضل نفسه أو عظم ذات يده على صديقه وهذا هو التواضع المحبوب ومن تواضع لله رفعه



هذه جملة حقوق الصداقة وآداب الصحبة أما حقوق الهيئة الاجتماعية والآداب المطلوبة بين عموم أبنائها على حد سواء في كل معاملاتهم وأحوالهم فلها أصول ولها مبادئ أدبية واجتماعية بالنظر الى المعاشرات والمعاملات والجوار^(١)، فالخلطة التي تقتضيها مطلق المعاشرة والمعاملة الاجتماعية أحسن ما يكون فيها أن تبني بحسب القواعد الاسلامية التي ساوت بين الطبقات في الحقوق والواجبات على كرم الاخلاق وحسن المعاملة بالبشر وطلاقة الوجه والمروءة في الفعل والتلطف في المقال ومما يزيد الإلفة بين الناس افشاء السلام ولين الكلام وتجنب الأذى باللسان والافعال مصداقاً للحديث الشريف « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » والتجاوز عن بعض السقطات وتوقير ذوى المقامات والاعمار والبر والشفقة على الضعفاء والمساكين واغاثة الملهوفين واصلاح ذات البين

(١) الاحياء للغزالي ونحوه

بين المتشاجرين وإزالة المنكر للحديث المشهور من رأى منكم
 المنكر فليزله الي آخر الحديث فهذا وأمثاله مما يدخل في باب
 المروءة الانسانية من الآداب الصحيحة الاسلامية وأفعال
 الخير الشريفة ليصدق على أفعال أبناء الهيئة وافرادها في
 شعارهم وكل معاملاتهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 - وقد تقدم ايضاً - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل
 الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائرهُ بالحمي » وهو حديث
 كما تقدم كله حكمة ناطقة بلزوم التضامن والتكاتف بين أبناء
 الهيئة والتزام الشعور الراقى وكريم الاحساس أو الشفقة والرحمة
 والغيرة الانسانية والتضامن القومي مما ترى آثاره في الغرب
 تكاد تلمس باليد والشرق مع ذلك ابو عذرتة والآثار في الباب
 وحقوق المسلم على المسلم كثيرة

أما المعاملات في مطلق الشؤون التعاملية - والدين
 المعاملة - فيجب فيها الصدق وأداء الامانة التي حملها الانسان
 والابتعاد عن الخيانة والمدل في الاخذ والمطاء والوفاء بالمهود
 والوعود كما نطق به الكتاب العزيز والانصاف من النفس
 وان يصحب الناس بما يجب ان يصحبوه به قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء «يا ابا الدرداء احسن مجاملة
من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن
مسلياً»

ومن الآداب الاسلامية الجليلة ان لا تدخل البيوت
في الحاجات الا بعد الاستئذن من اهلها كما تراه اليوم في
الآداب الغربية وهو واثم الحق من المبادئ الاسلامية كما في
الآية الشريفة «لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم الا أن يؤذن لكم»
وكذا الاطلاع على أسرار الناس في مكاتبتهم منهي عنه عندنا
جاء في حديث «من أطلع على كتاب أخيه بغير أمره فكأنما
أطلع في النار»

ومنها ان يبدأ بالسلام قبل الكلام حتى مع أهل بيته وان
لا يبدي استهزاءه بأحد من خلق الله ويتجنب البذاء في كلامه
والهجر والسخف في أقواله وان يجالس الناس بأدب وحشمة
ووقار ويعطى كل انسان حقه من الاحترام والتوقير ولا سيما
العزاء والعلماء والشيوخ ويفسح في المجالس لمن يقتضي الحال
والمقام اجلاسه ولو مكانه كما لا يتصدر في المجالس ولا
يزاحم أحداً في الطريق ويسعى في اماطة أذاه باي واسطة

وان يغيث الملهوف كذلك ولقد جاء في الحديث الشريف
 « من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة واحدة
 فيها صلاح أمره كله واثنان وسبعون له درجات يوم القيامة »
 ثم الشفقة على الحيوان الأعجم ومنها مراعاة الأدب والكمال
 في مخاطبة النساء وغيض الطرف عن محاسنهن وعدم مشافهتهن
 بقبيح وصيانة الاعراض والذود عن الحریم واحترامه ، قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حمى أخيه المسلم
 بعث الله تعالى ملكاً يحميه يوم القيامة من النار »

ومنها البر بالمساكين ومد يد الرشد والمساعدة الى الفقراء
 والمعوزين على قدر الطاقة واطعام المرضى وذوي الفاقة قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم « من أطعم مريضاً شهوته أطعمه الله
 من ثمار الجنة » ومنها الافراج عن المعسر وقد جاء في حديث
 « من أراد ان تستجاب دعوته وان تكشف كربته فليفرج عن
 معسر » ولقد تفضل في الصدقات صدقة السر على صدقة الجهر
 كما يفضل البر المصري من اعانة الجمعيات الخيرية التي تتكفل
 بحسن توزيع الصدقات طريقته القديمة حتى لا تكثر في الامة
 طائفة الشحاذين من الكسالى والذين يسألون الناس الخافا

ويفسدون أخلاقهم بأيديهم بالتسول والتكفف وهم بعد في غنى ومتسع من صحة البدن والقدرة على الشغل والعمل .
 أما حقوق الجوار^(١) — ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً بالجار حتى كاد يورثه كما أوجد أصل الشفعة في الشريعة مراعاة لراحته — فهي من أشرف الحقوق وأجل الآداب الإسلامية وفي الحديث الشريف « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » ولقد جعل من تمام حق الجار ليس ان يكف المرء عنه أذاه فقط بل ان يتحمل ما يمكن أن يحتمل من أذاه وجملة حق الجار وآداب الجوار أن يبدأ المرء جاره بالسلام إذا لقيه ويسأل عنه اذا غاب ويصنع معه في الفرح والترح ما يصنع مع صديقه وينصحه في زلاته ولا يتطلع الى عوراته ويحفظه في اهله ولقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث كله حكمة عالية بعض تلك الحقوق للجار حسبما نصت عليه الآداب الإسلامية الشريفة قال عليه السلام « أتدرون ما حق الجار إذا استعان بك أعتته وإن استنصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن مرض عدته

(١) الاحياء للغزالي

وان مات تبع جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته
مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا
بأذنه ولا تؤذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل
فادخلها سرّاً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذنه
بقطار قدرك (رائحة طعامك) الا ان تعرف له منها . ثم قال
أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا
من رحمه الله »



﴿ الباب السادس ﴾

﴿ أدب الحكومة ﴾

النظام طبيعي — العدل اساس الملك — الاصول اللازمة في
 الحكومة — الحكومة النيابية في الاسلام — بسط رواق الامن —
 العدل وضبط احوال الرعية — ضرورة انتقاء العمال بالكفاءة —
 الرشوة علة فساد الشرق قديماً — تنظيم الجندية من اهم دعام
 الملك — ولاية القيادة على الجند — مهمة الدولة في العلم — لضمان
 سير الامور — آداب الملوك الخاصة — شأن الوزير — آداب الوزير —
 اختيار العمال — حاشية الملوك ومقابلاتهم — طاعة السلطان —
 احترام السلطان في شخصه .

اذا كان هذا الكون المحكم بموالمه من افلاك وسيارات
 وكواكب ثابتة أو شبه ثابتة ونيازك ساجحة وعناصر مؤتلفة
 ومختلفة أو شبه مختلفة انما يقوم كله على نظام ويدور بمقتضى
 تدبير محكم يحوطه بدقة وترتيب عجيب مع ان صانعه الله تعالى
 قادر على ان يمسكه بقدرته بلا رجوع الى أسباب عاملة أو
 نواميس ضابطة من حركات وسكنات وجاذبية عامة الى اشباه
 ذلك مما هو تقدير العزيز العليم فاحر بالانسان وهو بشؤونه
 الاجتماعية ذلك الكون الاصغر ان تكون كل احواله واعماله

العامة جارية هي ايضا على نظام يدير شؤونه ويسوس اموره
 تلك الشبيهة بالاختيارية فمن ثم اقتضت ارادة الله سبحانه وتعالى
 أن لا يصلح الناس فوضى بل لا بد لهم من سلطان وازع
 وشرع نافذ منه سماوي ومنه ارضي بذاقضت سنة الله في
 خلقه منذ القدم وفي كل الشعوب والامم ولن تجد لسنة الله
 تبديلا ولهذا قيل السلطان ظل الله في الارض

بالعدل والنظام قامت السموات والارض وبالعدل والنظام
 تكون الحكومات الانسانية على الارض في جميع ما هو مطلوب
 من شؤونها اللازمة منها والواجبة عليها ومبدأ القرآن فيما يتعلق
 بالنظام الاجتماعي دائر على محور اقامة العدل وحسن تدبير
 الشؤون في سياسة الخلق لحب الله له فضلاً عن مبدئه
 الديمقراطي في الحرية والمساواة بين المسلمين ، فسياسة المصالح
 وتدبير الامور وفاق مبادئ الحق ونواميسها الصحيحة بحسب
 الظروف والمقتضيات في الماديات والادبيات مطلوب من
 الراعي لرعيته وبعبارة اخرى انه بلا أدنى ريب أساس الحكومة
 بمقتضى النظام الاسلامي ، ويرجع هذا من تقرير النظام الى
 بسط رواق الامن وتمهيد سبل استغلال الثروة في الهيئة ونصب

ميزان القضاء العادل بالشرع والقانون لانه الحقوق ورد المظالم
والفصل في الخصومات والقصاصات ثم الذود عن حياض
المملكة والدفاع عنها ثم تعزيد العلم والعلماء وتسهيل أمر نشر
المعارف والامر بالمعروف بين الرعية لتسعد في المعنويات التي
توجب ولا شك السعادة في الماديات بالعمل الفردي على
مبدأ الحرية فيه

تلك هي أهم الآداب المطلوبة وبالتالي أعظم الامور
والحقوق الواجبة على الحكومة في نظر الاسلام المنوطة بها
مما حث عليه الشارع ونزل به الكتاب وقام به العرف الصحيح
فكان منه الضمان لسير الامور على محور الاستقامة بما جاء
في الاسلام من مبدأ الشورى وأمر النبي بها للتشريع لان
مقام النبوة غير مقام الملك كما لا يخفى ، وغريب ان قد وفقت
الامم الغربية الحديثة للمبدأ الدستوري النيابي في الحكومة
بمقدار ما بعدت عنه الامم الاسلامية التي لها منه مندوحة
صريحة في تلكم الآيات البينات غير أن الامر انعكس لان
حب الملك العضوض جعل أمر الحكومة مطلقة في الاسلام
بشروطها المعلومة التي لم تراعي هي أيضاً حق رعايتها في

تدير شؤون مصالح العباد مما حفظت مساويه الايام في بطون
توارىحها الا قليلاً .

واني لا اريد ان ادخل هاهنا في بسط نظام او ترتيب
الحكومات الاسلامية على حسب المصطلحات أو العرف من
الامامة أو الخلافة ^(١) أو السلطان ونحو ذلك وإنما أريد ان
ابسط آداب الحكومة في الاصول الاربعة الآتفة وما يدخل
في هذا عرضاً من ادب الحكم والوزراء والقواد وتنظيم
الجنديّة والعمال والقضاة وما أشبه ذلك على حسب ما هو
مسطر عنها في كتبنا الاسلامية ^(٢) وما يفهم من المبادي
المقررة فيها والامور الملحوظة مما يرتبط بذلك خصوصاً فيما
نرتأيه نحن أبناء هذا العصر مما منه اكبر الفائدة على كل حال
فمن أوكد ما حث عليه الشرع والادب الاسلامي في
سيرة السلطان بسط رواق الامن واقامة دعائم العمران بتسهيل
سبل الزراعة ووسائل التجارة واحياء الصناعة لتسعد الرعية
وتتبط وتعتني في أرزاقها وأقواتها وسائر مرافقها فتتبط من ثم
الحكومة وتزداد أموال الدولة بازدياد الخراج والاعشار وكل

(١) راجع الاحكام السلطانية للماوردي (٢) سراج الملوك ونحوه

الضرائب المأخوذة لاقامة دعائم الملك وفي هذا مبلغ القوة للدولة والعزة وعمار بيوت المال بعكس ما لو اهمل السلطان امر اقامة تلك المنافع وتيسير سبل انماء الثروة على الرعية فان الجبايات تقل بقدر تلك النقصانات في وسائل العمارة أو اختلال الامن أو تعدي أعوان السلطان بالظلم في الرعية والاجحاف وارهاف كواهلها بالمظالم والمغارم فان نفوس الرعية حيال هذا الحال المعكوس بل الفساد المنهي عنه تكسل وتخور العزائم وتثبط الهمم في الاعمال إما للكساد وقيام الصعوبات في الاخذ والعطاء واما لفقدان الامن وكثرة التعدي على الاموال والارواح فمن ثم تقل الجبايات والايادات لتلك الاسباب المانعة ، فتوطيد دعائم الامن وتأسيس المنافع وتسهيل سبل المرافق سواء في الزراعة أو في الصناعة أو في التجارة من أجل وأعظم ما حث عليه الشرع الاسلامي وأوجبه المبادئ الاسلامية في آداب السلطان وبالتالي في مبدأ الحكومة الاسلامية

أما الامور العدمية وما في حكمها من النظام والشؤون الادارية فمن أعظم متحراها وأجل مبادئها اسلامياً « العدل »

وهو أساس الملك ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولقد نص الله تعالى في غير ما آية من كتابه العزيز على اقامة قسطاس العدل في الشؤون المختلفة فيما يشجر بين الناس من الخصام والصدام في الحقوق وسائر المعاملات والاحوال الشخصية وضبط الشؤون والآداب العامة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشرائع الالهية والنظامات الوضعية التي تستلزمها ظروف الاحوال والمقتضيات الزمانية بحسب المصالح المرسله كلها تنشد ذلك في جوهره وتبني عليه للنصفه بين الخلق في الحقوق والقصاصات التي هي حياة للامة ولذلك اوجدت الترتيبات اللازمة لاقامة ذلك من انشاء دوائر القضاء المدنية والجنائية فضلاً عن ادارات الشرطة والعسس والحسبة^(١) (تلك الوظيفة الاسلامية المئمة التي تقع في رقبة كل مسلم قادر لانها من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب في حق القادرين من المسلمين وقد حورها الغربيون الآن فقام على مبدئها عندهم مثل جمعيات منع المسكرات والتدخين وحماية النساء وصيانة الآداب العمومية والجمعيات الخيرية وجمعيات الرفق

(١) الاحياء للغزالي

بالحيوان الخ) المنوطين بالضبط والربط ورفع الجور والظلم
 ومنع الفساد والمحافظة على الامن العام واستتباب الراحة بين
 الانام وصيانة الآداب ومنع شرور الاسواق في بيوعها وغشها
 وتظيفاتها الى اشباه ذلك فشان هؤلاء الموظفين كالاطباء
 الصالحين في اعمال الوقاية واتخاذ التدابير اللازمة لتجنب الوقوع
 في الامراض ومعلوم ان دفع الامر ابتداءً أسهل من دفعه بعد
 الوقوع فيه ، اما القضاة المنصوبون من قبل السلطان للقيام
 بالفصل في الخصومات وتوقيع العقوبات والقصاصات والاحكام
 فكالاطباء القائمين بوظيفة التطيب في الامراض اللاحقة
 بالاجسام وكل ضرورى ولكل وظيفته في الهيئة الاجتماعية .
 واذا كانت هذه التدابير بهذا المقدار من الاهمية والنفع
 في نظام الحكومة الاسلامية قديماً حيال اقامة المصالح العامة
 بين الافراد والامور المشتركة في الرعية فلا جرم وجب وتحتم
 ان يكون القائمون بها من قبل السلطان من ذوى الكفاءة
 والاستقامة ولهذا اشترط في نظام الهيئة الاسلامية وآدابها
 السامية في اختيار القضاة والحكام وسائر العمال ان يكونوا من
 أهل العلم والتقوى والنزاهة قال المرحوم قاضي قضاة مصر

السابق السيد عبد الله جمال الدين في كتابه الموسوم «بالسياسة الشرعية»^(١) «بخصوص اختيار القضاة ما نصه «ومما يعتني به كثيراً تولية القضاة فيجب ان ينتخبوا من الناس الذين هم أعلم الناس وأورعهم وأعقلهم ومن المعروفين بالعرفة والاستقامة والأمانة خصوصاً ولقد ورد في الحديث الشريف ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ويجب العقل الكامل عند حلول الشهوات» ولقد جاء في الرشوة تلك الآفة التي تبطل المصالح وتفسد الشؤون والنفوس في الهيئة آيات بينات وأحاديث كريمة فقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي كما لعن شارب الخمر وبائعها . والرشوة كما لا يخفى من أمهات علل الشقاق وقد جعل لها العقاب الصارم في أصل الدين على الراشي والمرتشي وأنها هي والظلم والعسف والطغيان النفسي لمن أكبر الرذائل وأعظم الفضائح الضارة التي طالما جرت على الرغم من جودة النظام الاسلامي الى أشأم الظلم في المصالح وتقهقر أحوال الرعية واضمحلال أمر السلطان ، والرشوة وما في حكمها هي السمحة والربا المحرم وأكل أموال الناس بالباطل

(١) السياسة الشرعية

ولكن الحكام لفساد الاحوال والاخلاق التي كانوا عليها
 شرهوا وعودوا الناس عليها وأبوا قضاء المصالح غالباً الا بها مع
 انها من شر ما حصل امرؤ من مال طالما أفسد حال صاحبه
 وأهلك الحرث والنسل وهي اذا اخذت لاحقاق باطل كانت
 من أشأم الظلم والجور الذي لا يفلت صاحبه من عقاب الله
 الشديد واذا تنولت لتيسير مصلحة محق كانت من أعظم أكل
 أموال الناس بالباطل

على ان ما كان ينتحل في الرشوة من اسم الهدية لهو من
 الكذب على الله والافتراء على الناس لان لهدية شروطاً
 وحدوداً وآداباً بين الاخوان والاصدقاء لمجرد المحبة الخالصة
 المتبادلة واتحالمها بين حاكم ومحكوم ليس في شيء من ذلك
 البتة جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي
 قال « استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الازد اسمه
 ابن اللثبية على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا اهدي
 الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال الرجل نستعمله على
 عمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا اهدي الي فهلا
 جلس في بيت أبيه او بيت أمه فنظر أهدي اليه أم لا والذي

نفسى بيده لا يأخذ منه شيئاً الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بغيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبعثر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطه وقال اللهم هل بلغت ثلاثاً » وقال الشاعر فى مثل تلك الهدايا :

إذا أنت الهدية دار قوم تطايرت الأمانة من كواها
وجملة القول ان من أعظم ما يفسد المصالح القضائية والادارية فى المملكة انما هو تمادى عمال السوء فى أخذ الرشوة وخيانة الدولة فيما تتمتعهم فيه مما جر قديماً الى أشأم المغاب والفساد وتضييع المصالح وتدمير الممالك الأمر الذى قد أوجدت له المنظمات الحديثة القوانين واللوائح الادارية لقصاص العمال عمال السوء والضرب على أيديهم حتى تستقيم أحوال المملكة وتنظم شؤون الرعية ولقد قال المأمون الخليفة العباسي المشهور هذه الحكمة الحكيمة قال « ما فتق على قط من فتق فى مملكتى الا وجدت سببه جور العمال »

ولا غرو فالتاريخ أصدق شاهد على أن تسلط العمال بما يعطون من السلطة غير المقيدة بقانون أو نظام أو كفاءة صحيحة موجب لعدم الضمان وموجد للجور والتمادى فى العسف

فيتخذون الرعية خولاً وأموالها دولاً مما جر ويجر الى
 أشأم الظلم والفساد وانتقاض الاحوال في المملكة فاختيار
 العمال واجب وتقييدهم بالنظام لازم وانتقائهم من ذوى
 الاستقامة من أبناء الامة المشهورين بالصدق والاخلاص
 والعفة والحزم ضربة لازب ولله ما أحكم ما قال الشاعر الحكيم:
 وما قادهما للخير الا مجرب عليم باقبال الامور كريمها
 وما كل ذى لب يعاش بفضله ولكن لتدير الامور حكيمها
 وما سقطت يوماً من الدهر امة الى الذل الا ان يسود ذميمها

أما الاصل الثالث من دعائم قيام المملكة فهو تنظيم
 « الجنديّة » للحراسة والذود عن حياض الدولة والامة داخلاً
 وخارجاً ولقد كان لكل دولة من الدول الاسلامية بل لكل
 دولة من دول الارض قديمها وحديثها العناية التامة بتنظيم
 الجنديّة بحسب المقتضيات الزمانية والمكانية في هذا الزمان
 تخالف هذه المنظمات العسكرية ترتيباً وعدداً واسلحة نظامات
 المصر الذى تقدمنا وذلك المصر يخالف الذى سبقه وهلم جراً
 والرقى هاهنا مطلوب وواجب حتى يكون استعداد الممالك
 القائمة والدول ذوات السلطان مناسباً لمقتضيات الاحوال في

حفظ سياج الدولة وبعبارة اخرى مساوياً لما عند الدول القائمة
 والممالك المناظرة وكافياً لحفظ الامن في داخلها والسلام خارجها
 وهذا أمر مطلوب ومرغوب فيه وداخل في حكم الآية
 الشريفة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل »
 والدول المعاصرة كلها تتحرى هذا الامر وتنشده على افضله
 واكمله كما ترى من عظم استعداداتها الحربية البرية والبحرية بهذا
 تكون الدولة بين الدول ذات سطوة ويحسب لها الف حساب
 وتأمن جانب الطواريء وتصد كل مناوئ لها بالمدوان وتحصل
 لها من ثمّ الهيبة والاحترام بين الدول وفي عين الرعية بما
 يكون لها من وزان في القوى والسياسة وحسن الادارة
 الداخلية مما يكون لها من ورائه ولا ريب السلم الحقيقي
 وبعبارة اخرى السلم المسلح اذا كان البشر قد صاروا في هذا
 العصر في حال من ارتقاء الشعور لدرجة قد زهدوا معها حقيقة
 في الحروب ومقتوا سفك الدماء وقتل النفوس مما له اصل في
 قول الله تعالى في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بحق اعدائه
 « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »
 لكن هذا المبدأ في مراعاة السلم وكف المدوان والشر

لا ينبغي البتة مبدأ تجنيد الجنود والاستعداد بها للطوارئ برآ
 وبحراً لحفظ سياج المملكة في داخلها وخارجها لا سيما اذا
 كانت المملكة مترامية الاطراف متباينة الاقوام فيجدر بالمملكة
 الاسلامية علي كل حال بحكم المبادئ الاسلامية والدولية
 المصرية اخذ الحذر والسهر والمداومة علي انتقاء أحسن الترتيبات
 العسكرية الفنية والعملية مما له أصل ترغيب في القرآن « ان
 الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص »
 وكل هذا من أمر الجندي يقتضي اغداق الارزاق علي الجنود
 واختيار أجود المدد والسلاح واللباس لاستكمال الابهة والزينة
 العسكرية وتلك « الخيلاء » الخصيصة بالجندي والتي لا تحمد
 الا في مشية الجنود بترتيبها الممهود وزيتها المعلوم ونظام آدابها
 العالية التي تحجب فيها النفوس .

قال الامام الطرطوشي في كتابه سراج الملوك في فضل
 الجندي والحث علي العناية بشأنها وما يطلب من الجند من
 الشجاعة والبسالة في الكر والفر بحسب اصطلاح عصره مانصه
 « الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة
 والذابون عن الحرمه والدافعون عن العورة ، وهم جنن الثغور

وحراس الابواب والمعدة للحوادث واعداد المسلمين والحد
الذي يلقي المدور والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في
نحره ، فبهم يذب عن الحرم وتؤمن السبل وتسد الثغور ، وهم
في الارض حماة الثغور والذادة عن الحرم والشوكة على العدو .
وعلى الجند الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء ، فان كانت لهم
الغلبة فليمعنوا في الطلب وان كانت عليهم فليكسروا الاعنة
وليجمعوا الأسننة ويذكروا أخبار غد . وينبغي للملك أن يتفقد
جنده كتفقد صاحب البستان بستانه فليقلع العشب الذي
لا ينفعه فمن العشب مالا ينفع ومع ذلك يضر فهو بالقلع اجدر
ولا يستصلح الجند الا بادرار أرزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة
لهم على قدر عنايتهم وبلائهم ، وجنود الملوك وعددها وقف
على سمود الأئمة ونحوسها ،

وولاية القيادة على الجند من أهم الخطط والوظائف
المشروط لها التضلع من الفنون الحربية وصفات الكفاءة العالية
من الشجاعة والشهامة فضلاً عن الاخلاق الاخرى التي تصلح
للقيادة وتناسبها من الشفقة على الجنود والحنو عليهم بغير ضعف
ولا تدلي لدوام الاحترام وحفظ النظام نظام الجندية وشرفها

العالي مع حسن تبصر وتدبير لأقواتهم وصرف أرزاقهم بكل
دقة وعناية حتى لا ينفرد عقد الطاعة ولا ينصرم حبل النظام
وهو عماد الجندية وسياجها وروحها

وحيث كان الجند هو حامي الذمار والذاب عن الدولة
فأحر به أن يكون وقواده أميناً صادقاً وطنياً والاخلاص
لسلطانة ودولته وبلاده لان في « الخيانة » فضلا عن الذلة
والمهانة وبيع الشرف المسكري تلف الدولة وسقوطها سواء فيما
إذا وجهت سهامها نحو المصيان على السلطة العالية أو نحو
ما هو شر منها من خيانة الاوطان. والذي يقرأ التاريخ الاسلامي
يرى أن ثورات الجنود وكثرة قيامها وهياجها في الدول الاسلامية
على السلاطين قديما أو خياناتها لهم ميلا مع الطامعين في الملك
من الامراء والمنازعين فيه من المقتصبين انما كان من أقوى
العوامل على ذهاب ربح هاتيك الدول وسقوطها بسرعة باضافة
تلك الاسباب الاخرى اليها وسبب كل هذا عدم التقييد بنظام
متقن يرجع اليه في قصاصات الجنود على نحو ما نراه اليوم في
الاحكام العسكرية وقوانينها الصارمة مما لا يمنع منه شرع ولا
عرف حسن ولكن لم تكن الفكر لتذهب اليه في تلك الايام

للأسباب الجملة التي ألهت الملوك بانفسهم وحظوظهم فجاءتهم
النكبات من حيث ظنوا النصر والتعصيد لدرجة ان صار الجند
كما كان الحال في دولة الأتراك بمصر قديماً هو الذي ان شاء
ولى وان شاء عزل فكان قوله القول ورأيه الفصل ولكن هذا
ليس من جودة النظام في شيء وليس كل أيام دولة ورجال اذ
للسياسة أساطينها وللجنديّة وظيفتها التابعة

وجملة القول ان الجنديّة ونظامها من أهم النظمات المطلوبة
وأزمتها في الهيئات الاجتماعية والهيئة الاسلامية ومسؤوليتها
دقيقة عظيمة وعبؤها ثقیل وأدبها كبير بقدر ما شرفها عظيم
ومقامها لدى البشر مقام خطير .

أما تعصيد العلم ونشر المعارف في المملكة فلا إخال أحداً
يجهل مقدار عناية ملوك المسلمين العظيمة وحكوماتهم السالفة
ومبادئ نظامهم نفسه به وكل سيرة السلاطين والخلفاء
واحتفائهم بالعلم والعلماء واهتمامهم بالمدارس والمكاتب ومعاهد
العلوم والوظائف الخصیصة بالعلم والتعليم مما هو من متعلقات
الدولة والتي يجب عليها انشاؤها بما لها من وظيفة القيامة على
الامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها كلها معلومة من

التاريخ ولقد كان من الاقوال الماثورة وغرر الحكم المثورة
قولهم « الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك »
وما كانت تلك الحكومة الا لمصلحة الراعي والرعية ولذلك
أوجدت من قديم الزمان في الاسلام تلك التأسيسات العلمية
الجمّة والتنظيمات المهمة مما كان من ورائه احياء معاهد العلوم
وانشاء المدارس والكليات واغداق الارزاق على العلماء والفقهاء
بوظيفة التدريس والتعليم فيها وفي المساجد والجامع في كل
فروع العلوم المفيدة وتنشيط العلماء والمؤلفين قيما بواجب حق
العلم ونشره لتثقيف عقول الامة وتهذيب اخلاقها وتنوير اذهانها
فيما ينفعها دنيا وأخرى على ان المنظمات والاساليب العصرية
في نشر هذا العلم بين الامة لها مزيته العصرية وموافقها الذوقية
وليس في ذلك كله منها ما يخالف المبادئ الاسلامية بل يمكن
ان يقال انها نعمت الوسائط كما يقال نعمت الغاية غاية تعليم
الامة ما ينفعها ويفيدها بحسب مقتضيات وأمر صلاح الدنيا
موكول فيه الشأن الى اختيار الامة وحسن الاذواق والعرف
المتداول كما لا يخفى . انتم بمصالح دنياكم ادرى مني بمصالح
دينكم .

هذه هي الاساطين الاربع التي يقوم عليها أدب الحكومة
الاسلامية وبالتالي الاساسات التي يبنى عليها ارتقاء أحوال كل
الامم الاسلامية وغير الاسلامية متى ما روعيت على الوجه
الائتم وهو عين العدل والاصلاح المطلوب اقامته بين الناس
في الحكم والحكومة على أوسع المعاني واجملها بل هو الذي
جعل الامم الاوروبية للضمان عليه وللاستيثاق من تمثيته
على نسبه الصحيحة واصوله الحققة تستنبط له شكل الحكومة
النيابية التي يشارك فيها الشعب حكومته في الحكم لا شيء آخر
سوى الضمان وراحة البال بالاشراف والمشاركة في الامر في
التشريع ومراقبة السلطة في التنفيذ مع معرفة حق الملوك مع
ذلك واحترامهم واجلال مقاماتهم وطاعتهم بما لا يقل عما اذا
كانوا مطلقي التصرف غير مقيدي الحكم بذلك النظام الجليل
النظام النيابي بل ربما زاد عليه كما هو مشاهد في ممالك
أوروبا الحالية ولقد مر بك ان روح المبادئ الاسلامية
ونصوص القرآن لتجيز بل تحتم على نوع ما اتباع هذه الخطة في
الحكم وأمر السلطة بما قد ندب اليه من الشورى في الامور
وامر النبي نفسه بها وبالنهي عن الظلم والاستبداد بالرأى دون

سؤال اهل الذکر من العلماء والحکماء اى اعيان الامة ورؤسائها
وتساوى المسلمين في الحقوق والواجبات العمومية ذلك المبدأ
الديمقراطي العظيم الذي قد يغبط عليه الاسلام من ابناء
الملل الاخرى بالنظر الى احوالها القديمة ولا غرو فقد جاء في
الآية « انما المؤمنون اخوة » وفي الحديث الشريف كما تقدم
تشبيه المسلمين بالبنیان يشد بعضه بعضاً ، ثم ان في المبادئ
الاسلامية التي بينها الأئمة المجتهدون في اختيار الخليفة
والامام والولاية والقضاة والحسبة ما هو أساس لمبدأ
الانتخابات العمومية وانتقاء الحكام الادارين وما وزارة
التفويض وأمارته الا من قبيل الوزارات المسؤولة سواء أمام
الملوك أو أمام المجالس النيابية التي تشاركها في العمل في المنظمات
الحديثة ، وجملة القول ان المنظمات الاسلامية صالحة باصولها
لان ترقى الامم بشرط مراعاة روحها وقبولها للتكيف بحسب
المناسبات تحرياً للوظيفة العالية التي للحكومة من اقامة قسطاس
العدل في الحكومة الموجب للطاعة على أحسنها واطمئنان
النفوس البشرية على اكمله .

واكمل الآداب التي يجدر بالملوك والامراء ان يتصفوا

بها في خصوصياتهم بعد الاتصاف بالاخلاق العامة الفاضلة الواجبة
 عليهم نحو رعاياهم من العدل والسهرة على المصالح العامة والرفق
 انما هو الترفع عن سفاسف الاخلاق والبعده عن مواضع الريب
 والظنون والدنات والزهد في استصحاب كبير اللب والمجون
 والمجاهرة بالمعاصي الامر الذي طالما اسقط ملوكا ولاشي دولا
 وفي التاريخ الاسلامي اكبر العبر لذلك - فيجب الترفع عن
 تلك النقائص واستصحاب الكمال النفسي والحلم والوقار والاناة
 والحزم لان من يجب ان يكون فوق الناس بسلطانه ينبغي له
 قبل كل شيء ان يكون فوقهم باخلاقه وآدابه ، والخلاصة ان
 آداب الملك في شؤونه ينبغي ان تكون مرآة حقيقته في الشؤون
 العامة لان السلاطين كالأفراد اذا ما استحكمت فيهم خصال
 النقص في النفس انتقصت معها امورهم مع سائر الخلق لم يفهم
 معه كرم ولا سخاء ولا عقل ولا دهاء ولقد بين الشاعر الحكيم
 أبو الفتح البستي حال السلطان الذي يميل الى اللهو واللعب فقال:
 إذا غدا ملك باللهو مشغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
 وهي حقيقة يريها اياها التاريخ البشري ذلك الفانوس

السحري للمعبّر ان هكذا كان مآل كل الملوك من أرباب
اللعب واللمو.

وآداب السلطان والخلال التي ينبغي أن يتصف بها
ويكون عليها والخصال التي يلزم ان يتعد عنها ويصون نفسه
منها كثيرة عددها المؤلفون ممن كتبوا في الملوك وآدابهم
قديماً وحديثاً ولقد عدد منها الفخرى عندنا في « الآداب
السلطانية » أموراً كثيرة كما ذكرها غيره ممن صنفوا في هذا
الموضوع الخطير من المسلمين

أما آداب الوزير في مبادئ الحكومة الاسلامية
وآدابها جفيلة أيضاً لانه اذا كان السلطان رأس الهيئة الحاكمة
فالوزير عضدها وساعد سلطانها قال الامام الطرطوشي في
سراج الملوك مستشهداً على فضل الوزير وعظم الحاجة اليه
بقصة موسى عليه الصلاة والسلام فيما حكى القرآن عنه « واجعل
لي وزيراً من أهلي هارون أخي » قال فلو كان السلطان يستغنى
عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران
ثم ذكر حكمة الوزير من تفسير الآية نفسها فقال اشدد به
أزرى وأشركه في امرى ، دلت الآية على ان موضع الوزارة

شد قواعد المملكة وان يفضى اليه السلطان بعجره وبجره اذا
استكملت فيه الخلال المحموده ، ثم قال كي نسبحك كثيراً
ونذكرك كثيراً دلت هذه الكلمة على انه بصحبة العلماء
والصالحين وأهل الخير والمعرفة تنتظم أمور الدنيا وأمور الآخرة
كما ان أشجع الناس يحتاج الى السلاح وأفره الخيل الى السوط
وأحد السفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم
وأعلمهم الى الوزير .

وآداب الوزير في نفسه أن يكون عادلاً حازماً مخلصاً
بصيراً بالامور عارفاً بالمصالح والخطط المباشر لها والمشرف عليها
لانه مسؤول عنها أمام السلطان وأمام الله تعالى كما ان السلطان
مسؤول عنها أمام الله والامة وحلية الملوك كما يقال وزراءهم
بل هم واسطة عقد الممالك والدول والمحور الذي تدور عليه
امورها وسياساتها وتنتظم به كل شؤونها الهامة الداخلية
والخارجية ، ولقد قيل « نم النظير الوزير » وقيل « أعظم
الاشياء ضرراً على الناس عامة والولاة خاصة أن يجرموا صالح
الوزراء والاعوان فتكون أعوانهم غير ذات جدوى وغناء
وليحذر الملك أن يولى الوزارة غير المتضلعين كي لا تضيع الامور

كما يحذر أن يتطلب بغير طيب بصير مأمون ،
وكما يطلب من الوزير الحزم في الامور وتدير المصالح
بمهارة ونشاط يطلب منه أيضاً أن يكون ذا رحمة وشفقة على الرعية
مع السلطان ساهراً على مصالحها حتى تدور على محور العدل
والنجاح في جميع الشؤون المادية والمعنوية ، ورب أمر كرهه
الملك فم لما فيه من مصلحة على يد الوزير وجنى من فوائده
الصغير والكبير ، وشر ما يكون بخلق الوزير نفاقه وخداعه
للسلطان ومداهنته له حياً بالمصلحة الذاتية فان هذا خيانة بل
هو من أكبر الخيانات الموجبة لفساد حال الراعي والرعية
وعقباه سيئة جداً على من يؤثره من الوزراء على حب المصلحة
العامة ومحض الخدمة القومية قال المأمون لوزيره محمد بن زياد
« إياك ان تعصى الله فيما تقرب به الى فيسلطنى عليك ، وفي
تاريخ الاسلام عبر كثيرة في أحوال الوزراء الذين أسقطتهم
عيوبهم بأيدي الملوك فراحوا ضحية مساوئهم كما راح ملوك
كثيرون ضحية ما ارتكبوا من ظلم وجور في رعيتهم أمام الله عز وجل
وإذا اعتدل أمر الوزير كان من دأبه العون على انتقاء
العمال الا كفاء والاعوان ذوى الدراية والاستقامة ممن حسنت

أحوالهم واستقامت أعوادهم وغزرت معارفهم فلا يكون
 للصنعة ثمّ مدخل ولا للأثرة والمحسوبية وليجة وبذلك تنتظم
 المصالح وتدور خطط الدولة على محور العدل وحسن السير في
 جميع فروع اداراتها ودواوينها ولقد تقدم ما فيه الكفاية من
 حيث ما يجب أن تكون عليه صفة العمال في المصالح الادارية
 والخطط القضائية ونحوها كما ترمي اليه روح المبادئ الاسلامية
 وآدابها الجليلة بهذا الصدد العظيم وكما ترى من آثاره الجليلة
 في نظمات الدول الحديثة

أما حاشية السلطان وبطائه الخاصة مما كان يعبر عنه
 قديماً بالجلساء والقرناء فيجب ان يتحرى فيهم أكل الاوصاف
 واجمل الخلال الجديرة بمثل هذا المنصب الرفيع والمقام العالي
 مقام الشرف بالخدمة في بلاط الملوك فيجب ان يكونوا في
 حظوتهم بالخلطة وشرف المشول بحضرة الملوك على أكل
 ما تقتضيه حال الآداب السلطانية وأبهة الملك وعظمة
 السلطان وجلاله ووقاره بما لا ينزل بهم مع ذلك الى أحقر
 منزلة وأخس مقام قد يكون فيه النفاق والرياء نخير الامور مع
 احترام النفس اعطاء السلطان حقه من التوقير والتعظيم بحسب

الآداب السلطانية ولقد جاء في أدب الباب نصائح جمة في
الكتب الخصيصية بأمر الملوك والسلاطين لا حاجة الى
التطويل بها ها هنا

وللسلطان في مقابلاته لعماله من الوزراء ورؤساء الدولة
وعمالها ورجال الحاشية وموظفيها آداب جمة فلولوزراء صفة
في المقابلة وللعلماء والرؤساء صفة اخرى ولباقي العمال صفات
تفاوتت بتفاوت الدرجات وللملك الرشيد والسلطان الحازم
الحكيم ذى الاخلاق الكاملة حيال هذا كله حسن بصارته
في مخاطباته ومكالماته وتعاطفاته وظهوره لرعيته بما له من الشأن
الجميل والقُدوة الجليلة والموعظة الحسنة في مثل الحديث الشريف
« أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم » ولهذا وجب
على السلطان ان تكون له خلال خاصة كريمة وان تقدم منه
خصال لا ينبغي ان يتصف بها تبعاً لرفعة مقامه ودقة مهامه



واذا كان لا قوام لمصلحة الخلق وانتظام أمورهم الاجتماعية
الا بالسلطان الوازع والشرع الرادع فأول واجب على الرعية
ومن تمام أدبها ومصحتها نفسها مع سلطانها ونظامها « الطاعة »

التي يتم بها شأن الاجتماع البشري وينتظم حال العمران، والطاعة فيما لا يخرج عما حرّمته الشرائع أو القوانين المعمول بها من الزم اللوازم لدوام صلاح الهيئة الاجتماعية وقد أمر بها القرآن المجيد في الآية « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فقرن طاعة الرسول بطاعة الله تعالى ثم اردفه بطاعة أولي الأمر ليستبان ان الاخيرة ان كانت فيما يخالف امر آمن أمور الشرع وحقوق الله والنظام البشري الحق فلا طاعة اذن كما جاء في الحديث الشريف « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »

قال الفخري في الآداب السلطانية بصدد الطاعة ما نصه « وأعلم ان للملك على رعيته حقوقا وان لهم عليه حقوقا فأما الحقوق التي تجب للملك على رعيته فمنها الطاعة وهي الاصل الذي ينتظم به صلاح أمور الجمهور ويتمكن به الملك من الانصاف للضعيف من القوى والقسمة بالحق ومما جاء في التنزيل من الحث على ذلك وهي الآية المشهورة في هذا المعنى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ومن أمثالهم لا إمرة لمن لا يطاع » ولقد فضلوا بالنظر الى حفظ النظام الملك القاهر المطاع على الملك الضعيف الذي

يهمل أمر الرعية فتفسد وينتقض أمر نظامها وطاعتها له مما
 هو عماد قيام الامم وواسطة عقد حياة الشعوب
 فطاعة السلطان واتباع النظام بشروطهما اذن من اوكد
 ما حث عليه الدين الاسلامي مراعاة للمصلحة العامة لان عدم
 الطاعة بمخالفة النظام او بالمعصيان والقيام في وجه السلطان من
 شر ما جر ويجر المصائب والويلات على الممالك وتفسد معه
 شؤون الهيئة وتضطرب له احوالها الخاصة والعامة أيما
 اضطراب وفي ذلك من الفساد في الارض الممقوت المبطل
 للمصالح ما فيه لان الناس لا يصلحون فوضى بلا نظام ولا وازع
 مها ارتقت مداركهم وسمت عقولهم فلذلك وجب طبيعياً
 سياسياً إقامة السلطان وقيامه بالمصيبة القومية والسياسية
 وجعله بمنزلة الرأس المدبر لجميع حركات الاعضاء الاخرى من
 البدن وهذه لا تصلح لوظائفها الا بالرأس فاذا لم يؤد الرأس
 وظيفته ويحترم في جميع اشاراته من سائر أعضاء البدن كانت
 الامة كالساعية الى حتفها بظلفها ولقد شبه العالم الطرطوشي
 حال الامة التي تقدمت السلطان او دخلت في الفوضى فوضى
 النظام وانتقاض أمر السلطة والسلطان بيت فيه سراج منير

وحوله فآت من الخلق يمالجون صنائعهم فينما هم كذلك طفيء
 السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك
 الحيوان الشرير وخشخش الهام الخسيس فدبت العقرب من
 مكمنها وفسقت الفأرة من جحرها وخرجت الحية من معدنها
 وجاء اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع
 واستطارت فيهم المضار كذلك اذا كان قاهراً لرعيته كانت
 المنفعة عامة وكانت الدماء في أهلها محقونة والحرم في خدورهن
 مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الفاضل
 ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل الفسوق
 والدعارة خامل . فاذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على
 الجميع ، ولو جعل ظلم الناس حولا في كفة كان هرج ساعه
 أعظم وأرجح من ظلم السلطان حولا وكيف وفي زوال السلطان
 أو ضعف شوكته سوق أهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق
 أهل الغباوة والسوقة واللصوص والمناهبة ، فبالأمل في هذا
 القول وما يرمي اليه من المبدأ والقاعدة الصحيحة من ضرورة
 وجود الوازع ولزوم استقرا النظام في الامم والشعوب بالتطبيق
 على أحوال سابقاتها ولاحقاتها نعلم ان ما يصلح الامم غير النظام

ووجود السلطة والسلطان بحسب استعدادها وقابليتها وان
 شر ما جلب على الناس ويجلب عليهم الوبال إنما هو الخروج على
 السلطان او عدم اطاعة النظام فيما جل منه او قل ما دام ليس
 فيه ما يجحف بحرية الافراد تلك الحرية التي راعاها روح
 الاسلام وايدها بقواعده الصحيحة وآدابه المنيفة أئما تأيد كما
 قد حافظ على مبدأ المساواة في الحقوق بما لا مزيد على فضله
 فيما يطنطن به اصحاب الآراء المصرية في العمران البشري وان
 تكن مجريات الحوادث كانت كلها تقريباً على العكس مما تري
 اليه آداب الاسلام واصوله الصحيحة

ومن احسن مظاهر الطاعة للسلطان من جهة اخرى
 احترامه في ذاته وتعظيمه وتوقيره في شأنه وكل شاراته
 وشارات الامة التي يمثلها في شخصه ثم احترام العمال في وظائفهم
 ومناصبهم ومرا كزهم وجملة القول انه كما وجدت في الاسلام
 الضمانات القوية والقواعد الاصلية لتنظيم احوال الامة في
 شؤونها العامة من قبل السلطان وعماله واستقامة احوالها
 واحواله خصوصاً باقامة العدل والسهر على مصالح الامة وبذل
 الجهد في كل ما يؤول الى راحتها وغبظتها حساً ومعنى والبعده

عن الظلم البتة باقامة الشرع العادل والقانون الحق فقد وجد فيه ايضاً
 حيال هذا ولصالح الكافة ذلك الواجب المحتم على الرعية واجب
 الطاعة للسلطان والرضوخ لعادل النظام وليس معنى هذا انه
 ينبغي ان كل الناس يستشعرون الحب والميل الخالص للسلطان او
 النظام بدرجة واحدة سواء بالنظر الى ذاته او بالنظر الى اعماله
 العامة وعماله او للمبادئ الصحيحة المعمول بها بل المراد به
 ان الناس يجب عليهم مراعاة هذا النظام المستوفي وان يقوموا
 بالادب الواجب والاحترام اللازم والطاعة الضرورية في الهيئة
 للسلطان والنظام وكل ما وراء هذا من تملق او لفظ وكلاهما
 قديم في الهيئات الاجتماعية فربما كان من أولهما الضرر ومن
 ثانيهما فائدة للسلطان اليقظ لانه يعلم من ذلك اللفظ او بعبارة
 أخرى من ذلك الانتقاد مواضع الضعف والنقص التي تن
 منها الرعية وتشتكي فيبادر باصلاحها ورتق فتوقها بمعاونة الحكماء
 والعضء من وزرائه وأرباب دولته ورجال مشورته وهو ما تمتلك
 به القلوب حقيقة وتستصفي به السرائر وتصلح به الاحوال لان
 الناس بموجب المبدأ الاسلامي احرار واخوة ماداموا غير خارجين
 عن العمل بالشرع المشروع والنظام الحق الموضوع فامتلاك

القلوب إنما يكون بعد هذا كله بالمزيد مما يجلب عليهم أسباب
الراحة والهناء والرفاهية مما هو في مصلحة السلطان نفسه لانه
يزيد الدولة قوة وبراءً والسلطان عظمة ومجدًا حقيقياً واذا كان
السلطان كما جاء في الاثر الشريف ظل الله في الارض فاحر به
أن يكون فينا وارفاً وظالماً ظليلاً

❦ الباب السابع ❦

❦ أدب النفس ❦

نفس الانسان المخاطبة - النفس والقلب والروح - الشرور ومدخلها
جنود النفس واعوانها - فرق ما بين ادراكات الانسان والحيوان -
استصلاح الارادة - أهمية تربية الوجدان - تقسيم أدب النفس
قال الله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها
قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وقال تعالى (يا أيها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) فدل تعالى
بهذا على ان تلك النفس الانسانية الكريمة هي التي عليها المعول
في الخطاب وسائر التكاليف وانها القطب الذي تدور عليه عموم
أفعال الانسان أي اعمال الجوارح الخادمة ، وكل خطاب القرآن
الموجه الى القلب ونحوه « أنها لا تعى الابصار ولكن تعى

القلوب التي في الصدور « لمن كان له قلب او لم يسمع وهو شهيد » انما يراد به النفس الانسانية الجامعة لمبادئ الخير كله والتي عنها تصدر جميع افعال المرء الارادية وما يبطنه في سره ووجدانه (تلك المضغفة في القلب أو اللب التي اذا صلحت صلح سائر البدن) في كل أعماله ولهذا افرد ادب النفس وتربية الوجدان وتهذيب الاخلاق بالعناية التامة عند المتقدمين والمتأخرين وفي الاديان السماوية حتى تستصلح آداب الجوارح في كل شؤون البشر الاجتماعية وفي آدابنا معاشر اهل الاسلام مما قد أتيت على كثير من أمورها المهمة بالايجاز في الابواب السابقة من هذا الكتاب كما رأيت

والنفس والروح والقلب والعقل كلهما كما قال الامام الغزالي في الاحياء وغيره قد ترد مترادفة لمسمى واحد هو (حقيقة الانسان) المدرك العالم المخاطب والمطالب ، وعلاقة هذه اللطيفة من النفس الانسانية واتصالها بالبدن وقيامها بشؤونها من الادراك والحس من أدق ما حارت فيه عقول الاقدمين وطارت له احلام المتأخرين فمن منقب عن عملها بالدماغ ومن قائل انها بالقلب ومن حاك انها جارية في عموم البدن مجرى الدم في

العروق والحقيقة التي لامرية فيها أنها « الانسان » ذلك الكون
 الاصغر الكادح الى ربه كدحاً فملاقيه إما بنفس زكية وإما
 باعمال مردية ، ولقد شرح الامام بن مسكويه من حال
 النفس وماهيتها وادراكها وحسها وحركتها في كتابه « الفوز
 الاصغر » ما فيه متسع لاهل البحث والتنقيب عن حقيقة ذاتنا
 الانسانية .

ونفس الانسان هي التي تحفظ عليه صور المعلومات وهي
 التي ترد به سائر الموارد في الافعال الاختيارية وما يبطن من
 كمال انساني وقوي نفسانية اقتضتها الفطرة الحكيمة التي فطر
 الله الناس عليها لحفظ بقاء النوع بقاءه من الاهواء والنزعات
 الشيطانية من جانبها فكانت في احوال كثيرة شروراً وأضحت
 رذائل للنفس شائنة ولقد شرح الامام ابن قيم الجوزية في كتابه
 « الجواب الكافي » تسرب الشيطان والاهواء الى النفوس
 ومدخلها اليها بأسلوب غاية في اللطف تفسيراً لقول الله تعالى
 في القرآن المجيد « رب بما أغويتني لأقعدن لهم صراطك
 المستقيم ولا آتينهم عن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم
 شاكرين » فالأهواء والنزعات الشيطانية تأتي الانسان من

صوب كل عمل يأتيه أو قول ينطق به أو نظر يرمى اليه والشروع
أو الذنوب المستلزمة للعقوبات الشرعية والقدرية كثيرة ، أما
الشرعية التي إذا أقيمت رفعت القدرية أو خففها فهي كثيرة
تعلم من أنواع القصاصات والتعازير الشرعية في حد مثل الزنا
وشرب الخمر والسرقه والقتل ونحو ذلك بحسب الشرع أو القانون
المبني على صحيح مفهومه من قصد الزجر والردع والتخويف
لتستقيم لأفراد الهيئة الامور بما يوافق روح الشرع من جهة
وذوق العصر من جهة أخرى .

أما العقوبات القدرية أو المعنوية فنوعات نوع على
القلوب والنفوس (وقد ذكر الله أمرها في غير ما موضع من
القرآن من الطمس والاعماء والترك في الضلالة غضباً وسخطاً
الح) ونوع على الابدان والاصواف والاموال (وآثار هذه
ظاهرة في فقدان أرباب الشرور والفساد للصحة صحة الابدان
وللشرف شرف السمعة وللأموال اسرافاً وبداراً) فالعقوبة
القدرية تكون على هذا أشد على الانسان لان آثارها
الظاهرة في الدنيا شائنة ويطرصد صاحبها مع ذلك في الآخرة
القصاص الاخرى الشديد ولا سيما تلك الذنوب التي تتجم

عن معاملة الناس بالخيانة والنش والسمعية والنميمة والغبية
 واغتيال الحقوق لان الذنوب معها خفيت وصغرت لا تخلو من
 عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لا ينظر بل لا يشعر بما هو
 واقع فيه من عقوبة للغفلة الراكبة والغواية الشيطانية المستحكمة
 التي تجعله بمنزلة المخدر والسكران ولكن للسكرة فكرة
 وحسرة واي حسرة ، فيخاق بالعاقبل ان يستحضر العقوبات
 التي رتبها الله سبحانه وتعالى على الذنوب ويجوز وصولها اليه
 وهذا انجح واسطة لهجران النفس الرذائل واتقائها المساوي
 والشروع ولمثل هذا فليعمل العاملون

فالنفس هي العاملة واعضاء البدن مسخرة لتلك النفس
 التي يعبر عنها «بأنا» فهي جنودها الظاهرة واعوانها المطيعة
 من الحواس الظاهرة كالبصر والسمع والشم والذوق واللمس
 ثم الحواس الباطنة من الحب والبغض والادراك وهذه وتلك
 كلها جنود للنفس واعوان لها بواسطة أعضاء البدن من اليد
 والرجل والعين والاذن والانف والتم والدماع والاعضاء وهي
 إنما تعمل للنفس تحت إمرة النفس فتجلب لها على مقتضى
 ذلك إما الخير اذا اعتمدت النفس على حكم العقل الرشيد وإما

الشر اذا كان الدافع هو الهوى لفساد حال النفس وهي كلها
 انما تسمى بها هذة النفس وتسخرها لامرها في تحصيل اسباب
 المعاش والملاذ الدنيوية في هذا العالم الارضى فبدافع الشهوة
 المودعة في النفس تسمى الاعضاء في تحصيل الاقوات والارزاق
 وسائر امتعة هذه الحياة الحسية والمعنوية وبدافع « الغضب »
 المودع الى جنب الشهوة في هذه النفس يحصل الذود والدفاع
 عنها والحفظ لها وبالادراك والعقل المسيطر على كل قوى النفس
 والمهيمن عليها يقع التمييز والفرقة اى العلم بالنافع والعلم بالضار
 قال الامام أبو حامد الغزالي في الاحياء ما محصله ولقد
 يعبر عن هذه القوى أوالجنود الباطنة للنفس من ذلك الباعث
 والمستحث في الشهوة طلباً لطلب النافع ودفع الضار « بالارادة »
 الاول و « بالقدرة » للثاني لانه المحرك للجنود النفسانية المبثوثة
 في الاعضاء ولا سيما المضلات منها والاوراق اما القوة الثالثة
 قوة الادراك فهي المدركة العارفة بالاشياء بواسطة وسائله
 وآلاته من الحواس الخمس الظاهرة البصر والسمع والشم
 والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة مرتبطة بالاعضاء
 الرئسة التي تسكن قوى الادراك الباطنة من تجاويف الدماغ

وتلايف جوهره المكنون من المخ الانساني والتي هي مصدر
 حركات البدن كله وسبب ادراكه العظيمة و « مستودع »
 معلوماته الغزيرة ومستصدر ارادته وقدرته وتنفيذها بواسطة
 سائر أعضاء بدنه وهي مكان « نقد » افعاله وميزان اعماله
 بواسطة ذلك الوجدان الانساني الشريف وضميره المنيف أو
 بعبارة أخرى عقله الرشيد الذي يميز بين الخبيث والطيب
 والفت والسمن والخطأ والصواب والخير والشر فاذا وفق
 الانسان الى اكساب هذا الوجدان وذلك العقل مبادئ
 الاشياء على حقيقتها واستفادها على صحتها وما يتجرى فيها
 لبلوغ السعادة الحقيقية وصرف لحظاته وخطراته وامياله ومحباته
 الى الخير المحض استصلحت ولا ريب كل احواله واعماله
 واستقام عوده فصلحت من وراء هذا احوال المجموع فقلت
 المعاصي والشرور وتجنب مسترذل الذنوب والعيوب ولقد
 افاض الغزالي وابن قيم الجوزية في كتابيهما السالف ذكرهما
 في هذا المعنى بما لا مزيد عليه ، والخلاصة ان الانسان قادر
 بما وهب من قبل الخالق تعالى من موهبة العقل والادراك
 والاذواق الدقيقة العالية على اصلاح احوال نفسه المودع فيها

كل اسباب الخير وكثير من دواعي الشر

وانه لئن شارك الانسان كثير من الحيوانات العالية في الادراك كما يتبين للناقد الحكيم في سلائق الحيوان وطبائمه فلقد يرى القرد الصغير الثعبان مثلاً فيرجف منه ويفزع ، وترى الشاة الصغيرة الذئب فتضطرب وتهرب فهذا الادراك أو الشعور الغريزي وان شارك في كثير منه الحيوان الانسان الا ان مما يختص به الانسان وهو المشرف خلقاً وخلقاً إنما هو الاحساس الباطني المبني على الامور العقلية الخصاصة التي تدرج في ارتقاءها العقل بارتقاء الانسان بكيفية مخصوصة وتقدم فيها بما وهبه الله من سمو المنزلة والقوة العظيمة التي أشرنا الى مستودعها العظيم من نفس الانسان وتركيب عقله فان هذه أمور وراء المحسوسات وما في حكمها من السلائق الحيوانية ولا يشارك فيها الحيوان الاعجم الانسان مهمارقي بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل البشري اذ يحكم هذا العقل الكريم مثلاً انه لا يتصور ان يكون الشخص في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على سائر الاشخاص

إنما جاءه بطريق الحل والقياس الصحيح وهو زائد على ما أدركه
 بالحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهري الضروري للعقل
 البشري فهو في سائر النظريات المدركة للانسان أظهر وأجلى .
 أما الارادة وما ينبني أن تستصلح له من وراه العلم
 بالمبادئ على حقيقتها فانه اذا أدرك المرء بالعقل عاقبة الامور
 وطريقة الصلاح فيها انبعث عن ذاته شوق ورغبة وعزيمة
 بالميل الغريزي الى الخير المودع فيه الى جهة المصلحة والى تعاطي
 أسبابها وذلك غير ارادة الشهوة العمياء وبعبارة أخرى غير ارادة
 الحيوان الاعجم بل يكون ذلك على ضد الشهوة أو بالتالى بحسب
 ما هو الصواب فيها لما يجد من الزواجر النفسانية المستفادة
 من صحة المعلومات وحسن الاذواق التي صارت له ملكة
 راسخة بحكم العادة في مجتمعه واستشعر وجدانه بفضلها وثمرتها
 ولذاتها الصحيحة .

وإذا تقرر هذا علمت مقدار أهمية تربية النفس وإشعار
 الوجدان منذ الصغر بمبادئ الاشياء على حقيقتها وحقائق
 الامور على أفضلها وانكشف لك المعنى السامي المودع في قوله
 تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » فهذا

بخصوص ما أودع البارئ تعالى في النفس البشرية من القوى
وركب فيها من الشهوات للحكمة الخلقية ثم دقيق معنى
ما عطف عليه بقوله عز من قائل « قد أفلح من زكاهها وقد
خاب من دساها » فهذا اشعار وتنبيه بضرورة القيام بتربية
النفس وتهذيبها حتى لا تخيب ولا يشقى المرء بها في الدنيا
والآخرة ولتمام الرحمة بعث تعالى الانبياء والرسل الكرام
في الامم مبشرين ومنذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل » ولقد تقدم في الحديث الشريف « بعثت لاتم
مكارم الاخلاق »

وتربية النفس تنقسم الى قسمين قسم يتعلق بالجوارح
ووظائفها وقسم يختص بما يقوم خاصة في السرائر والضمائر
وتظهر مع ذلك آثاره بواسطة الجوارح وفي أعمالها - وكل
اناء بالذى فيه ينضح - وهذا القسم أهم من الاول بل هو
الاصل في الباب وانه للغرس الذى يثمر كل الثمار إما فاكهة وأباً
وإما حنظلاً وشوك قتاد ، فاذا صلحت تلك المضغفة من النفس
أو القلب صلحت كل أعمال جوارحنا وان قلت ، واذا فسدت
منا القلوب والنفوس فهذا لعمرى ما يفسد معه كل شأن

للإنسان ومهما تعلم وسما ومهما ارتفعت منزلته فإنه ليكون الساقط
 في مهواة من الضعف والشر تظهر آثاره عليه في الدنيا وأنه
 ليرصده عليه في الآخرة كما توعد الله تعالى المجرمين عذاباً
 شديداً ولهذا قال عمر بن الخطاب «تأدبوا ثم تعلموا، وهو لا يعني
 ولا ريب بذلك غير أدب النفس قبل أدب الجوارح :

هذا ولقد تقدم في الفصول السابقة جملة مما يختص
 بأدب الجوارح في الاعتقادات والعبادات والمعاملات إلى آخر
 ما مر بك على مقتضى قواعد ديننا الإسلامي الحنيف وأصول
 آدابه السامية وما جرى به حكمه الظاهري فيها أما هذا القسم
 من أدب النفس ، الجليل القدر العظيم الخطر فيقسم إلى
 قسمين قسم يتعلق بشأن الخلق فيما بينهم لتصالح به كل أحوالهم
 وقسم يجب أن يتحلى به المرء مع الخالق تعالى ومصدر جميع الخيرات
 ومفيض كل النعم .

رب ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدي به من تشاء



* القسم الأول *

* أدب النفس مع الخلق *

قوى النفس الحيوانية والممتازة - العقل الرشيد وسلطانه في
 الدفع - مصادر ادب النفس والعقل - الاخلاق وتهذيبها - التربية
 النفسية - شؤم الذنوب والردائل - آثار الذنوب اللاحقة - امهات
 الفضائل واطرافها من الردائل - طائفة من الفضائل - الاخلاص -
 اداء الامانة - البشر - الترفع - التواضع - الحلم - الرحمة -
 السخاء - سلامة النية - الشجاعة - الصبر - الصدق - القناعة -
 كتمان السر - المحبة والود - المنافسة - الوفاء - الوقار - حجة
 الاخلاق الفاضلة ومحاسنها - استئصال الردائل - رياضة النفس -
 هل يمكن تغيير الخلق - مطية النفس .

ترك نفسك يوماً وهوها سعى لها في رداها

لقد صعب الانسان لكمال خلقه الحيواني ثلاث قوى كما
 تقدم الشهوة والغضب ثم حب الذات أي الاثرة لحفظ النوع
 وامتاز عن باقي جنس الحيوان وفضل وكرم من بينها بتمام العقل
 أو عظم الادراك كما سلف ، فهذا العقل المخصص بنا سلطان
 حاكم وباقي القوى مسخرة له فمن غلب على عقله شقوة شهواته
 البهيمية فقد النحى بافق البهائم الموصوفة بالشرامة (اولئك
 كالانعام) ومن غلب غضبه عقله فقد صار الى مرتبة السباع

الكاسرة والحيوانات المفترسة ومن خبثت نفسه وفسدت
سرائره واستعمل عقله واستخدمه في المكر والخداع والغش
والرياء (يخادعون الله وهو خادعهم) فقد انطوى على المردة
من الشياطين ، ومن ساد عقله الرشيد كما هو المراد منه كل
قواه الاخر جفري في تسخيرها بالاعتدال والحكمة فاز بكمال
الانسانية واتصف بأجل مبادئها وأجل صفاتها الممتازة وصار
من ثم أخرى بأن ينتظم في سلك الملائكة المكرمين والبررة
المقربين من الله تعالى «واولئك هم المفلحون» في الدنيا والآخرة .
وإذا كان هذا العقل الرشيد هو السلطان الحاكم المدبر
لعوم الافعال الانسانية بالحكمة والسداد لهذا كان قابلاً ومستعداً
تمام الاستعداد لأن يوتي الحكمة ولأن تنطبع فيه على اكمل
صورة صور المعلومات ووهب لهذا قوة التمييز والتفريق بينها
بحك النظر الصحيح لتلك الهداية الصمدانية والنورانية الربانية
المودعة فيه وهي التي ترتب المعلومات وتزواج بينها وتقارن
وتبنى الاحكام وتحصل النتائج متسلسلة والافكار متناسبة آخذاً
بعضها برقاب بعض أو مختلفة بحكم اختلاف العلل والاسباب
ولهذا كره الوقوف على المعلومات الواحدة والاسباب الواحدة

بالتصلب فيها خصوصاً فيما يتعلق بالمعلومات المستفادة بالتقليد
 الاعمى دون اطلاق العقل وتسريح الفهم لارتياض الحقائق
 واقتناص الشوارد لان هذا يوجب الجمود بل التقهقر لرسوخ
 الامور التقليدية وتشرّبها العقول فلا تقدر على الخلاص من
 ربة الاسر والضييق وبالتالي لا تتوق ولا تنشط الى الاخذ بما
 هو من مزايا اللب وفضائل هذا العقل البشري وتطلب العلاء
 وحسن الاختيار بحسب المقتضيات والظروف العمرانية
 التي وان حصلت بالتدرج لكنها تظهر فيها الفروق العظيمة
 بالنسبة الى احوال الجامدين بالقياس على احوال غيرهم من
 الهيئات التي تشهد الرقي ولا تأسر نفوسها الامور التقليدية مما
 ذمه الله تعالى في حال الامم التي قالت « انا وجدنا آباءنا على
 امة وانا على آثارهم مقتدون » وهذا باب واسع قد يطول فيه
 الشرح فانرجع الى المقصود بالذات

لقد يكسب هذا العقل الرشيد بموجب الادب الاسلامي
 حقائق المعلومات والمعارف النفسانية لينتفع المرء بها دنيا واخرى
 في نفسه وجوارحه الاخذ بما جاء في الكتاب والسنة وفهم
 معانيها ثم استخدام العقل فيهما بالتدبر والتفهم ومعرفة ما ينطوي

طبي هذا من حكم وأسرار وآداب وورقات وهذا يقتضي دراسة
 مبادئ العلوم العقلية كما يقتضي الاستعانة بالمعارف الآلية وما
 الداعي الى عزل العقل البتة اكتفاء بالتقليد الا جاهل ، وما
 المكتفي بمجرد العقل في مثل تلك الاحوال دون التنوير بانوار
 الكتاب والسنة الا مفرور . وجملة القول أن العلوم العقلية
 والطبيعية فيما يقصد بها هاهنا لفائدة البشر كالأغذية والعلوم
 الشرعية كالادوية والشخص المريض قد ينغص بالفداء اذا فاته
 الدواء فلهذا كانت أمراض النفوس لا سبيل الى معالجتها على
 أحسن حال وأفضلها الا بالادوية المستفاداة من طب الشريعة
 وآدابها المستنبطة منها بالبصائر النيرة في امور الاعتقادات
 والعبادات والاعمال لتنظم احوال النفوس وتصلح وتتصف بالخير
 قلباً وقالباً وتحيط مع ذلك بالاشياء على حقيقتها الامر الذي يعود
 نفعه على المرء في نفسه وهيئته وسائر عمله فيها وارتباطه بها .
 هذا ما يختص باكساب العقل لدينا المعلومات الشرعية
 والعقلية اللازمة له حساً ومعنى والتي هي كالأساس للتربية وأمر
 ما يسمونه تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق التي افترق فيها
 لاهميتها الى فرق ومذاهب ولا غرو وهي أول متحرى الباب

باب ادب النفس عند سائر الخلق. ولقد عرفوا الخلق بانه عبارة
 عن الهيئة الراسخة في نفس الانسان التي تصدر كل الافعال عنها
 بسهولة من غير ما حاجة الى كبير فكير أو روية لسابق الاعتياد
 عليها بالمتكرر للنفس فيها وإفها لها فان كانت تلك الهيئة في
 النفس بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا
 بحسب العرف سميت « الخلق الحسن » ، واذا كانت بعكس ذلك
 دعيت « الخلق السيء » ، وانما اشترط الرسوخ لتلك الصفة أو
 الهيئة ليحكم برسوخ الملكة والعادة واسم الخلق ولا عبرة بالاعراض
 الطارئة سلبا وإيجابا في الافعال إذ العبرة بالاتصاف الحقيقي
 الملازم للنفس ، فالخلق اذن هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها
 الباطنة وجمالها وجلالها في كمالها الاتصافي فيما ترشح من انانها
 على سائر القوى وافعال الجوارح بسهولة . واذا كان الجمال
 الظاهري للصورة الادمية يقتضي تناسب أعضائها واعتدالها
 فلجمال الباطني مثل هذه الحال أيضا من حيث لزوم التناسب
 بين قواه حتى يتم للمرء حسن الخلق ، وهاته القوى اذا اعتدلت
 وتناسبت حصل ولا ريب حسن الخلق أو اعتدال المزاج أو
 ملكة الاذواق السليمة وحسن حظ النفوس انها قد جبلت

قابلة لهذا الحال من قبول التهذيب متى ما مهدت لها وسائله
وتدرجت عليه شرعياً وعقلياً على الوجه الآنف

وهذا ليس بالذي ينال على أحسنه الا بالتربية والترويض
على محاسن الاخلاق وكريم الشيم لكي تخدم سائر القوى ذلك
السلطان من قوة الفكر والعقل الرشيد فتحسن من ثم الارادات
وتمتاز الرغائب ، وأفضل ما يكون من هذه التربية ما يقع
منها في الصغر وزمن الحداثة ولدانة العود وهو الامر الكريم
الذي أجمع على جودته وضرورته السلف والخلف لان نفس
الصبي جوهرة نفيسة وجمانة خالية من كل نقش و اثر لصورة
ما فهو لهذا أسرع قبولاً واسهل ميلاً لما يمال اليه عوده، فان
عود الخير بالافعال والقديوات الحسنة العملية في العائلة والمجتمع
وعلم نظرياً وبين له حكمه وحكمته سعد في الدنيا والآخرة
وشاركه أبواه ومعلموه في الاجر عند الله ، وان اعتاد الرذائل
والشرور وأهمل شأن تقويم نفسه شقي ووقع في الآثام والذنوب
وكان الوزر في رقبة أبويه كما في رقبتة بل في رقبة الهيئة الاجتماعية
التي رضيت لاحد اعضائها به

وشؤم الذنوب ومصائب الرذائل النفسانية لها في النفوس

آثار رديئة من حيث عرقلة الاحوال ومغاب سيئة في سائر
الشؤون والافعال فضلا عما يترصده اصحابها من القصاصات من
الشرع القائم والوعيد بالعقوبات الاخروية مما يظهر اثره في
الحياة الدنيا أيضاً وما استندفعت النعمة بمثل الطاعة وتحسين
الاعمال والاخلاق مما هو مجلبة كل خير كما ان اضرار ذلك
من أكبر الاسباب الجالبة لكل شر، وقد رتب سبحانه وتعالى
حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول السرور والسعادة
فيهما في كتابه العزيز على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط
والمعامل على العلة، فالامر صريح والشأن ظاهر في ترتيب
الجزاء بالخير والجزاء بالشر لصالح احوال البشر في دنياهم
ولتمام سعادتهم في اخراهم (الآيات القرآنية في ذلك كثيرة)
ومن الجهل الفاضح والشر الواصل ارتكاب الذنوب ومغالطة
النفوس في التلوث بالذائل اتكالا على عفو الله ومغفرته والتسوية
في امر اصلاح حال النفس العائد نفعه على ذات المرء فالتوبة
النصوح وقوة الارادة بالرجوع عما عنه نهى وزجر أمر صريح
الوجوب بنص الكتاب والسنة السمحة

ولقد عدد ابن قيم الجوزية الآثار القبيحة للذنوب والذائل

اللاحقة آثار اضرارها بالقلوب والنفوس والابدان وكل الشؤون الاجتماعية في الدنيا فضلا عما هو مرتب عليها من القصاصات في الآخرة فمنها حرمان العلم وفساد العقول والنفلة في الشؤون، ومنها ظهور الفساد في الارض وقلة البركة في الارزاق والاحوال، ومنها حلول النقم والهوان والذلة والصغار والاحتقار من الناس، ومنها التخاذل القومي وتفكك الروابط بين أفراد الامة وهذا فضلا عن العقوبات المعنوية في النفس والوجدان من حقوق النعم والكدر وحلول الامراض البدنية والنفسانية ثم قطع الامداد والطرده من حضرة الله ثم العقوبات الاخرية من العذاب ودخول النار الى آخر ما فصل وبين وشرح من ذلك ابن قيم الجوزية والامام الغزالي وغيرها

أما محاسن الاخلاق او الفضائل النفسانية فيجب أن تتشد على وجه عام لعموم أبناء الامة بموجب المبدأ الاسلامي وبالحدِيث الشريف « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » والآثار في الباب باب وجوب التحلي بالفضائل ومكارم الاخلاق في كل الشؤون وفي جميع الاحوال مشحون بها الكتاب والسنة ناهيك عما هي لازمة له في شؤون البشر بموجب كل المبادئ الانسانية

والاحوال الاجتماعية ايسعد البشر ويغبطوا فيما هم بصدده من
الاسباب والاعمال مما يجعلهم رحماء بينهم متضامنين متكاتفين
في الشعور والاحساسات وكل العواطف الكريمة الفردية
والقومية حتى تعتدل لهم أمور الحياة وتصفو لهم الموارد من
الاكدار والخبائث قياماً بالواجب الانساني لنوال الكمال
الانساني وتحريراً للعقل والفضل الانساني لان حد العقل كما قال
ابن حزم استهمال الطاعات والفضائل وتجنب المعاصي والذائل
ولقد نص الله تعالى في غير ما موضع من كتابه على أن من عصاه
لا يعقل ومن شر العصيان الاتصاف بالذائل الاجتماعية بين
البشر خصوصاً فيما يتعدى ضرره الى الغير والدين المعاملة

وأهمات الاخلاق التي ذكرها اخلاقيو الاسلام^(١) اربع
« الحكمة » و « الشجاعة » و « العفة » و « العدالة » قال الشيرازي
وهي أوساط طرفاها البعيدان رذيلة « فالجزيرة والبله » طرفا
الحكمة و « التهور والجبين » طرفا الشجاعة و « الشره والجمود »

(١) يراجع أيضاً على هذا الفصل كتاب الاخلاق للشيخ محي

الدين بن العربي وتهذيب الاخلاق للحكيم ابي زكريا محي بن عدي

وتهذيب الاخلاق لابن مسكويه

طرفا العفة و « الجور والمهانة » طرفا العدالة . ولكل من هذه الفضائل والرذائل فروع وحدود وتريفات وطرق استفادة واكتساب وطرق علاج في الاضداد وطرق لدوام حفظ صحة النفس كما تحفظ بالوسائل الصحية الحسية الابدان وتوقى من الوقوع في الامراض والاصاب . ولقد استوفى ذلك كله في كتب الاخلاق الاسلامية وقال الامام الراغب الاصفهاني في كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة حكمة نفيسة في اكتساب الفضائل قال « حق الانسان في كل فضيلة أن يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء أمكنه ان يبرز ذلك فعلاً أو لم يمكنه وذلك بان يكون على هيئة الاسخياء والشجمان والحكماء والسدول وإن لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض له مقام تظهر فيه نبذته ولا معاملة بينه وبين غيره تبرز فيها عدالته فقد قيل لبعض الحكماء هل من موجود يعم الورى فقال نعم ان تحسن خلقك وتنوي لكل أحد خيراً وقال عليه الصلاة والسلام « انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسموهم باخلاقكم »

قلت ان للفضائل فروعاً ولوازم ولقد عدوا منها ما ينيف

على العشرين خلقاً حسناً لا يمكن للانسان ان ينكر فضلها في كل أين وأن أو أن يقدح في نعمها وثمرتها أو يدعى عدم لزومها والغناء عنها في الحياة الادبية والاجتماعية وإن تفاوتت فيها الهمم وتباينت العزائم بعد ان أجمع الاولون والآخرون على ضرورتها ووجوب تحريمها من جهة العقل ذلك الذي هو حد الفضائل ومن جهة الشرع ذلك الذي يهدي الى المحاسن وهالك هي مع اضدادها مرتبة على حروف المعجم ليسهل تناولها والاستدلال عليها .

الاخلاص — هو عماد كل الاعمال واكرم أس في جميع الاحوال فمن أخلص في عمله وفي حاله كله بين أبناء هيئته كان الناجح في كل شؤونه الظاهر بمرغوبه الظاهر بين اخوانه باحسن الفضائل وأجمل الشيم الاجتماعية التي يجب ان يتحلى بها الانسان لتصفوله موارد الحياة والمواد الانسانية وفي الحديث الشريف « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وسيأتي مزيد بيان لهذه الخلة الكريمة في قسم أدب النفس مع الخالق أداء الامانه — قال الله تعالى يصف المدوحين بهذه

الفضيلة عنده « والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون » وأداء
 الامانة قرين الوفاء الآتي ذكره وإنما يزيد عليه بانه التعفف
 عما يتصرف فيه الانسان من مال الغير باحد التصرفات الممكنة
 من مثل الوكالة والوصاية والقيامه على القصر والمعتهين والسفهاء
 وتولى الاوقاف والوظائف العمومية ونحو ذلك فكل هذا يدخل
 التعفف وأداء الامانه فيه في باب ادب النفس الجميل ذنبياً
 ودينياً وما الخيانة في مثل تلك الاحوال ونحوها الا الشر المردي
 في النهاية بصاحبه ، الفساد عليه جميع احواله في المجتمع ، المثلم
 لشرفه وصيته ، المشهر له باحط الاوصاف . وكفى بالخيانة اثماً
 مبيناً وعاراً وشناراً قد لا يحصى ولقد جاء في الحديث الشريف
 « إن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمتم وصدقوا
 إذا حدثتم واحسنوا جوار من جاوركتم »

البشر وطلاقة الوجه — هو ذلك الخلق الكريم الذي
 يكسب صاحبه محبة الخلق وإفهم له وعظفهم عليه وهو خلق
 مستحسن من جميع الناس يكسبهم كل خير بعكس عبوسة
 الوجه وتقطيعه — ولقد كره في الحديث ان الله يكره المعبس
 في وجه اخوانه — الدال على سوء الخلق وشراسة الطباع

والكبر غالباً، والبشر وطلافة الوجه من أجل أنواع البر قال
الشاعر:

لعمرك ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين
الترفع والتصون — هما من أجل الخلال البشرية ويجريان
في تجنب الهزل والقبیح وذكر الحنا وثقيل المزاح وسخيفه وخفة
الاحلام ونزق النفوس والاتقباض عن ادنياء الناس في المعاشرة
والمخالطة وفي الترفع وعزة النفوس وشمم الافئدة والتحرز من
العيشة الزرية واكتساب المال وطلب الحاجات بالمداهنة والتماق
والرياء والخداع فان هذا كله وأمثاله معيب شائن لا يأتيه الا
سفلة الناس وأصحاب النفوس الدنيئة وبذل ماء الوجوه وتعفير
الحدود ولقد جاء في ذم ذلك آثار جليل وحكم حكيمة واقوال
لسلف وامثال غاية في السداد فيجدر بالمرء العاقل والمسلم
المتأدب بأدب الاسلام بل بالآداب المصرية ان يصون نفسه
ويترفع بخلقه وأن يزن اموره بالحكمة ويجري في شؤونه بالعقل
مترفعاً متصوناً وهذا لا ينقي مبدأ التواضع الآتي . لانه بون
ما بينهما

التواضع — خالق جميل ممدوح وخلة شريفة لا تزيد

صاحبها الا رفعة في الهيئة ومحبة ومودة بين الناس لان ترك
المباهاة بالجاه الحسي والمعنوي أمر محمود من ذوي الجاه
خصوصاً أما الكبر والغطرسة والاستهانة بالناس والترفع عليهم
بحق وبغير ما حق يوجبه على نحو ما سلف في الترفع والتصون
المطلوب عن الاحوال المزرية مما يجعل الناس يزدرون المرء
ويقتونه من أجله فأمر مضر به ضرراً بليغاً لان من ينفسه
الناس ساءت أحواله فضلاً عن ان المرء بالتشبث بالكبر
والاعجاب بالنفس يبعده ذلك عن اكتساب الآداب والمحامد
الصحيحة ومن لم يستزد منها بقي أبداً في نقصه وانحطاطه دون
نوال الكمال وما اخر به غير كبره وصلفه ولقد جاء في مدح
التواضع وذم الكبر آثار جلية وآيات بينات من الكتاب والسنة
وآثار السلف واساطين الحكمة بما فيه اجمل الموعظة الحسنة
جاء في الحديث الشريف « التواضع لا يزيد العبد الا رفعة
فتواضعوا برفعكم الله تعالى، والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا
يعزكم الله تعالى، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا
يرحمكم الله عز وجل » وقال تعالى « ولا تصمركم للناس ولا
تمش في الارض مرحاً »

الحلم — قال الشاعر :

بحلم وعلم ساد في قومه الفتي وكونك اياه عليك يسير
 فالحلم — والحلم بالتحلم كما في الحديث الشريف من اكرم
 الخلال وهو اصل من اصول الدين وقد وصف الله تعالى به
 نفسه وأتى به على أنبيائه فهو من أجل عزائم الصبر واجل
 فضائل العقل والاناة والتوعدة المحبوبة وعلو الهمة الآتي
 ذكرها، ولقد حدوا الحلم بأنه « ترك الانتقام عند شدة
 الغضب مع القدرة عليه » وهو حال محمود ما لم يؤد الى ثلم
 الشرف أو فساد الامور ويضاد هذا الخلق من الرذائل والسفه،
 وكفى بهذه الاسماء والنعوت من السفه والسفاهة والسفيه شيئاً،
 والسفه سرعة الغضب والطيش من يسير الامور والمبادرة
 بالانتقام والطيش أو الحق والسب والشتم وياله من خلق ذني
 وسفالة في النفوس الغيبة الجاهلة شائعة في الطبقات النازلة
 خصوصاً. فاستصحاب الحلم والتحمل والتوعدة والتثبت بذلك
 كله إنما هو من أفضل الاحوال الجليلة والاخلاق الجميلة التي
 يجب ان يتحلى ويتخلق بها في الهيئة الاجتماعية. ولقد اشتهر
 عن كثير من ذوي المقامات الجليلة أنهم ما اكتسبوا الحمد

والسؤدد والمدح والثناء إلا من استصحبهم هذه الفضيلة فضيلة
الحلم فظفروا بها ونجحوا في أعمالهم وتديراتهم كما اشتهر عن
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وغيره كثير

الرحمة — وقد وصف الله بها نفسه في كثير من المواضع
في القرآن المجيد والذكر الحكيم فيجدر بالانسان ان يتصف
بالرحمة ذلك الخلق الكريم والفضيلة الانسانية العظيمة من
الشفقة والحنان والمطف على الاخوان ومع سائر أبناء جلده
بل عامة مخلوقات الله تعالى فالشفقة مطلوبة والرحمة واجبة
والراحمون مرحومون من الرحمن مشكورون من الناس .
والرحمة أوقع في النفوس اذا كانت من الاكابر الى الاصغر
ومن الاقوياء الى الضعفاء وفي الامة بين بعضها والبعض مما
هو من أحسن وأجمل مظاهر التضامن والتضافر للتماسك
المطلوب فيرحم القوي الضعيف ويوقر الصغير الكبير ويواسي
الواجد المعدم . أما التسوية والشراسة والاثرة والتخاذل والتجاني
وعدم الرحمة والشفقة فمن الخصال الممقوتة والفعال المضئبة التي
لا توجب لصاحبها في الهيئة إلا ولا ذمة ولا جزاء ولا شكوراً
فاذا ما منيت الامة بعدم الرحمة وبلت بالتقاطع والتدابر وغطرت

النفوس (خلافاً لما جاء في الحديث مثل المؤمنين في تواددهم
وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر
الاعضاء بالسهر والحمى وفي الحديث الآخر المسلمون كالبنيان
يشد بعضه بعضاً) فاذا ما منيت الامة بذلك فلن يكون بين
أفرادها غير الكراهة والبغضاء والحسد والسخط وان وجد شيء
من الميل والعطف فبطريق المداينة والرياء نفاقاً وليست تكون
في شيء من كسب الاحترام الصحيح والمحبة الحقيقية المبنية على
تبادل المحبة بالاخلاص والصدق الآتي من قبل الرحمة الحقيقية
والناج عن الشفقة والحب الخالص المتبادل من أجلها
بالاخلاص . فمن خص بهذه الخلة الكريمة من الرحمة والشفقة
فقد فاز بأجل شعور للانسانية وحظى من أجل ذلك بين أهله
وناسه وعموم أبناء هيئته بأجل الأرب وأفيد الآداب
الاجتماعية .

السخاء - هو بذل المال عن قدرة في حقوقه ووجوهه
الاجتماعية المفيدة وقد تقدم شيء من ذلك ، وهذا الخلق
مستحسن ما لم ينته الى السرف والتبذير فالاعتدال واجب في
كل الاحوال كما ان البخل والشح والظن بمد يد الاعانة والرفد

والمساعدة في وجوهها المطلوبة شرعياً واجتماعياً مذموم لانه يحرم الانسان مما لا ينبغي أن يحرم نفسه منه في هيئته في حال مسيرته وغناه ومقدرته على اكتساب المحامد والمفاخر الاجتماعية بواسطة ماله بين هيئته ولله ما أجزل معنى الحديث الشريف « السخي قريب من الله قريب من الناس والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس » ولا ريب انه يقصد بهذا القرب ما أشرنا اليه من الجهة النفيسة المثمرة للمحامد

سلامة النية وحسن الطوبة - وهو اعتقاد الخير لكل الناس ومعاملتهم بقلب سليم وهو من الاخلاق المرضية الواجب التحلي بها دينياً أيضاً وتنبك عن الحبث والغيلة والمكر والخديعة تلك الصفات التي هي من شر ما يجنى المرء بها على نفسه في سائر المعاملات وان ظهر له أنه الراجح الناجح بتلك الخصال الذميمة بادئ بدء لكن لا يلبث من يتصف بها ان يرى الناس وقد علموا بخبث طويته وقبح سريره احتقروه وازدروه وتجنبوا معاملته بل ربما كالوا له بما يكيل لهم به فلا يعود غالباً ينجح بينهم او يظفر منهم بطائل الا بمقدار ما ينتفع به منه في

المجتمع فضلا عن الانتقاص الادبي والسمعة الرديئة « ولا يحق
المكر السيء الا بأهله »

الشجاعة — الشجاعة الادبية من خير ما تتحلى به النفوس
وتتبحر به كل الشؤون اذ حوار العزيمة والجلب الادبي ضررها
البليغ في نفوس الافراد بما لا يمكن حصره ، والشجاعة
الحسية من أفضل الصفات لان الثبات عند المكاره والنوازل
أمر مطلوب لسلامة الحياة البشرية والذود عن الحياض ولقد
قال الشاعر العربي القديم

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يضرس بانياب وبوطاً بمنم
وليس للدرء أفضل من سلاح الشجاعة ما دامت غير
بالغة حد التهور وكذلك الحال في الشجاعة الادبية من حيث
قول الحق والصواب غير هيب ولا وجل إنما يكون بمراعاة آداب
لها وشروط تبعاً للنظام المرعى ولقد كان للمسلمين هذه الملكة
ملكة الشجاعة الادبية على أشدها في الاعصر الاول ولكنها
تلاشت من نفوسهم شيئاً فشيئاً تبعاً للتقلبات والتفسيرات
الشديدة التي أبعدت النفوس عن مبدأ الحرية والمساواة
الاسلامية حتى أضحت في أخريات الايام كلاً شيء الامر الحري

بان يرجع اليه طلباً لمظاهر الحياة الاجتماعية الصحيحة وحرية
 الافكار المفيدة وفي الحث على هذه الشجاعة الادبية جاء في
 الحديث « لا ينبغي لا مصري، شهد مقاماً حق الا تكلم به فانه
 لن يؤخر اجله ولن يحرمه رزقه »

الصبر - الصبر عند الشدائد وهو خلق مركب من
 الشجاعة والوقار ومستحسن جداً في كل الامور أما الجزع والقلق
 والاكتثار من الاضطراب بحيث يصير المرء كما قال الشاعر
 كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق
 فليس بمنفيد صاحبه ولا هو بالمغنى عن الصبر فتبلاً في
 التدبير واستنباط الحيلة بالثبات والاجتهاد بالحكمة لدفع ضرر
 الشدائد وتذليل المصاعب واحتمال المكاره والتماس المخارج وهذا
 لعمرى ما يسميه اخلاقيو العصر بالثبات والثبات والصبر مترادفان
 هنا على ان للصبر فضلاً في كل الامور وهو مطلوب دينياً في
 كل الاحوال وعقباه محمودة في احتمال تصارييف الاقدار الجارية
 على الانسان التي يعد الجزع فيها عصياناً وسخطاً على مقدور الله
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في الصبر على ما تكره خير
 كثير » وقال « الصبر والاحتساب خير من عتق الرقاب ويدخل

الله صاحبهن الجنة بغير حساب « وقال بعض الحكماء « الصبر
باب العز والجزع باب الذل « وقال الشاعر الحكيم
الصبر أفضل ما اعتصمت به ولنعم حشو جوائح الصدر
والصبر صبران صبر على الاقدار وصبر على الاعمال وسيأتي
زيادة شرح على الاول في قسم أدب النفس مع الخالق تعالى .
الصدق - والصدق منجاة من العطب - وهو ذلك الخلق
الكريم والخلة الجميلة من الاخبار بالامور على حقيقتها والجري
في كل الشؤون بموجب أدبها والمؤمن كما في معنى الحديث
الشريف اذا قال صدق واذا وعد أوفى - والصدق مستحسن
من كل الناس وخلق بمن يتصف به ويشتهر ان يكتب
احترامهم وثقتهم به واجلالهم لمقامه مقام لسان الصدق أما
تقيض هذه الخلة من الكذب فمن اقبح الرذائل واخس وأردأ
الحصال المفسدة للاحوال المضیعة للحقوق في مثل شهادة الزور
والبهتان والحلف الكاذب فانها كلها حرام ومن أشأم الحصال
التي يتخلق بها امرؤ سفلت نفسه وانحط خلقه ، ويدخل في
باب هذه الرذيلة بل هو من شر الكذب « الغيبة » و « النيمة »
« والسعاية والوشاية » وبالله ما أقبحها وأسوأها من صفات

ديثة وخصال رديئة تعود بالضرر على المتصف بها اكثر مما قد
تضر بمن عداه وكتب التاريخ والمحاضرات الاسلامية مملوءة
بالعظات البالغات مشحونة بالعبير القارعات ناهيك انه قد
تضافت النصوص الدينية الصريحة والبراهين العقلية الرجحة
على سوء مغيبة من يتصف بالكذب وقبح حال من أكل لحم
أخيه ميتاً او شهد شهادة الزور الى آخر ما في الباب من تلثم
الاذيال الذميمة والخصال السخيفة التي لا تقوم عليها مصالح البشر
الحقيقية البتة ولا تضر الغير بمقدار ما تضر أصحابها في الهيئة
فضلاً عما يترصد المتصف بها من العقاب الشديد يوم ينفع
الصادقين صدقهم

العدالة - هي التقسط اللازم للاستواء في جميع الفعال
وكل الشؤون واستعمال الامور في مواضعها وبأوقاتها وفي
وجوهها وحقوقها وقد مضى شيء كثير مما يتعلق بها في ادب
المعاملات وغيره وأدب الحكومة ، أما الظلم والجور ذلك
الذي يضاد العدل ويخرب البيوت والممالك ويفسد كل الاعمال
فهو خروج المرء عن العدالة المطالوبة في جميع الامور كأخذ
الاموال من غير وجهها الحلال والمطالبة بما ليس له فيه حق

ووضع الاشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها ولا على القدر الذي
يجب والوجه الذي يجب كالسرف والتبذير وتطفيف الكيل
وتخسيره ونحو ذلك

العفة - وما أحلى اسمها وأجل خلقها واعم نفعها في ضبط
النفس دون الاسترسال في الشهوات ووزنها بميران العقل والحكمة
وقصرها على الامور الحلال وهو الامر المطلوب انسانياً لصلاح
حال البشر وجمعياتهم صحياً لتقدمهم وسلامة أبدانهم ونفوسهم
وعدم اضاءة أموالهم ونحصل بالوزان الشرعي الانساني أمور
التناسل والتكاثر على مقتضى مبادئها الانسانية الحقبة بعكس
حال نقيض هذه الخلة من الفجور والانهماك في الشهوات
والشرور وارتكاب الموبقات وشرب الخمر والنجس تلك المفاسد
والشرور المهادمة للبنية الانسانية المقوضة لدعائم الهيئات المحطة
بشرف النفس الآدمية المردية بقواها العاقلة والادية ، والآثار
والاخبار في مدح العفة وما تحتها من الخلال الحميدة ودم
الفجور والفسوق اكثر من ان تحصى وما اقبل من ان يصير
المرء الحر عبداً بارادته وأسيراً لشهواته التي تجره الى اختلال

أمره والانشاء بتلاتي شأنه ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون ،

علو الهمة - خلة من أجل الخلال الانسانية الخصيصة
بالانسان والحرية بكماله العقلي وشرف ارادته التي يجب ان
تحرر من اسر الاهواء والسفاسف ويتحرى بها اعالي الامور في
جميع الشؤون دون حقيرها وذيئها الدال على خساسة الشأن
وغباوة النفس وجهلها وصغر الهمم وانحطاط العزائم الامر الذي
تسفل معه كل الاعمال والافعال ، وعلو الهمة وكبرها حال بين
« التفنج وصغر الهمة » فالتفنج تطلع الانسان لما لا يستحقه ولا
هو كفؤ له وهو البذخ وصغر الهمة ترك ما يستحقه وهو الدناءة
وكلاهما مذموم على انه قد قيل (المرء حيث يجعل نفسه ان
رفعها ارتفعت وان قصر بها اتضعت) فيجدر بكل امري ان
يجتهد ولا يصغر همته او يحط بنفسه قال الامام عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه (لا تصغر من همتك فاني لم ارا قعد بالرجل
من سقوط همته) وهذا انما ينال بالجد والاجتهاد والترفع
والتصون وتحري احسن الاحوال من غير ما صلف ولا تفنج
في الشؤون علماً وعملاً والله ما اجل ما قال الشاعر

فقل لمرجى معالى الامور بغير اجتهاد رجوت المحالا
 أما صغر الهمة والدعة في متخري الاحوال كلها فوجب
 للانحطاط والخسار ولذلك قيل ما لزم احد الدعة الاذل، وحب
 الهوينا يكسب الذل وحب الكفاية مفتاح العجز « وقال الشاعر:
 اذا ما الفقى لم يبيع الا لباسه ومطعمه فالخير عنه بعيد
 غير أنه لما كان التوسط في كل الامور من أهم شروط
 الحكمة والتوسط في كل الاحوال من اكمل الادب الانساني
 فلهذا يجب على كل عاقل ان يتوسط في أمره ولا ينزل نفسه
 الا منزلتها ويتدرج في شأنه بالحق والاعتدال تدرجا فلا تبلغ
 به نجبة التفاني في التعالي الى درجة « التفنج » المذموم ولا
 يحط بنفسه وهمته وعزيمته الى درجة الحقارة والاخلاد الى
 أرض المهانة وما الحكمة الا بين الاطراف وخير الامور
 أوساطها كما جاء في الحديث الشريف .

القناعة النفسية من أجمل الخلال وأحسنها وليس معناها
 الاخلاد الى أرض الدعة والكسل والجمول والتكبر عن
 السعي والعمل بالجهد في تحصيل الارزاق والمكاسب بهمة
 ونشاط وعزيمة صادقة ضمن دائرة الشرع فيما لم يحرم من

الاعمال والمساعي كما تقدم القول فيه في باب أدب العمل بل المراد بها تلك الصفة التي تلازم النفوس الكريمة والهمم العالية المتأدبة بأدب الاسلام فترضى في نفسها بالخاصة لديها في الوقت والحال ولا تظهر التأنم والتني والشره بل تناول ما تسمى اليه بالحق وما تحصله منه بالقدر المحبوب الممدوح فهذه القناعة هي ولا ريب التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم « القناعة كنز لا يفنى » وهي بهذا الحال من أفيد ما يتحلى به الانسان ومن خير ما ترتاح اليه النفس ناهيك وان الطمع والشره من أضر ما يضر بالمرء لانه يفتح عليه باب الشر ومداخله الكثيرة والوقوع في الحرام في باب الكسب لفرط الطمع والجشع ولله ما أحسن القصد والاعتدال وبعبارة اخرى ما أجمل القناعة ذلك الكنز الذي لا يفنى .

كتمان السر - خلق ممدوح وهو يدخل في باب أداء الامانة والوفاء ، فاذا ما ائتمنتك انسان على سر يلقيه اليك أو حدثك حديثاً يجب اخفاؤه فلا تكن سفلاً سفيهاً بازاعته خائناً بافشائه نا كئناً عهد الامانة فيه ولقد قيل في مدح من يكتم أسرار أصحابه واخوانه

ويكتم الاسرار حتى أنه ليصونها عن ان تمر بياله
 وشر الناس اولئك الذين لا خلاق لهم من الثرثارين
 الذين يستنزلون الناس اسرارهم حتى إذا ما استفرغوا ما في
 بطونهم من شكاء وبرحاء وامور هامة اذاعوها عنهم للتشنيع
 بهم والخط من أقدارهم أو لمقاصد خبيثة يطوونها وهوؤلاء هم
 شر بني آدم وهذا الخلق من أردأ الاخلاق وأحطها وأشأم
 الخصال وأخسها فالمرء الحر الشمايل الحسن الآداب يجدر به
 ان يكتم سر أخيه فيما يحط به أو يضر بشأنه ولا يفشى عليه
 ما يكره من شكوى أو بلوى يبتها إياه ليفرج همه وكرهه والله
 ما أطف وأرق هذه الحكمة التي قالها امرؤ عاقل لصديق له
 حين قال له « أريد أن أفشى بك سرا تحفظه علي » فأجابه
 الصديق الحكيم على الفور « لا أريد ان اربك قلبي بجواك
 واجعل صدري خزانة شكواك فيمقلني ما أقلقك ويؤرقني
 ما أرقك فتبيت بافشائه مستريحاً ويبيت قلبي بجره جريحاً .
 وافشاء السر حرام لانه أمانة قال الحسن رضي الله تعالى
 عنه « من الخيانة ان تحدث بسر أخيك »
 المحبة والمودة — وهي احدى أسباب نظام العالم العلوي

والسفلي ولو وجدت المحبة بين الناس كلهم على حقيقتها لاستغنى
 عن العدالة ولذلك قيل العدالة خليفة المحبة ، على ان هذه المحبة
 والمودة مما يجب بمقتضى ادب الاسلام أن يتخلق بها الناس
 بين بعضهم والبعض من الاهل والاقارب وأبناء الهيئة وعموم
 بني الجنس ولقد مضى عنها شيء في أدب المعاشرة وهي مفيدة
 جداً في أدب النفس واستشعارها باخلاص بالنسبة الى
 ادب السلوك الاجتماعي ووسائلها كثيرة وقد جمعها الله في
 قوله تعالى « أدفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه
 عداوة كأنه ولي حميم » فمن عامل الناس بمروءة وشهامة
 وتسامح وتجاوز أحوه وفاز بينهم بانجح المقاصد واجل الارب
 أما العداوة والتباغض والتحاسد والتدابير بين الناس فليس من
 شر يفوقها في جر المصائب والويلات فيما بينهم وفي الآداب
 الاسلامية آثار جليلة في المعنى للترغيب في توطيد دعائم هذه
 الخلة الاجتماعية الجميلة مما يغني عن الاطالة وسيأتي في أدب
 النفس مع الخالق ذكر حب الله .

المنافسة — وهي التقليد والتشبه بالغير فيما يراه ويرغب
 فيه لنفسه والاجتهاد في الترقى الى درجة أعلى وهو أمر مفيد

إذا كان فيما يتعلق بالخيرات الاجتماعية والامور الجليلة الانسانية
كما قال الشاعر

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبيه بالرجال فلاح
وهذا الخلق يوجد في الصغار أكثر مما يوجد في الكبار
لحكمة انتظام أمور الخلق ولهذا يتحتم على كل امرئ أن يظهر
باحسن المظاهر المؤثرة في منافسيه حساً ومعنى من غير ما كبر
ولا عجب وما أكثر ما تفسد أحوال الذراري من القدوة السيئة
الفاسدة في الآداب العامة والاخلاق الشائنة في كل الشؤون
المحدقة بهم وتسرق أخلاقهم منه. ويالحق بهذا الخلق اذا كانت
النفوس حسنة التربية إما الغبطة، أي تمنى ان يرى الانسان نفسه
بمثل حال المغبوط دون ميل الى تمنى زوال نعمته واما «الحسد»
اذا كانت النفس خسيصة فاسدة التربية والحسد هو ذلك
الخلق الذي لا يسود صاحبه والذي يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب كما جاء في الحديث الشريف فالحسود لا ينجح أبداً
في أموره لتمنيه المكروه للغير والعمل لاعدام نعمته أو الحط
من فضله وهو خلق سافل رديء ياله من خصلة في المنافسة
ذميمة قبيحة ضارة بصاحبها أيما ضرر قال بعض الحكماء

(الحسد داء الجسد) وقال الاحنف بن قيس (لاراحة لحسود) ومن بليغ ما قالوا في هذه الرذيلة الاجتماعية (الحسد يبدي نقص الحسود ويدل على كمال المحسود وكفى بالانتقام منه ان يتقطع حسرة وهو مع لؤم طباعه وخساسة نفسه واتضاعه ينبه على فضل غيره ويظهر ما خفي من خيره) وفي ذلك يقول الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أناح لها لسان حسود
 الوفاء - خلة مدحها الله تعالى (والموفون بهم دم اذا
 عاهدوا) - (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وعرفوا الوفاء بأنه
 الصبر على ما يبذله الانسان من نفسه ويرهن به لسانه. وخلق
 الوفاء خلق محمود ينتفع به كل الناس في مصالح هذا العالم وتنظم
 به أمورهم فمن عرف به كان مقبولاً موثقاً به ناجحاً في جميع
 أعماله ويقابل هذه الخلة من الرذائل (القدر) لانه الرجوع
 عما يبذله المرء ويضمن الوفاء به من نفسه وما أشأم القدر
 والنكث والتنكب والخيانة على بني آدم لان من يشتهر في
 الهيئة الاجتماعية به لم يركن اليه البتة ولا يثق بعده ووعده
 انسان فتضطرب حاله وتهوش عليه أمورده ويعيش في حال

من المذلة زرية وأمر من الصغار واحتقار الشأن شأن جزاء
خيائته وخبث نفسه وطويته

الوقار - وهو الأمسك عن الفضول في الكلام والعبث
وكثرة الاشارة والحركة خفة ونزقاً فيما يستغنى عن التحرك فيه
وقلة الغضب والاصغاء عند الاستفهام والتوقف عن الجواب
والتحفظ عند السرعة والمبادرة في جميع الامور . وهذا الخلق
من أفيد الآداب النفسية في السلوك في الهيئة الاجتماعية
ويدخل فيه (الحياء) والحياء كما في الحديث شعبة من الايمان
وهو غض الطرف والانتقباض عن الكلام الفاحش والامر
الفاحش حشمة وتحشما . ويقابل هذه الخلة من الرذائل الخرق
وقلة الحياء والوقاحة وهي الجرأة في الكلام بلا احتشام ولا
تحفظ وكثرة الحركات والاشارات وشدة الضحك المميت
للقلوب والاتيان بالهزل والهديان الذي استعاذ منه رسول الله
صلى الله عليه وسلم (نعوذ بك من الهزل والهديان) واكثر
ما توجد هذه الخصال الذميمة في أبناء السوقة وأرباب السخف
والمجون وأهل الدعارة من غوغاء المدن خصوصاً ولكنه على
كل حال أمر شائن دال على سخافة العقول وبعبارة أخرى على

استحكام الجهل والغباوة وفساد الاخلاق في تلك النفوس وقلة
مادتها الادبية



تلك هي جملة الاخلاق الفاضلة التي يجب ان يتخلق بها
المرء بموجب ادب النفس مع الخلق في الاسلام وكلها داخلة في
باب المروءة والاذواق السلية ويجمعها اسم (الحكمة) على
أوسع معانيها التي قال الله تعالى فيها (ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيراً كثيراً) وكلها وما يتفرع عنها قد نبه عليه في حكمة
القرآن وآداب السنة المطهرة النبوية . تنبيه حث عليها وتنبيه
نهي وتحريم فيما يضادها ولقد تقدمت الاشارة الى شؤون الذنوب
والرذائل والقصاص والوعيد عليها ناهيك أن الرذائل في جملتها
وتفصيلها مفسدة لشأن الانسان في حد ذاته وعمله كله وهي
تعدى اى تناول افساد حال الهيئة الاجتماعية فمن اجل ذلك
كله من شرها أوجدت القصاصات في الشرائع بأجمعها لاقامة
قسطاس العدل بين الانام لما ينقصهم من آداب النفوس
المؤسس عليه ادب الجوارح لان امثال هاته الفضائل وان
لزمت بل وجب دينياً وأديباً على كل انسان تحريمها في نفسه

وفي أهله وولده غير أن مما لا خلاف فيه انها قلما تجتمع في
 انسان على التمام وان وجدت جملة في مجموع الامة كذلك ما يسمى
 رذائل من نقيض هاته الفضائل فان شيوعها هو كذلك ويستحيل
 ان تجد انساناً فيه عيوب الا وتجد الى جانبها فضيلة او اكثر
 قد تستحسن منه وتستظرف فيه غير أنه لا ينبغي مع ذلك للمرء
 العاقل ان يقصر من همته ويتخذ ذلك حجة بل يجب اسلامياً لما
 جاء في الآية الشريفة (فاستبوا الخيرات) ان يجهد ويجهد ليحصل
 الفضائل الرئيسة ويتحلى بالخلال الشريفة وان يتجنب الرذائل
 الشائنة الحسية والمعنوية لان ذلك انما هو الوسيلة العظمى
 الى نوال السعادة في الحياتين ومفتاح للنجاح والفلاح في كل
 الاحوال والاعمال (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكفر عنكم
 سيئاتكم) والدين كما قيل في الاثر الشريف المعاملة معاملة
 الناس بأحسن الاخلاق واكرم الآداب الاجتماعية ومن لم
 يجاهد نفسه ليتصف قلباً وقالباً بالمحامد الاجتماعية والمادح
 الادبية في الهيئة والقيام بكل الواجبات المفروضة على افرادها
 في سائر الشؤون والتزام الادب النفسي في كل انواع السلوك
 فهذا قل ان ينال تلك السعادة على التمام بل كان بالشقاء أخرى

وباسم المقصر في حق نفسه وحق أبناء هيئته أولى ولحقته اذا
 غلبت شروره فضائله الاضرار والقصاصات المنصوبة للردع
 والقائمة للزجر وتقويم معوج الانفس والاعمال وتلك السعادة
 المطلوبة ان تنال بالراحة في هذه الدار بل الراحة في التعب
 والنصب واللذة في مجاهدة النفس على الدوام لتحصيل الفضائل
 والمعارف وابتناء المنزلة في القلوب وعند الرب تعالى بالاعمال
 الصالحة في الهيئة الموجبة لسلامتها سواء قام بها الافراد او تضافت
 عليها ايدي الجماعات تحريماً لاستقامة أمورهم كلها في هيئتهم
 نزوعاً الى الرقي والكمال الانساني الذي ينساق فيه الانسان
 بطبيعة العمران وما الشرور والذائل الا معوقات في سبيله
 متموضات لأركانه فهي من قبيل الامراض التي قد يمكن تلافياها
 او هي بعبارة أخرى كتلكم الحشائش التي تلتف حول
 اصول الاشجار والنبات الطيب من اصل الفطرة فتعكسها
 وتوقف نموها وتمتص غذاءها ولهذا وجب على كل امرئ
 معاهدة نفسه التي بين جنبيه على استعمال أحسن ما فيها
 واستئصال ما قد ينبت الى جنب ذلك من ردىء حشائش
 الرذائل خصوصاً ما قد تربه اياه غوايات النفوس انه من اكمل

الخطوط وانواع اللذات والسعادات وليس هو عند التمهين
 لدقيق منها في شي بل ربما كان من شر جالبات الشقاء والتعاسة
 والقيام بهذا كله يدخل في ذلك الامر المحبوب المطلوب سواء
 في آدابنا الاسلامية او في آداب غيرنا من تزكية النفس وترقيتها
 مما لا فلاح ولا نجاح البتة الا به

فرياضة النفس بموجب كل الآداب القديمة والحديثة
 اذن واجبة وهذه الرياضة او المجاهدة العملية تكون بهذيب
 النفس اى تعويدها الفضائل الاجتماعية والاعتدال واستخدام
 العقل الرشيد في كل الشؤون الحيوية واجتناب الرذائل
 والافراطات في تلكم الاحوال ولا يستثقلن احد ذلك بل
 لا يعذر في تركه ذوا ادب اسلامي والقرآن المجيد امامه والسنة
 النبوية بين يديه وكل ما تقرر بواسطتهما من النظمات الاجتماعية
 والآداب الصحيحة فيه يسر وتيسير من حيث سد حاجات
 النفوس وتطلعات القلوب بما فيه مندوحة للاخذ بالحلال
 الصرف وتجنب الحرام المنهى عنه (وما اتاكم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد امرنا بالاخذ بأحسن الاشياء الحسية
 والمعنوية وامرنا بان نؤدب نفوسنا وتجنب الفواحش من الرذائل

ما ظهر منها وما بطن وان نحسن المعاملة والسلوك مع الخلق
وجعل هذا كله مفتاح النجاح والفلاح بل قطب رحى السلامة
في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة

ولقائل ان يقول ان الاخلاق لا يمكن تغييرها لانها
اخلاقة الباطنة أو صورة النفس أو ترشيحها من الطبع الآدمي
فهي كاخلاقة الظاهرة من حيث ان هذا جميل الصورة بهي
الطلعة وذلك دميم الصورة قبيح المنظر، وذلك طويل القامة
وذلك ضعيف البنية فكيف يطمع في تغيير ما يظهر أنه من
متمات الطبيعة البشرية لانتظامها به حساً ومعنى ناهيك ان
للبيئات حكماً طبيعياً ومعنوياً خصوصاً إذا كانت تلك البيئات
الادبية كثيرة الشرور والفساد وهي باطراد الاحوال مطردة
الفساد والافساد في الاخلاق بالتلقيح والعدوى من القدوة
السيئة بالطباع السوء التي يقول فيها الشاعر

إذا كان الطباع طباع سوء فلا ادب يفيد ولا ادب

على ان هذا كله قول ضعيف لانه لو كانت الاخلاق
لا تقبل التغيير والله تعالى يقول (لا يغير الله ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم) لبطل شأن الوعظ والتأديب الشرعي ،

وكيف ينكر قبول التغيير بمخلق الانسان صاحب الاستعداد
 الفطري العظيم والقابلية الكبيرة مع أن الحيوان الاعجم قد
 يتغير خلقه بالتهذيب والتدريب ، فالبازي ينقل من الاستيحاش
 الى الانس والسكاب من الشره الى التأدب والامسك والتخمية
 (كما هو مشاهد في كلاب الصيد) والفرس قد تنقل من
 الجماح الى السلاسة والانتقياد وكل ذلك تغيير في الاخلاق
 أخلاق هذا الحيوان الاعجم الفرزية فكيف بالانسان سلطان
 المخلوقات وصاحب العقل الرشيد ؟ لا ريب أنه أولى وأحرى
 بان تقبل أخلاقه التغيير وتسلس طباعه لا سيما والنهج ميسر له
 والطريق طريق الخير مفتوح الباب اسلامياً واجتماعياً لديه
 وهو بمقتضى سير العالم لو حاد عنه الى ما يسفل بشأنه دون
 التمسك بما يرقى أمره ويعلى قدره كان ولا ريب الساعي الى
 حنقه بظلمه إذ العالم في جهاد مستمر فاليقظ الاخذ بأسباب
 الكمال والفلاح هو الناجح الظاهر والمخلد الى أرض الخساسة
 في الاعمال والسفالة في الاخلاق هو الخاسر ، فهل الاسلام
 يأمر بذلك ؟ هل يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء

والمنكر وكل الاخلاق الذميمة وينجح أهله إلا باتباع ما أمر به
والانتهاء عما نهى عنه ؟

فمن تمام النعمة علينا في أدبنا الاسلامي أن أرشدنا الله
تعالى الى كل خير أصلي يصلح لكل زمان ومكان كما أمرنا ان
نمسك بذلك تمسك فعل في كل ادوار الحياة مما يدل على قبول
الاخلاق للتغيير وأن نفوسنا قابلة لأن نضمها حيث أمرنا حتى
نصالح لهداياته وفيوضاته القدسية (لا يغير الله ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم) ولتمام الابداع في الصنع لم يعط الانسان
هذا الخلق بادىء بدء تاماً كاملاً وبعبارة اخرى غير قابل للتغيير
والتبديل بل الاعضاء الباطنه أو الحواس النفسانية من الادراك
والعقل وإن كانت كالأعضاء الظاهرة من حيث أنها بتبدىء
تمو شيئاً فشيئاً حتى تشتد مع الزمان إلا أنه قد جعل لها فوق
ذلك تلك الاستعدادات العظيمة والقابلية الكريمة والاختيار
والارادة للتكليف بها والتخوير وتصحيح المبادئ بفضل ما وهب
من العقل وقوة الادراك والبصيرة وحسن الاذواق وقبول
الهدايات الربانية والفيوضات الوجدانية التي يجب أن تربى
وتوقف على المبادئ والمعلومات وهي لها بعد ذلك شأنها من

قوة الحكم واستخراج صحيح النتائج من فاسدها ولكل أصل
 في مستمد أدبنا من الكتاب والسنة السمحاء
 وإذا كان الخير والشر أو بعبارة أخرى الفضائل الانسانية
 والذائل الاجتماعية قد بين حالها بياناً شافياً في مبادئ الادب
 الاسلامي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنوا
 أخلاقكم » وقال « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » فقد ظهر
 لنا من هذا كما ظهر لنا مما سبق أيضاً في الآية أن ذلك
 مطلوب من كل أحد كالعالم الذي طلبه فرض عين على كل مسلم
 وكالقرآن المأمور بالعمل بهديته لا ان نتلوه فقط لمجرد
 التبرك بتلاوته أو التزيم بالفاظه وكل هذا يرجع علماً وعملاً الى
 تلك الغاية السامية من تزكية النفوس وتطهير الاعراق فكيف
 يدعي مدع بعد هذا كله أن الطباع لا تقبل التغيير وهي
 مأمورة به ومكلفة وقد ركبت في الانسان كما سبق بكيفية قابلة
 له ولولا ذلك لما تحول جيل العرب في صدر الاسلام بهداية
 القرآن من الخشونة والشراسة في العادات والاخلاق اخلاق
 الجاهلية الاولى الى تلكم الاخلاق الاسلامية الجديدة السامية
 (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ناهيك ان الاخلاق

الاجتماعية الفاضلة المأمور بها وأتيت على الكثير منها آنفا
ليس فيها خلق الا وله فوائد ومزايا جليلة في انالة النفوس النجاس
والفلاح في هذا العالم عالم التكليف كما تقدم وأن لا شر ولا ضر
ولا تقهقر ولا اتضاع الا باتباع اضدادها وغشيان الذنوب
وقد تقدم عن ابن قيم الجوزية بيان ما يلحق المرء من آثارها
فيجب مجاهدة النفس وتدريبها وتمويدها دائما الخيرات الاجتماعية
والنفسية وتحليتها بالآداب والكمالات وأن صعب الامر
واستمعى الحال للاسباب الكثيرة المحدقة بالانسان مما يجعل
الهمم متفاوتة والتفاضل في العزائم والارادات ظاهرا وكلما
كانت التربية متأصلة منذ الصغر والقدوة العملية في البيئة حسنة
وجميلة كان الامر في اكتساب الفضائل أقوى وأرسخ وأظهر
في الكبر على قدر ذلك من المجاهدة مجاهدة النفوس للمؤثرات
ومقاومة الغوايات النفسانية على ان النفس لما قد ركب فيها من
قوى الشهوة والغضب قد تكون كالدابة الجموح اللازم لها
الترويض والتأديب حتى تكف عن الهوى وتنقاد الى العقل
بزمام والا صار الانسان عبدا للهوى وبعبارة اخرى أسير شهواته
البهيمية ونزعاته الشيطانية فانسليخ عن انسانيته وحرم شرف

الاتصاف بجميل أخلاقها بين بني هيثمته فنزل قدمه بعد ثبوتها
 في جميع أفعاله ولا يعود ينجح في سائر مساعيه مصداقاً للآية
 الشريفة « قد افلح من زكاهها وقد خاب من دساها » والآثار
 في الباب باب تأديب النفس وتهذيبها جلب السرور اليها ودفع
 الشرور عنها والمخاوف مما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الجهاد الاكبر لهذا الغرض الشريف فضلاً عن الغرض الديني
 الكريم كثيرة فالزم أيها المسلم المصري الفضائل واجتنب في
 سائر أحوالك الرذائل تحفظ بالسعادة الابدية والكمال الانساني
 الاسلامي ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكمل
 المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » ويقول الشاعر « هي النفس
 ما عودتها تعود »



﴿ القسم الثاني ﴾

(ادب النفس مع الخالق)

الادب مع الله تعالى — املاء القلوب من عظمة الله — الاسلام
والايمان حال النفس المستكملة المطمئنة — التقوى جماع الخير —
الاخلاص وصدق النية — تعريف النية — الاخلاص الحق —
المحبة لله تعالى — مقامات وأحوال النفس الاخرى — الرجاء
والخوف — محاسبة النفس ومراقبتها — التوبة — الصبر — الشكر —
التوكل — الزهد — التفكير .

« مثل الايمان كمثل بلدة لها خمسة من الحصون الاول »
« من ذهب والثاني من فضة والثالث من حديد والرابع من »
« آجر والخامس من لبن فما دام أهل الحصن متعاهدين الذي »
« هو من لبن لا يطعم البدو في الثاني فاذا أهملوا ذلك طمع »
« في الحصن الثاني ثم في الثالث حتى تخرب الحصون كلها »
« فكذلك الايمان في خمسة من الحصون اولها اليقين ثم »
« اداء الفرائض ثم اتمام السنن ثم حفظ الآداب فما دام العبد »
« يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطعم فيه فاذا ترك »
« الادب طمع الشيطان في السنن ثم في الفرائض ثم في »
« الاخلاص ثم في اليقين فينبغي للانسان أن يحفظ الآداب »

« في جميع اموره ، (الشيخ عبد القادر الجيلاني)

في كل شيء اذا ضيعته عوض وليس في الله ان ضيعت من عوض
 لقد تقدم في اول هذا الكتاب ما يجب على المسلم من
 ادب الاعتقاد مع الله تعالى وتزويجه وتقديسه والقيام بعبادته
 لانه سبحانه وتعالى خالقنا ورازقنا ومعيننا ومثبنا ومجازينا على
 اعمالنا وافعالنا جزاء كريماً السيئة بمثلها والحسنة بعشر امثالها كما
 هو صريح مدلول القرآن والسنة وانه تعالى تفرد في علاه
 موصوف بالكمال المطلق واتقان الصنع وابداع التدبير لخلقه
 بما لا يمكن ان يقف على كنهه عقل مخلوق على التمام ، وانه
 تعالى له في خلقه التصاريف بما شاء وكيف شاء ولا يحيط
 بحكمته أحد ولا يقدر ان يحصى نعمه المتواصلة وامداداته
 المتوالية انسان لهذا كله كما لزم القيام بحق عبادته وتقديسه
 وجب اشعار النفوس الادب بحقه بالاخلاص له والحب
 والتقوى والخوف منه لانه تعالى الفعال بالحق لما يريد وهو
 احكم الحاكمين وارحم الراحمين سبحانه جل شأنه

ولقد مضى القول كما سلف في الاعتقادات والعبادات في
 اول هذا الكتاب بالايجاز والاختصار فبقي ان اشرح ما هو

لازم من الادب والتأدب النفس الخالص مع الخالق العظيم
 مسدينا أجل النعم ظاهرها وباطنها مما لا يمكن حصره ولا
 عدده كما قال تعالى في القرآن المجيد (وان تعدوا نعمة الله
 لا تحصوها) ولا غرو فاستصحاب هذا الادب في النفس
 البشرية واملاء القلوب من عظمته تعالى خشية ورهبة وحباً
 وأملاً كريماً وتقديساً وتزihياً واخلاصاً هو عين العبادة بل
 هو عين الايمان وتتمام السعادة في الاسلام وكل الآيات
 والاحاديث ناطقة بذلك شاهدة عليه مبينة ان عمل الجوارح
 والاعتقاد باللسان لا يتم به اسلام المرء وايمانه الا اذا صحبه عمل
 الوجدان الانساني من استشعار الضمير واتصافه الذي عنه
 ينبعث باعث الرغبة للقيام بشوق وعزيمة صحيحة لتجويد عمل
 الجوارح ومراعاة روحها ولهذا فرّق بين الاسلام والايمان
 (وقالت الاعراب آمنة قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما
 يدخل الايمان في قلوبكم) وترى شرح هذا مطولاً في كتب
 الاسلام المعتمدة كالتفسير القرآنية وشروح كتب السنة كشرح
 مسند مسلم للامام النووي وشروح البخاري وغيره
 فالايمن عمل القلب ، عمل الضمير ، والاسلام وان عم

هذا ضمنا لكنه يشمل عمل الظاهر والايمان خصيص بالباطن
 كما فسروا به تلك الآية النازلة بحق الاعراب ، والاسلام
 الشامل والايمان الكامل مصدر كل خير وسعادة حقيقية
 للانسان تستطاب بها كل أعمال الجوارح في الاعتقادات
 والعبادات وكل المعاملات وترتاح لها النفوس بما لا يمكن ان
 يتصور في أى سعادة أولذة أخرى نفسانية ، بل هي لذة فوق
 كل لذة ، وشعور سام يعلو كل شعور بما لا يمكن لاي
 امرئ أن يصور شأنه أو يكيف حاله واستطابة نفسه به ،
 ولا عجب فللايمان كما في الحديث الشريف حلاوة وللتقوى
 كرامة وجبا عند الله جمآ وإذا أحب الله عبداً كان كما جاء في
 الحديث الشريف بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به
 وتلك هي صفة أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
 بالمعنى الحقيقي لا بالمعنى الذي يرمى اليه جهلة المتصوفة وغلاتهم .
 وهذا الحال للنفس المستكملة أدها الباطني بحق الله تعالى
 وقبولها للفيوضات الآلهية واستشعارها الرحمات الصمدانية
 أمر دقيق ومقام عظيم وقد أطل فيه القول علماء الاسلام

الروحانيون وفلاسفة الاخلاق الصوفيون^(١) كالامام الغزالي والقشيري والسهروردى ومحي الدين بن العربي وغيرهم مما لا يدخل تحت مقصود هذا الكتاب للغرض الذي قصدت اليه فيه من الايجاز والاختصار والوقوف خصوصاً عند الحدود العامة والقيود الشرعية البحتة المقصودة بالذات في أدب الاسلام باطنياً وظاهراً وأعنى بها الفضائل وأنواع الآداب النفسانية الواجب التحلي بها بحق الذات العلية القدسية ، تلك الفضائل والآداب المثمرة بالحقيقة أجل الثمار والفوائد في كل أعمال الحياة الدنيوية والدينية كالاخلاص والمحبة والشكر والتوبة الى اشباه ذلك مما تجمعه كلمة « التقوى » المطلوبة من الانسان ليحظي بأجل الارب وسعادة الابد لقول الله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم « جامع كل خير » وحقيقة التقوى التي هي لباب الطاعة النحرز بطاعة الله عن عقوبته وأصل التقوى اتقاء الشرك ثم اتقاء المعاصي والسيئات ثم اتقاء الشبهات ثم ترك الفضلات مع القيام بمهام العبادات وحسن المعاملات ، وهذا ظاهرها

(١) الاحياء للغزالي والرسالة للقشيري وعوارف المعارف للسهروردى الخ

من اتقاء الحدود والقيام بالواجبات أما باطن التقوى وروحها
فصدق النية والاخلاص ولهذا قال بعضهم « التقوى عمل
بطاعة الله على تورع من الله مخافة عقاب الله » وقال عمر بن
عبد العزيز رحمه الله ليس التقى صيام النهار وقيام الليل والنخيلط
فما بين ذلك ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض
الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير » وخلاصة القول
ان التقوى تلك الصفة التي هي جماع الخيرات يجب ان يتصف
بها المرء قبل كل شيء ليصل الى ما بعدها من المقامات قال
بعض حكماء السلف الصالح « من كان رأس ماله التقوى كانت
الاسن عن وصف ربحه » ويقول الحكيم ابن الوردي في
لاميته المشهورة

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرى الاوصل
هذه هي التقوى وثمرتها أمانا ما بعدها من المقامات التي
تستلزمها وتصاحبها اولاتنال الابواسطها فكثيرة انما آتي
هاهنا على ما هو الاشهر منها وهي مقامات جليلة ومراتب
احوال عالية قد لا يظفر بها كل الناس وان كانت مطلوبة من
كل الناس فهي كالاخلاق الفاضلة وكل الآداب النفسانية

السالفة الذكر من حيث عدم تساوى الهمم فيها كاعمال الجوارح التي قد يتساوى الناس في الاتيان بها والقيام بحقوقها لان هذه امور دقيقة وجدانية وتلك رواتب أعمال ظاهرة منتظمة مع ان تلك روح هذه بلا امتراء ، فاذا أتى المرء بعمل الجوارح بلا النيات منه الى عمل الباطن من مثل الورع والخشية وصدق النية والاخلاص والشوق والمحبة لم يجن من ثمار عمل الظاهر بمقدار ما تشتهي الانفس الكريمة اللوامة من لذة وسعادة في نفسها ووجدانها بل في كل الاعمال الحيوية المنوطة بها في هذا العالم فضلاً عما تستروح له وتنتظره من أجر وثواب في الآخرة الجامعة لاكمل أنواع السعادات في الجنة دار الخلد والنعيم المقيم التي أعدت للمتقين .

واول تلك المقامات التي سبق أن التقوى تجمعها ، الاخلاص ، المطلوب في العبادة كما في المعاملة ، فادعوا الله مخلصين له الدين ، ومبدأ الاخلاص صدق النية إذ العمل يحتاج الى النية والنية تحتاج الى الاخلاص حتى تكون صحيحة ، فاذا كان الاخلاص روح النية فالنية الصادقة روح الاعمال ولقد جاء في الحديث الشريف ، إنما الاعمال بالنيات وإنما

لكل امرئ ما نوى ، وجاء في حديث آخر كاشف لمعنى
 الاخلاص وحال القلوب في نياتها قال عليه الصلاة والسلام « ان
 الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم
 واعمالكم ، ولهذا قال احد العلماء « اطلب النية للعمل قبل العمل
 وما دمت تنوى الخير فانت بخير ، وقال بعض السلف الصالح
 « رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية ، ومن
 نصائح العالم سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز (اعلم ان
 عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله
 له وان نقصت نقص بقدره) وجملة القول ان عماد الاعمال اية
 كانت الاخلاص والنية الصادقة من السريرة وهي مفتقرة الى
 ذلك لتصير به خيراً محضاً على ان النية الصالحة هي في نفسها
 خير وان تعذر العمل فان ثوابها عند الله باق لاحق بصاحبها كما
 دلت عليه الآثار ولانها عماد الابتعاد عن الرذائل وعتاد
 تجنب المساوي والشرور

ولقد عرفوا النية ^(١) التي جعلوا من مرادفها الارادة
 والقصد انها حالة أو صفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل والعلم

(١) الاحياء للغزالي

يسبق العمل لانه شرطه والعمل يتبع العلم لانه ثمرته ، ومن لوازم العمل بعد العلم الارادة والقدرة ، فالعلم يوقف على النافع والضار من الامر وبالارادة يعزم المرء ويختار وبالقدرة يتم العمل على الوجه المطلوب ، فالاعتقاد أو العلم اللاحق بالنفس الراسخ في الذهن أصل والارادة الباعثة أى القصد تابعة له والقدرة العملية خادمة للنفس في العمل بحكم الرغبة والغرض وهذا الغرض هو المقصد المنوى والانبعث هو القصد أو النية وانهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء بالاختيار هو العمل .

وهذا الباعث من النية يرجع كما شرحناه الى تمكن الشخص من الاحاطة والعلم وقوة التمييز النفسى المحمول على هداية الله الملقاة في الروح من قوة الاحاطة والادراك والميل الوجدانى الفطرى ثم بالتوقيف على المبادئ الصالحة وازدادها دينياً وديوياً المثبتة في الشرائع الالهية والآداب البشرية وبذلك يصح للمرء الحزم والقطع في الاختيار والتفضيل بالنية الصادقة والاعمال الصالحة التي بالتكرار تصير ملكات للنفس وما لم يكن للانسان هذا الحال لا ينبغي ان ينتظر منه صدق النية والعزيمة إذ يكون الانسان كالصبي لا يفرق بين الضار والنافع والغث

والسمين الا بما أفادته بالطبع عادات مجتمعه وربما صرفت
النيات فيها والمقاصد والارادات والاعمال التابعة الى ما يضاعف
روح الادب الديني إما للجهل بمبادئه الحققة أو لانصراف
العزائم عنها خلفاء فوائدها وقيام شبه فوائدها غيرها من المبادئ
مقامها وان كانت ضارة أولاً تساوى منافعها منافع تلك المبادئ
الدينية النفسانية فلو صدقت النيات أي خلصت المبادئ من
غواية الضلالات والسفاسف الشيطانية لما أدت العبادات
وأجريت الاعتقادات وسائر الاعمال الدينية مثلاً كرسوم
وشعائر تقليدية بل لروعي فيها وفي كل الاعمال روحها وآدابها
الخفية ولجنى هذا الانسان من وراء هذا في نفسه وفي عمله
كله أجل الاحوال واللذات وأسنى السعادات الابدية ولقام
له من نفسه بسبب هذا ملكة «الاخلاص» الحق ومقام
المخلصين كبير وأمره عند الله خطير قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما من عبد يخلص العمل لله أربعين يوماً الا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال عليه الصلاة
والسلام لمعاذ « اخلص العمل يجزك منه القليل » وقال العالم
السوي « الامر كله يرجع الى أصلين فعل منه بك وفعل

منك له فترضى بما فعل بك وتخلص فيما تعمل فاذا أنت قد
سعدت بهذين فزت في الدارين «

والاخلاص هو الاتيان بالاعمال خالصة لا يشوبها أقل
رياء قياماً بواجب حقها سواء في العبادات أو في سائر الاعمال
قاصداً بذلك مراد الله تعالى منها لعباده وتحصيل ثوابه
الاخروي عليها ومن يتعلل بهذه الصفة صفة الاخلاص الديني
لاجرم يكون بمأمن من تلك الخصال الذميمة من الرياء والخداع
أو النفاق لانتفاء هذه الكدورات الشيطانية المفسدة المحبطة
للاعمال عنه بحلول الاخلاص القلب وهو المشر لجميع المحامد
والفيوضات الرحمانية على القاب البشري الذي جاء في الحديث
أنه مسكن الخالق تعالى اشارة الى ذلك من الاخلاص
والتقوى والطهارة النفسية والمحبة والتوكل والثقة بالله تعالى
العظيمة النفع .

أما المحبة محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم التي هي
فرض عين فثمرتها من أجل ما يتصف به من المقامات في
الطاعة والتقوى لان من أحب أخلص الطاعة وأصدق النية
في العمل بما يرضى المحبوب . فأصل الاعمال الدينية حب الله

وحب رسوله الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله وهذا منتهى الكرامة في الاسلام وأرفع المقامات
ودرجات أهل الايمان .

ومحبة الله للؤمنين وحبهم له منصوص عنها في الكتاب
العزيز « يحبهم ويحبونه » وقد جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شروط الايمان حب الله وحب رسوله « لا يؤمن
أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وروح
هذا الحب ووسيلته المتابعة متابعة الرسول بالايمان والاعمال
والاخلاص فيها كما في الآية الشريفة (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله)

والمحبة أصل من أصول قيام العالم العلوي والسفلي في
حركات الافلاك والكواكب ونواميسها من الجاذبية والحركة
ونحو ذلك من تفاعلها وتماسها وقيامها بأمر الله وهي أي المحبة
بالنظر الى ما نحن بصدده جنس تحته انواع متفاوتة فمنها
ما ذكرت بحق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفُسرت
المتابعة بالطاعة والتقوى والاخلاص والاجلال والتعظيم فهي
من أجل وأشرف انواع المحبة التي هي أصل السعادة

ورأسها والتي لا ينجو احد إلا بها ثم لها مقام آخر أعلى وأشرف
 من وصل اليه فقد ملئ قلبه هدى ونورا وشوقاً ورغبة كما قيل
 خيالك في عيني وذكري في فمي ومثواك في قلبي فأين تعيب
 وهذا ولا ريب ارفع مقامات الحب واعظهما ، ولهذا
 المحبة آثار وتوابع ولوازم من الذوق والحلاوة والشوق والانس
 والقرب فالمحبة كالارادة اصل من اصول الدين واصلها وتوابعها
 تظهر في الطاعات واجتناب المحرمات ثم يترقى منها الى مقامات
 أعلى في القرب والاتصال ، وكل فوائد المحبة لله وارباحها عائدة
 على المرء من رفع الدرجات ونوال أسنى المقامات بحضرة رب
 الارباب وهناك ولا ريب كمال اللذة والسرور والفرح والحبور
 لكمال المحبوب وكونه تعالى فوق كل مطلوب ومحبوب .

ولقد أطال الامام حجة الاسلام الغزالي^(١) في تحقيق
 معنى الحب لله متدرجاً في البرهنة عليه على حسب طريقته
 الفلسفية الدينية بان الحب بعد ان ينتج عن التصور والادراك
 يرجع الى خمسة أسباب (١) حب المرء لنفسه (٢) حب من
 يحسن اليه (٣) حب من يستحق المحبة لجماله (٤) حب من

(١) الاحياء للغزالي

يستحق المحبة لكمالها (٥) الحب للمناسبة الخفية بين المحب
والمحبوب. ثم برهن على انه لا ينحصر كل صفات الكمال والجمال
والاحسان والارتباط بين الخالق والمخلوق في ذاته وصفاته
تعالى الظاهرة والباطنة لهذا كان لا يستحق المحبة الحقيقية الا
الله جل شأنه ولقد أفاض في الاحياء بهذا الصدد وأستنتج
بحق ان محبة الله تعالى ومعرفته والشوق اليه هي أجل اللذات
وأكمل السعادات المدركة بالمقل والبصيرة الباطنة كما هي مدركة
بالبصر الظاهر لكل ناظر الى جمال عمل الصانع تعالى من هذا
العالم وبديع صنعه وعظيم إحكامه مما يجذب القلوب ويدهش
الالباب ويطرب النفوس والله در ذلك الشاعر الحكيم الذي
أدهشته عظمة الصانع تعالى فانصرف بكليته الى حبه فقال
كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت منذرأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده وصررت مولى الورى إذ صرت مولائى
تركنت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادىنى ودينائى
ولا يتصور ان العبد يحب الرب فالرب تعالى لا يحبه
مادام هناك الحب والاخلاص وصدق النية وفي الحديث
« من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب الى

ذراعاً تقربت اليه باعاً ، فالمرء إذا احب الله تعالى حباً خالصاً
عاملاً بأمره منتهياً عن نهيه أحبه الله وجزاه على حبه له
بالقيام بأموال الطاعات أضعافاً مضاعفة وأسبغ عليه نعمه ظاهرة
وباطنة بل كان كما تقدم في الحديث بصره الذي يبصر به وسمعه
الذي يسمع به وجعله بالمعنى الحقيقي من أوليائه وأصفيائه الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا منتهى الرضا وتمام السعادة
لانه بالحب والاخلاص تنظم امور المرء العملية التعبدية
والتعاملية وبذلك تستقيم لهذا الانسان الاحوال في الهيئة
وتصفو له الموارد والمصادر في الحياة الدنيا وينال حسن الثواب
في الحياة الآخرة ونعم أجر العاملين



قلت إن التقوى جماع الخلال الشريفة والأحوال النفيسة
المنيفة من صدق النية والاخلاص والمحبة الى آخر ما في الباب
وهي ولا شك تنتج تلك الاحوال والمقامات العظيمة من الرجاء
والخوف والمراقبة والمحاسبة والشكر والتوكل والزهد والتفكير
في سائر أحوال السلوك النفسي بازاء الخالق تعالى وغب التضلع
من رحيق القرآن والتأدب بادب السنة النبوية المطهرة ، فهذه

الاحوال مما سآتي عليه الآف هي وسابقتها كلها أحوال
ومقامات سامية آخذ بعضها برقاب بعض ولا ينتجها ولا ريب
غير رقى الشعور الديني السامى والايمان الكامل الذي يتطلبها
ويستلزمها بالتساوي واحدة واحدة

وشرح هذه الاحوال الذوقية النفسانية العظيمة المتسلسلة
المرتبطة هي وسابقتها من النية والاخلاص والمحبة أيما ارتباط
كأنها الحلقة المفرغة والتي هي من أهم شروط الاوصاف الدينية
وآداب النفوس السامية حيال عظمة الله جل شأنه وعز سلطانه
مما يضمن للمرء المتصف بها ولا ريب النجاح والفلاح في كل
الشؤون الدنيوية والاخروية ويشرح صدور المؤمنين ويثلج
اقتداتهم هي ان « الرجاء والخوف » رأس العمل ، والرجاء
وصف من أوصاف النفس عند ما تدرك ما وراء الايمان
والتقوى والاخلاص والمحبة الى أشباه ذلك من مقامات عظيمة
ودرجات عند الله تعالى عليه كما هو مدلول الكتاب العزيز
والسنة النبوية الشريفة فتعمل رامية وثقة بنوال منازل القرب
ودرجات الاعزاز والاكرام ونعمت الغاية ونعمت الوسطة
الموصلة لها من العمل الصالح حتى قال ابن عطاء الله السكندري

رحمة الله عليه في حكمه المشهورة في تعريف الرجاء الحق
« الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية »

أما تلك الحال الشائنة من التمني بلا عمل كالذي يقول في
مثلها من أمر الدنيا الشاعر :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن إلق دلوك في الدلاء
فلا ثمرة لها البتة ولا هي بذات جدوى وشر منها تلك
الحال الزرية من اقتحام الموبقات واقرار الذنوب ركونا الى
عفو الله ونوال مغفرته فهي جهل وحمق وضلال مبین وذنوب من
الذنوب عظيم لانه جرأة على الله والجزاء كما بينه تعالى من جنس
العمل والثمر من نوع البذار ويقول الشاعر

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
ولقد قال الصوفي الكبير معروف الكرخي رضي الله
عنه « طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة
بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق »
فالتمسك بالعمل بالاسباب حسية ومعنوية ينتج السلامة
ويقوى الرجاء بعكس حال التماذي في المعاصي غروراً مع الاصرار
والتمني ورجاء العفو بلا ندامة على التفريط في جانب الله تعالى ولا

اقلاع وهذا لا ينافي ما جاء في فضل الرجاء رجاء غفران الذنوب
الذي هو من حق الله تعالى وحده المطلع على السرائر والذي
يخاطب عباده التوايين الاوايين بقوله تعالى « يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا » فع وجوب عدم القنوط من رحمة الله وعتوه وغفرانه
ووجوب الرجاء وحسن الظن بالله مع هذا كله لا بد من التوبة
والاقلاع عن المعاصي والذنوب ظاهرها وباطنها وصریح الآيه
« انما التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب »
أما التمني والتمادي في الغرور والشرور بنفوس متصلبة وقلوب
متحجرة مصرة على الخطايا فله نسطه من الحساب والعقاب كما
أن للنفوس اللوامة والوجدانات الاوابة نصيبها من رحمة الله
وعظيم غفرانه للخطايا والذنوب « ومن يغفر الذنوب الا الله »
بشرط عدم الاصرار والاقلاع عنها بتاتا بتوفيق الله وهدايته
وعزيمة النفس واداتها حتى تستكمل النفس شروط التوبة
النصوح خوفا من الله تعالى ومحافة الله كما جاء في الاثر الشريف
رأس الحكمة .

وحال هذا الفريق من عظيم أحوال « الخوف » من

الذنوب والخطايا الذي هو في مقابل الرجاء في استقامة احوال
الآدميين وحسن سلوكهم الديني والديني لانه لعلم المرء
المتأدب بالادب الديني المتصف بالايان اليقيني بما جعل الله
عز وجل في مقابل ارتكاب المعاصي والذنوب والمظالم من
العقوبات الشديدة الاخروية والديوية فبحسب معرفته بعيوب
نفسه وشعور وجدانه بما هو واقع فيه يخاف الله رب العالمين
ويتقيه في نفسه فيكون له من ثم رادع وزاجر منه اليه عن
الاقدام على اقرار ما يقبح الايان به من الافعال القبيحة
والاعمال الشائنة فينجو بذلك من عذاب الله ويستقيم له من
ثم عوده . على ان حال الخوف ومقامه عند العارفين كبير لان
لاحوال التقوى والمحبة لذة من نفوسهم ووقفاً من قلوبهم
يجعلهم أبدأ في حال من الاحترام والتعظيم والورع والخشية
عظيم جداً فهم أبدأ يعملون على رجاء كما يعملون على خوف
خوفاً من الحرمان من تلك المقامات العالية فيجدر بالمسلم بمقتضى
ادب دينه النفسي أن يشعر قلبه بمخافة الله تعالى ويتقي كل
ما يوجب السخط وغضب الرب تعالى ومن خاف سلم ورأس
الحكمة كما تقدم في الحديث مخافة الله تعالى والذي يخاف الله

يلجأ اليه لانه لا مفر منه الا اليه فيعمل بما به أمر و ينتهي عما
 عنه نهى و زجر ولهذا قال الحكيم أبو القاسم الصوفي « من
 خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب اليه » وهذا
 اللجوء الى الله تعالى خوفاً من الله يقتضي ولا ريب تزكية
 النفس بتأديب الجوارح وتطهير البواطن من كل خلق ذميم
 سواء مع الخالق تعالى أو مع الخلق من ذوى الحقوق عليه
 فتصير المعاصي والذائل الخفية والظاهرة حيال هذا الخوف
 مكروهة ممقوتة مستهجنة مطرودة شياطينها من النفس عند
 المرء الذي يشعر من نفسه بازاء هاته الشرور والمساوى « انه
 كالسقيم العارف بدائه فيحتمى مخافة طول السقام » كما قال
 الحكيم الصوفي المشهور ذوالنون المصرى

وهاهنا يأتي دور « المحاسبة والمراقبة » محاسبة النفس
 ومراقبتها في الاعمال والاحوال التي يجريها المرء أو تتصف بها
 نفسه لان المرء لما يعلم ان الله تعالى يحيط بكل شيء علماً خافيه
 كباطنه وفي القرآن « واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه »
 والآية الاخرى « ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور »
 فلهذا يجب على كل امرى عاقل أن يحاسب نفسه ويراقب

ربه حتى ينال السعادة وتكثر حسناته « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » « يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيداً » ناهيك أن في هذه المحاسبة وتلك المراقبة استصلاح حال الدنيا وهو سر تجويد كل الاعمال الاجتماعية فيها فتنتظم للمرء حال دنياه وتصفو له موارد حياته من الاكدار والمعكورات الذميمة كما تعظم له الحسنات في الآخرة .

وهذه المحاسبة للنفس انما تكون عادة للعقل المتعلم المثقف المسيطر عليها لانه لما كان هذا العقل الوهبي منه والكسبي قد جعل بفضل الله كالسلطان الوازع الذي يحسن سياسة ملكه ويتقن تدير دولته فهو يوظف للنفس الوظائف المبينة في الشرع والادب النفسى ولا يكتفى بذلك بل لمعرفة معظم المسؤولية يراقبها ومحاسبها حساباً دقيقاً اذا هي قصرت أو أهملت أو خالفت أو خانت وهذا العمل من العقل الرشيد له أسوة بما يجرى من الاعمال الدنيوية فيما بين الخلق وبعضهم مما هم فيه مسوقون من الارتباطات العملية بل هو لعمري أعظم من ذلك فيما يجب أن يكون بين المرء ونفسه لان الفلاح

والنجاح مقرونان بهذا مرتبطان به في كل تلحم الشؤون فلذلك
كان سبب كل خير ومفتاح كل سعادة وهناك فيجب على كل
انسان عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر والحالة هذه أن يقوم
بمحاسبة نفسه التي بين جنبيه والتي هي كما في الحديث الشريف
تخطب عليه ولقد حفت الجنة بالمكاره كما حفت النار بالشهوات
فلا ينبغي للمرء أن يفعل أمر مراقبه نفسه في هذا العالم
ويدقق في مراقبتها ومحاسبتها ومجاهدتها في كل حركاتها
وسكناتها وشهواتها ونزعاتها الاجتماعية اذ كل نفس من أنفاس
عمر الانسان جوهرة نفيسة لا عوض لها ويمكن أن يشتري
بها كنزاً من الكنوز لا يتناهي نعيمه فانتقضاء هذه الانفاس
ضائعة أو صرفها فيما يوجب الحسران والهلاك لا تسمح به نفس
عاقل فوجب المراقبة والمحاسبة والمعاتبه والزجر والتوبيخ للنفس
على تقصيرها وانزاجها في المفسد حتى ترجع عن غيها وتووب
الى الصواب والرشاد من قريب لان العمر لا يعلم أجله الا
الله تعالى فاذا أصبح المرء فليشارط نفسه على عمل الخير واذا
أمسى فليحاسبها على ما أتت من عمل ويوبخها على التقصير
والتفريط وليعلم ان عليه من الله رقيباً عتيداً وأنه مجزى بعمله

وانه تعالى شاهد أمره قائم على كل نفس بما كسبت ولقد جاء في الحديث الشريف « أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » شعر

ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا ان ما تخفيه عنه يغيب وهذا الحال حال المحاسبة والمراقبة للنفس يقتضى بالطبع تلك الحال العظيمة من التوبة ، (والله يحب التوابين) مما قد يقترف من الخطايا والذنوب ، ومقام التوبة ومجديدها والاستغفار من الخطايا والدعاء والضراعة الى الله لكشف العيوب ولذنوب والعون على تسديد الاعمال وتجويد الافعال أمر منصوص عليه في القرآن المجيد والسنة النبوية الكريمة (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وانما للتوبة آداب وشروط أهمها اصداق العزيمة واخلاص النية ورد المظالم وغسل الذنوب بماء الندم ودموع الاسف والاشفاق والاستغفار والضراعة الى الله بقلب ملؤه الخشوع والانابة والاستحياء من الله تعالى فيما قد فرط من النفس وبدر من الجوارح والتوبة النصوح تخرج العبد من حال البعد الى حال القرب بل تجعله يلقي الله وليس عليه شاهد بذنب ، وباعت التوبة بعد هداية الله ان الذنوب حجاب

تحجب القلب وتحرمه حلاوة الايمان الذي يزيد وينقص تبعاً
 لاحوال النفس في تشبثاتها وتحرمه ثمرة الاعمال وجبوتها فاذا
 كان الوجدان ممن ذاق لذة الشعور والاحساس بواسطة ما هو
 حاصل لديه من قوة الايمان والمعارف الذوقية المكتسبة تألم
 لوقوع الذنب واقتراف الخطيئة فحصل الندم وكثر التوبخ
 الوجداني للنفس بقدر معرفته وحكمه على الاشياء وسموم
 المعاصي واجباطها للاعمال فيسرع من ثم الى التوبة ويبادر بها
 من قريب وهذا كله داخل فيما عرفنا الله عنه بقوله تعالى
 «ولست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم
 الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار» (انما
 التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فالتوبة
 التي أوجبها الله على عباده ويحبها منهم ويحبهم من أجلها هي
 التوبة التي تكون عن ارادة وعزيمة هي تلك التوبة النصوح
 التي لا يعود المرء بعدها الى ما اقترف من الآثام ثانية لان
 العود اليها من أقبح أنواع الذنب والجرأة على الله والتعرض لكبير
 سخطه قال يحيى بن معاذ الرازي «زلة واحدة بعد التوبة أقبح
 من سبعين قبلها» فالتوبة النصوح كما قال الاستاذ أبو بكر

الواسطي رحمه الله « أن لا يبقى أثر من آثار المعصية سراً
وجهرآ » وقال ذوالنون المصري ذلك الصوفي الكبير « الاستغفار
من غير اقلع توبة الكذابين » على ان من يمتلك قلوبهم نور
الايمان وتملاً أفقدتهم أضواء التقوى على أشرف أحوالها
مدركين لذلك المبدأ الذي يرتكز على قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة فاغتم غفلة
المنية » قد يكون لهم من ذلك أعظم درع وحرز حريز يقيمهم
شر الوقوع في كبائر الذنوب وصغائرهما وإنما لما يعرض عادة
للنفس البشرية في هذا العالم من العوارض لزم أخذ الحيلة
ولزم اشعار النفس دائماً بالتوبة والاستغفار مصداقاً للآية الشريفة
(وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ولقد جاء
في الحديث عن سيد المعصومين من رسل الله قال (انه ليغان
على قلبي واني لأستغفرن الله في اليوم سبعين مرة) وليس في
هذا الا زيادة قرب من الله وهداية في سبيله وتمسك بالخير
ونفض الايدي من الشر والغفلة حتى تستيقظ النفس دائماً
الى تجنب الشر خوفاً منه مما صغر وحقر والمحاسبة والمراقبة على
ما يفرط منها والقيام بادراع هذا الدرع النفساني المنيع من التوبة

والتحرز من الاحوال الكبيرة التي تطرأ على القلوب والنفوس
 من مجريات الاحوال الاجتماعية التي قد تصادف الانسان
 أو هي في الواقع من ملازمات العمران البشري والندم عليها
 حتى لا تعود النفس الى مثلها أبداً وتعتاد من ثم الكمال
 النفسي ازاء حكم الوجدان الشريف والشرع المنيف وهذا البحث
 طويل قد وفاه الامام الغزالي حقه في الاحياء وصاحب غنية
 الطالب الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه المشار اليه آنفاً
 وغيرها من أجلة أئمة الاخلاق الدينية

أما الصبر ذلك الذي ذكره الله تعالى في محكم التنزيل
 ومدحه وبشر من يدرع به (واصبر وما صبرك إلا بالله)
 (بشر الصابرين) (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)
 الى آخر ما جاء في ذلك من الآيات والحكم فهو من أرفع
 المقامات في أدب الدين الاسلامي النفسي وهو خصيص
 بالانسان لتوسطه في خلقته بين الملك المستغنى عنه لكماله
 والبهيمة التي لا تقدر عليه بارادتها فاذا قد خصَّ فضله وفضيلته
 بالانسان كما خصَّ أجره به وبُشِّرَ بذلك أيما بشارة فمن صبر
 وملك نفسه في جميع أحوالها وزعاتها بمزيمة ثابتة وارادة قوية

وقلب منيب دخل في جملة الصديقين والملائكة المطهرين ومن
انعكس أمره انخرط في سلك البهائم وباء بالخسران وبعد عن
صفة الكمال

والصبر يكون بحفظ الحواس والجوارح عن الاندفاع في
الشهوات المنهي عنها وتحمل مشاق الامور التي لا حيلة لدفعها
بجنان ثابت وجأش رابط بلا تملل ولا تسخط على الاقدار
الجارية من قبل الله تعالى وتصاريفه في خلقه خصوصاً من
حيث الارزاق والامراض على ان التزام الصبر والرضا عن
الله مع التحايل على دفع الامور بالتي هي أحسن من مثل
السمي والتداوى بما أرشد اليه الشرع والعرف الحسن قد
ينتج للمرء الخير كل الخير دنيا وأخرى فبالصبر عن الشهوات
تنال الدرجات وبالصبر على المكروه توفي الاجور بغير حساب.
ولمظم فضل الصبر دينياً جعل شرط الايمان كما جعل
شطره الآخر (الشكر) وهذا الحال أي حال الشكر لله تعالى
قد يرى لعين المؤمن المخلص لله انه تعالى حقيق به على كل
حال لان نعمه المتواصلة على الانسان قد تكل عن حصرها
وشكرها الالسن البليغة وأن له تعالى شأنه حتى في الضراء

عند التمعن وتدقيق الفكر الطافاً خفية وحكما تحار فيها العقول
وتقتضى عند ذوى النهى واولى الالباب غاية الحمد وغاية
الشكر طلباً للعفو والعافية وتحصيل الاجر في نعمه المتواصلة
بالحق علينا ولقد قال الله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »
وقال تعالى في زيادة النعم بالشكر عليها « ولئن شكرتم لأزيدنكم »
وقال تعالى في جزاء الشاكرين « وسنجزي الشاكرين »
ومقام الشكر ينتظم ككل المقامات الدينية والاحوال
الانفسانية من علم وحال وعمل ، فالعلم بالعلم بأن كل النعم
الكونية المتواصلة على الخلق من الانشاء والايجاد واخراج
الارزاق والاقوات حتى الهواء والنسيم العليل الذى نستنشقه
ثم تنمية الابدان وتقوية العقول وهدايتها الى احسن الامور
الاجتماعية والعلمية وارسال الرسل الى آخر ما في الباب من
النعم المتواصلة بما لا يحيط به العد أو يحصره الوصف فكل
هذا من جلائل النعم التي يجب شكر الله عليها وحمده والثناء
عليه تعالى من أجلها بما هو أهله من المحامد والتنزيه لذاته
والتمجيد لاسمه عز وجل فمن ثم يكتسب الحال أى الاتصاف
ورسوخ ملكة المبدأ الموجب عند المرء العمل أى القيام بأداء

الشكر الجميل والحمد لله تعالى بالجنان الذي هو مصدره واللسان الذي هو مورده غالباً ، وهذا الحال من الشكر ومقامه الجليل تفاوت فيه الهمم بحسب اتساع نطاق عقول الخلق وفهمهم للصنع العظيم والتدبير المحكم الذي يتمتعون بنعمه ويرتعون في مجابحه من فضل الله الحكيم العليم الذي يجازى الشكور ويشكر اعباده المؤمنين وتشمل رحمته العالمين ويثيب الحسنة بغير أمثالها ، فالشكر واجب على كل حال لله تعالى رب العالمين رب القوة والعظمة رب الرحمة والمطف والحنان لانه اذا كان الانسان مهما انحط أدبه وسفلت نفسه قد يشكر الى من يحسن اليه أدنى احسان للقاعدة المشهورة شرعياً وأدبياً من ان شكر المنعم واجب فالرب تعالى مع كل هذه النعم والرحمات والالطاف المتواصلة الصادرة منه تعالى الى خلقه أخرى وأجدر بأن يشكر ويحمد لدى أهل الايمان بانواع الشكر لانه المستحق بما نصب من دلائل عظمته وفيوضاته العميمة لجميع المحامد والثناء والشكر ولذلك جاء في الآية « اشكر لي ولوالديك » ولكن كثيراً من بني آدم للجبهالات الغالبة والضلالات اللاحقة ينأى بجانبه ويعرض عن شكر

المولى أو لا يشعره نفسه بالمقدار اللازم كما قيل

ومن الرزية أن شكري صامت عما فعلت وأن برك ناطق
وأرى الصنيعة منك ثم أصرها انى اذا ليد الكريم لسارق
والشكر للناس فيما يستحقون عليه الشكر والثناء واجب
لحق الله تعالى فيه ولذلك جاء في الاثر الشريف « لم يشكر
الله من لم يشكر الناس »

ومن أجل المقامات واجمل الاحوال النفسانية مقام
« التوكل » وقد قال الله تعالى « وعلى الله فليتوكل المتوكلون »
و « من يتوكل على الله فهو حسبه » وهذا الادب النفساني
ككل أحوال النفس الاخرى الواجب التأدب بها مع الله
تعالى يبنى على علم واسع بقدره الله عز وجل العظيمة الغالبة
وجميل صنعه وتديره للاشياء كلها بما لا يمكن لعقل انسان ان
يستكنه على التمام دقيق الطاف الله وعظيم رحمته وعونه وعنايته
بخلقه فترى النفس ان هناك منه تعالى لا من سواه سنداً أقوى
وعضداً نصيراً يجب ان يعتمد عليه ويستعان به في كل الاحوال
والاعمال والجهادات الحيوية لا على ما يفهمه بعض جهلة
المتصوفة من الاستغراق في رسوم العبادة وترك العمل والسعي

والانقطاع جملة عن ذلك وترك التداوي من الامراض مثلاً
وكذلك تلك الاحوال والاعتقادات الفاسدة من العوام بالنظر
الى الاستعانة بالاولياء والصالحين ورمى الجمول عليهم وهم يبرأون
الى الله من تلك الضلالات الى اشباه ذلك من احوالهم
الفاسدة فان هذا وذاك كله ليس من التوكل في شيء بل هو
من البله والتعننت بالنسبة الى احوال جهلة هؤلاء المتصوفة
ومن شر انواع الجهل والضلال والجرأة على الله تعالى بالنظر
الى احوال العوام بل هو ضرب من الشرك الخفي وعدم التوكل
الحقيقي وصرف الوجوه عن غير المعبود الأعظم جل جلاله الذي
له وحده التصريف الاعلى ولا شفيع الا من بعد اذنه لمن
ارتضى فالمراد بالتوكل على الله إنما هو قيام الناس بتدبير
مصالحهم واثقة نفوسهم مع ذلك بمعونة الله لهم في كل أمورهم
وحلول بر كته تعالى في جميع أعمالهم ومساعدتهم وظفر نفوسهم
بمبغياتها الحققة المبنية على المبادئ الصحيحة الشرعية في القيام
بكل الاعمال وهذا قد يرشد اليه بالنظر الى ما انا بصدد الان
من حيث المساعي العملية معنى الحديث الشريف « لو توكلتم
على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصاً وتروح

بطاناً ، فان للطير ككل ذى حياة في سعيها على أقوتها وأرزاقها
 حركات موزونة وطباع منتظمة تبكر لها بكور الغراب
 وتجري فيها نخيل الرهان ثم تأوى في نهايتها الى أوكارها
 واعشاشها ولعمري ان هذا هو الذ وأسمد حال تراح اليه
 النفوس ويوافق ناموس الله في خاقه مما قد تجد فيه الانفس
 الانسانية المتدينة راحتها ومعونة الله حقيقة لها فيها ولذا جاء
 في الحديث الشريف للحث والترغيب (بارك الله لأمتي في
 بكورها) فالتوكل لا ينافي البتة ملابسة الاسباب التي لا تنكر
 وحديث أعقلها وتوكل مشهور مبين لفضل الاسباب غير
 قادح في فضل التوكل ولا في معناه الديني لانه خروج عن
 الاسباب في الباطن ورجوع اليها في الظاهر وهذا منتهى
 درجة الكمال في التوكل عند أرباب هذا الكمال الديني
 فشواهد الكتاب العزيز كلها السنة ناطقة دالة على الاسباب
 ثم على مسبب الاسباب فالاتصاف بالتوكل عمل بالاسباب
 وركون الى مسبب الاسباب وهذا هو المبدأ الصحيح في
 استصحاب التوكل الذي يأمر به الله ويجب اشعار القلب به في
 جميع الاعمال والاحوال وان كان ركونا الى الله ذى الطول

والحول وحده ، ولا ريب ان هذا الحال من الاتصاف بالتوكل
 مثمر لاجل النتائج في كل الامور الحيوية الحسية والمعنوية
 وهو من الامور الخفية ككل الآداب النفسانية مع الخالق
 فيكون القلب معلقاً بالخالق وحده مسبب الاسباب ومعين
 العباد متوكلاً عليه واثقاً تمام الوثوق بعظيم فضله وكبير عونه
 والجوارح متأدبة بأدب الشرع في التمسك بالاسباب عاملة
 بها ونم رأس المال التوكل ونم ما يجنى من ثماره وفوائده
 بالاسباب وأرباحه ولقد قال الله تعالى « وفي السماء رزقكم
 وما توعدون » وقال تعالى « فاسمعوا في مناكبها وكلوا من
 رزقه » وقال تعالى في اشعار القلوب الاطمئنان ومبدأ التوكل
 « ألا بدكر الله تطمئن القلوب » والآيات الاخر الصريحة في
 التوكل وأمثالها لتدلنا صريحاً على حقيقة المطلوبة له تعالى منا
 من حيث وضع تقننا بفضله وعونه ونصره في كل أمورنا وهو
 تعالى نعم العون ونعم المضد ثم العمل بالاسباب ليرتفع أمره في
 خلقته بحسب ما جعل من سنن لها ونظام مما لا سبيل الي
 تبديله ولا تغييره

ومن أشرف المقامات الناجمة عن التقوى ومعرفة النفس

بمقارنة هذا العالم وحياته الفانية وشعورها بعظم جلائل النعم في
الدار الآخرة والزهد الذي هو انصراف الرغبة الخفية النفسية
عن حظوظ هذا العالم الفاني وملذاته غير الباقية انصرافاً قلبياً
بتقصير الامل بالمعنى الصحيح والزهد فيها بما ترى آثاره في
الأحوال العملية بمراعاة البساطة والزهادة في سائر مقامات
الحياة وحظوظ النفوس فيها اذ للتفخل والتأنق مساويهما
وكراهيتهما في الدين كما أن للزهد والتزهد حكمهما وفضلهما
رغبة فيما عند الله من الثواب العظيم والنعيم المقيم و صرفاً للنفس
عما يفسد عليها أحوالها الادبية وأعمالها المادية ويباعد بها عن
سلوك طريق الآخرة وحسن السلوك في الدنيا .

والزهد كالتوكل ليس معناه ترك الاسباب أو كل حظوظ
النفس في هذا العالم بل قد يكون المرء غنياً وزاهداً قائماً في
وقت واحد كما قد يكون لا غنياً ولا متورعاً زاهداً ولكن
حشو قلبه ونفسه الطمع والشهه والجشع والغفل والحسد وحب
السرف والترف في زينة الدنيا وزخرفها اذا هي أقبلت عليه مع
قلة همته في العمل وحب البطالة والكسل وهذا هو شر حال
للناس ، عن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال : قلنا يارسول الله

« أي الناس خير قال كل مؤمن محموم القلب صدوق اللسان
فلنا يا رسول الله وما محموم القلب قال التقى النقي الذي لا غل
فيه ولا غش ولا بنى ولا حسد — قلنا يا رسول الله فمن على
أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة »

والاخبار والآثار في فضل الزهد كثيرة كقوله عليه
الصلاة والسلام اذا رأيتم العبد أعطى صمتاً وزهداً في الدنيا
فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقال تعالى « ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيراً كثيراً » واتقد قيل ان المطلوب من الزهد في
الدنيا ما يفهم من الآية الشريفة « لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم » اذ الزاهد حقيقة لا يفرح بموجود من
متاع الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها بحسب المراد منه
هاهنا ، وفسر الامام الثوري الزهد بقصر الامل في الدنيا فقال
« الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العباءة »
وليس قصر الامل أو بغض الدنيا النفسي الذي فسروا به
هذا الزهد هو ابطال العمل أو الكف عن النعيم المباح
والاستعمار المطلوب للدنيا وفي الاثر الشريف « اعمل لدنياك
كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » بل

هو حالة تقوم بالنفس المتدبنة ترى صاحبها الدنيا على حقيقتها
 وحقارتها وقصر حظوظها ومتاعها القليل مما كانت ومهما وجب
 وندب الشارع الى السعي فيها والعمران لها لبقاء الجنس وحفظ
 النوع ممزناً مكرماً فيرغب المرء من ثم فيما عند الله ويقبل
 بمخاطره وأمله وعواطفه الخفية الى تحرى ثواب الله ومشيمته الله،
 الى تلك السعادة الحقيقية رامياً في كل مطلوب اعماله الدنيوية
 ومساغيه العملية الى ما يجنى من الربح العظيم في الآخرة ولا
 ريب أن من يبلغ تلك الدرجة العظيمة من الزهد اتصف
 بالاحسان وفاز بأجل المقامات والآداب النفسانية والراحة
 البدنية مصداقاً للحديث الشريف «الزهد في الدنيا يريح القلب
 والبدن» لان الدين مها جاهد في الدنيا وحصل من متاعها
 ونعيمها الحلال المطلوب فهو وان عد ذلك كله من اكبر نعم الله
 عليه الواجب شكرها يراه ايضاً صغيراً حقيراً بالنظر الى
 ما يستقبله من نعيم الجنة الذي أعده الله لعباده المؤمنين وصرح
 الآية الشريفة تقول «فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أمين
 جزاء بما كانوا يعملون»

وآخر ما قصدت عده من تلك المقامات الأدبية النفسانية

ويجدر ان يحتم به هذ القسم من أدب النفس مع الخالق تعالى
وما لها من أحوال ومقات يجب اتصافها بها بحقه سبحانه وتعالى
« الفكر » والتدبر والتأمل والاستبصار في « عظمة الملك
والملكوت » لان الاسلام لما كان « الدين الطبيعي » الذي
يستند على العلم والعلم يقتضى انطلاق العقل بالتفكر والتدبر في
كل الاحوال والمقامات وسائر الاعمال والمصنوعات الطبيعية
والانسانية لذلك جاء في القرآن الشريف مطلوباً منه مندوباً اليه
في غير ما موضع من الكتاب العزيز كما في الآية « ان في خلق
السماوات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى
الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا
باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار » ولذا جاء في الحديث الشريف
« تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة »

ويطلب الفكر ايضاً دينياً عندنا في أحوال النفوس
ومعارفها وفعالها قال الفضيل « الفكر مرآة تريك حسناتك
وسيئاتك » وقال الحسن هذه الحكمة البليغة « ان أهل العقل
لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر و بالتفكر على الذكر حتى

استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة ، وقال وهب « ما طالت
فكرة امرئ قط الا علم وما علم قط الا عمل » وقال عمر بن
عبد العزيز « الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات ،
وقال حاتم « من العبرة يزيد العلم ومن الذكر تزيد المحبة ومن
التفكير يزيد الخوف » وقال ابن عباس « التفكير في الخير يدعو
الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه »

وقال الشافعي رضي الله عنه « استمعينوا على الكلام
بالصمت وعلي الاستنباط بالفكر » وقال أيضاً « صحة النظر في
الامور نجاة من الغرور ، والعزم في الرأي سلامة من التفريط
والندم ، والرؤية والفكر يكشفان عن الخزم ، والفطنة ومشاورة
الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ، تفكر قبل ان تعزم
وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم » وقال الشاعر :

اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

ولا غرو فانه باطالة الفكرة والتأمل يحصل للانسان العلم
اليقيني والحكم القطعي او الذي تراح اليه النفس فيبعد عن
التقليد الاعمي في الاحوال والافعال والعلم وكلما اتسع نطاق علم
الانسان ومعارفة المكتسبة ومعلوماته التي يحصلها ويستفيد منها

من مجربات هذا العالم وحوادثه سما فكره وعلا في الاذواق
الاجتماعية والاحوال والمقامات الدينية كعبه فجنى من
ثم دينياً ودينيوياً أشهى الثمار الفكرية والتأملات العقلية
والسماعات والاذواق فازداد بهذا كله قرباً من الله وبعداً
بالنفس عن مساوى حالاتها وسفاسفها المستقاة من شرور
العالم فينير الله بصيرته ويجلي قلبه ويرفع شأنه ويسدد خطاه في
كل أعماله ويملاً ما بين جوانحه نوراً وحكمة روحانية يستلذ بها
ويطيب بما لا يمكن ان تعاد لها عنده لذة أخرى أو يساويها
سرور ثان ولقد قال الامام الجنيد ذلك الصوفي الكبير هذه
الحكمة الغالية والموعظة الحسنة العالمة قال « أشرف المجالس
وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم
المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن
الظن لله عز وجل ويا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب
ما أذنه طوبى لمن رزقه ^(١) »

(١) الاحياء للغزالي



الباب الثامن

خلاصة

مبادئ الاسلام في التوحيد والاعتقادات - الطهارة - الصلاة
 الزكاة - الصيام - الحج القرآن - العلم - العمل - شأن الحكومة -
 النفس وآبها مع الخلق ومع الخالق

رأى القارئ الكريم مما سبق أن الاسلام قد توفرت
 له في اعتقاداته اسمى المبادئ التوحيدية والتنزيهية بما يمكن
 أن يفتخر أهله به لانه مبني على اعتقاد إله واحد عظيم هو
 صانع الكون الاعظم ذلك الاله تعالى الذي طالما بهرت عقول
 الفلاسفة والحكماء من المتقدمين والمتأخرين أمام ماله من آثار
 العظمة والجمال في الابداع والاتقان :

تسبح ذرات الوجود بحمده ويسجد بالتمظيم نجم وأشجار
 ويبيكي غمام الغيث طوعاً لا مكره فتضحك مما يفعل الغيث ازهار

فالقرآن المجيد دلنا باجمل عبارة وألطف اشارة الى أن

لا نعبد الا هذا الاله العظيم والصانع الحكيم وحاج العرب وغير
 العرب بان ما هم عليه من الشرك الظاهر والخبى والابهام
 والايهام في المبادئ والأصول الاعتقادية ليس مما يرضاه الله

لعباده وليس من كمال الدين الحق دين الفطرة التي فطر الله
الناس عليها في شيء ، فتنزيه الله تعالى في الاسلام من اسمى
ما ترمى اليه العقول الكبيرة وتقبله الفطر السليمة متى ما علم
على حقيقته كما أن قوله في القضاء والقدر من أوسط ما يعتقد
بالنسبة الى أفعال العباد وخلق رب العباد :

وقامت بها الاشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم
ولا ريب ان الله تعالى لما تفضل على العقل البشري
بالادلال على نفسه بواسطة رسله الذين اصطفاهم واختارهم
مبشرين ومنذرين خلقه وجب بالضرورة الايمان بهم واتباع
ما جاؤا به من عنده وأمرُوا بتبليغه من الشرائع للناس والذي
جاؤا به معزراً بالحجج مؤيداً بالمعجزات سهل بسيط يمكن
لكل انسان أن يعتقده ويعمل به ليسعد سعادة كاملة بيدان
للذين يخالفون عن أمره ويعملون السوء عذاباً أخروياً
والجزاء من جنس العمل ولا تزر وازرة وزر أخرى .



والعبادة الاسلامية هي كاعتقاد هذا الدين بسيطة وسهلة
ومفيدة ، فالطهارة ليس أحسن ولا أطف منها في النظافة

وصحة البدن والله تعالى يحب المتطهرين ، والصلاة تضرع
 ودعاء وخشوع وخضوع أمام رب العالمين وفي حضرته وما
 يجب أن يعمر المرء به باطنها وهي عماد الدين من استحضار
 القلب عظمة الرب والاخلاص له تعالى مثمر للفوائد الروحية
 مفيض على الجوارح النوم واللذة والتقوى في كل الاعمال
 والشؤون ، وكونها خمس صلوات في اليوم والليلة ليس أفيد
 ولا أجلب للراحة القلبية من عناء الاعمال منه اذ يفتح المرء
 نهاره بصلاة ويعمر وسطه عند الزوال بصلاة ويأتي في عصره
 كذلك بصلاة ويختمه عند الغروب بصلاة ثم في النهاية يسقبل
 ليله وأخذ راحته من الهجوع عند غروب الشفق ودخول العتمة
 بصلاة العشاء ، وما زاد عن ذلك من الصلوات المكتوبة
 والتطوعات فكله حسن وكله مفيد ، فالجمعة لها فضلها ، والعيدان
 لهما مزيتهما وكذلك باقي ما أشرنا اليه من السنن في الجنازة
 والكسوف والخسوف وغيرها

وفرض زكاة الاموال أراني لست في حاجة الى تبيان
 كبير فوائده وجودة مبدأ تقريره دينيا على المسلمين فهو هو
 عين ما يقوم عليه عمار الممالك من تحصيل الاموال من الافراد

الموسرين لتدبير الشؤون وتنظيم المصالح العامة ومساعدة الفقير
 والمحتاج في الهيئة فزكاة الاموال والصدقات في الاسلام من
 أفيد الاصول التي رُوِيَ فيها مصلحة الهيئة الاجتماعية
 وكذلك فرض الصيام في شهر رمضان الذي أنزل فيه
 القرآن له مزيته على النفس البشرية فان امسك الانسان
 ومخالفته عاداته في الاكل والشرب ونحو ذلك نهائياً كاملاً مع
 صون الجوارح وحفظها عن اللغو والهذيان فيه كسر لغائلة
 شهوات النفس وتهذيبها وتذليل جماحها وبعبارة أخرى القرب
 بها الى أفقها الأعلى والبعدها عن طبيعتها الارضية الحقيرة
 ولذلك جاء في الحديث الشريف « صوموا تصحوا » وقال تعالى
 « وان تصوموا خير لكم »

وفرض الحج الى بيت الله الحرام وكعبة ابراهيم الخليل
 عليه السلام فضله أيضاً لا ينكر لان فيه اجتماع خلق كثير
 من المسلمين سنوياً في صعيد واحد لذكر الله تعالى واقامة
 شعائره ومناسكه في أيام معلومات وهذا كله له الفوائد الجلى من
 حسن التأليف بين جماعات المسلمين والخروج بالنفس عن
 أوزار الدنيا وغرورها بما يرمز اليه من خلع ثيابها المخيطة

ولبس لباس الاحرام وذكر الله بالتلبية وعدم قتل الصيد او
الاشتغال بشواغل الدنيا وجدالاتها حتى تصح للمرء حجته ويبر
نسكه ولذلك جاء في الحديث « من حج فلم يرفث خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه »

ولما كان القرآن هو المحور الذي تدور عليه شؤون المسلمين
الدينية والتعبدية والتعاملية والآداب النفسية لذلك كان من
الواجب على كل مسلم تلاوته وتدبره لانه مدد العقول وسبيل
الهداية وعماد الاخذ بالشريعة المطهرة عند المسلمين حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « افضل عبادة أمتي تلاوة
القرآن »^(١)

وآداب هذه التلاوة مفصلة فيما سبق من هذا الكتاب
كما ذكر فيه كذلك أدب الذكر ذكر الله تعالى والصلاة على

(١) جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث الجامع : اسباغ
الوضوء شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان والتسبيح والتكبير يملآن
السموات والارض والصلاة نور والزكاة برهان والصبر ضياء والقرآن
حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو بائع فوقها

النبي صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا
صلوا عليه وسلموا تسليماً »



ولما كان العلم نوراً والجهل ظلمة وأى ظلمة لذلك جاء
الاسلام حائماً على طلب العلم مبيناً فضل العالم على الجاهل آمراً
بالعمل به كما قال الشاعر

العلم نور فلا تهمل مجالسه واعمل جيلاً يرى فالفضل في العمل
ولا غرور فان العلم بدون العمل كالشجر بلا ثمر وأى عاقل
يجب أن يتصف بذلك « كثير علمه قليل عمله » فالعلم يطلب
في الاسلام لكي يترقى به أهله وتعلمو بواسطته بين الناس منزلاتهم
واقدارهم بالنفع ويفخر بهم الدين الذي ارتضى الله تعالى لهم
وجعلهم أمة « وسطاً » ينبغي ان تكون بين الامم ذات علم قائم
وشرف دائم ونخار واعمال صالحات يردون بها من العالم
الجهالات وكثيف الشبهات « كنتم خير امة اخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »
« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »

وفي الباب باب أدب العلم عندنا معشر أهل الاسلام
 آداب جميلة جمّة ومبادي في العلم الذي هو فرض عين والعلم
 الذي هو فرض كفاية غاية في السداد وكذا في آداب التعليم
 والتعلم ولقد قال الامام ابن تيمية « ان الخير والسعادة منحصر
 في نوعين في العلم النافع والعمل الصالح ولقد بعث الله محمداً
 بأفضل ذلك وهو الهدى ودين الحق كما قال تعالى هو الذي
 أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى
 بالله شهيداً »^(١)



والعمل في الدنيا على المعاش - والدنيا دار عمل وكدح -
 لم يقرر الاسلام بالنسبة اليه الا أجود المبادئ والقواعد بالنظر
 الى السعى على المعاش وتقرير المساواة في الحقوق وعدم التحكير
 في الاعمال المباحة شرعاً من الصنائع والتجارة بل انه راعى في
 كل حق الافراد وأحاط أعمالهم وحرىاتهم فيها باحسن القيود
 وأجود النظمات

ولم يحرم البتة التمتع بالدنيا من الحلال وأنهى على الكسل

(١) رسائل ابن تيمية

والتبطل والاحتكار باللوم وحث على العمل والاتقان وتجويد الصنائع
والاعمال والحذق فيها وتدير الارزاق وضم الاسراف وهجا
المبذرين وسماهم « اخوان الشياطين » كما ذم البخل والشح في
أداء الحقوق في المال وأمر بحسن معاملة الخلق والنصفة حتى
من النفس وعدم الغش في الكيل والميزان الى آخر ما عنده ابان



وإذ كان الانسان في العالم - وهو سلطانه وأشرف خلق
الله فيه - له نظام طبيعي في الاجتماع لا يمكن أن يعيش بدونه
لذلك جاء الاسلام باحسن الآداب بالنسبة الى العشرة والخلطة
في مثل الزواج والارتباطات العائلية والتعاملية والصدقة
وتربية البنين والبنات بالقدوة الحسنة ومعاملة سائر الخلق
بعقل وادب ولطف وتسامح مع غير أبناء الملة ممن لهم مالنا
وعليهم ما علينا في الحقوق المتبادلة والشؤون التعاملية والروابط
الوطنية التي يقتضيها نظام الهيئة السياسية الوطنية والهيئة
السياسية الدولية^(١) والآداب في العشرة والقرباة والصدقة
والجوار الى أشباه ذلك مفصلة فيما سلف فلا أعيدها هنا واقد

(١) يراجع على هذا كتابي « حياتنا الادبية »

جاء في الحديث الشريف (من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته وحرمت غيبته) وقال تعالى في تحسين هذه المعاملة في العشرة وما مثلها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقال في خلق رسول الله في معاشرته لقومه (لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر)

وقال تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وقال رسول الله في المودة (رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس) وجاء عنه عليه الصلاة والسلام (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى وان تكلم أخاك ووجهك اليه منطلق)

التى بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ولا تفهم بالطلاقة
تجن منهم به جنى ثمار طيب طعمه لذيد المذاقة
ولقد جاء في الحديث الشريف أيضاً (صلة الرحم وحسن

الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن في الاعمار)



ولما كان الناس لا يمكن أن يصلحوا فوضى بلا وازع
 يزعمهم ولا شرع قائم وسياسة يرجعون اليها لذلك جاء الاسلام
 بأحسن الاصول والقواعد في الحكومة ، فنبه في غير ما موضع
 من القرآن الكريم على اقامة قسطاس العدل ، وجعل الاجماع
 السلطان في مقام الخليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في مستمد
 السلطة التشريعية والتنفيذية بواسطة الرجوع الى مشورة
 أساطين أهل العلم من الامة واكابر عظماء الملة وجعل كذلك
 من أدب العمال من الوزراء والقضاة والولاة ومتولى الشؤون
 الادارية والمالية ونحوها أن يكون القائمون بذلك منهم من
 أعدل الناس وأكفأهم وانزههم واورعهم على حد قول الشاعر
 كلهم سيد فمن تلق منهم قلت هذا أولى بحل وعقد
 ولقد دلت الاحوال انه يجب ان يكون الجند الذاب عن
 الدولة من خيرة ابناءها وان يكون هو وقواده على جانب عظيم
 من الطاعة والتدريب والحمية الملية والشجاعة النفسية لدرجة
 يمكن معها حفظ سياج المملكة الاسلامية داخلاً وخارجاً وان

يعتني به عناية تناسب شأنه العظيم ، وان للسلطان فوق ذلك
حسن بصارته في تصرفه في رعيته واكتساب محبتها ولقد قال
بعض (الحكماء طاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة) وهذا
لا يكون على احسنه الا باقامة العدل على اوسع معاني الكرامة
واحكمها واسد الوجوه واحزمها فيشدد في موضع يقتضي الشدة
ويرخي فيما لا يضر فيه الارخاء وما دام العدل قائم السلطان
والنظام جارياً مجراه باحكام فلن يضر بعده هذا شذوذ المتسخطين
من ذوى الاغراض والمطامع إذ العبرة بنخطة السير ومصصلحة
الجمهور ولقد قال بعض الملوك (انا املاك الاجساد لا النيات
واحكم بالعدل لا بالرضا واخص عن الاعمال لا عن السرائر .
وكما ان السلطان ضرورى في الارض فالطاعة لنظامه
واجبة لانه مهما كان الحال فان في عدم اطاعة السلطان والخروج
على النظام بالمعصيان اثم المغاب السيئة التي تضطرب لها
احوال الاجتماع البشرى والناس لا يصلحون فوضى ولذلك
قيل (سعادة الرعية في طاعتهم للملكهم)



هذه جملة الآداب الاسلامية في الامور الظاهرية والشؤون

العملية وقد آتيت على تفصيل اهمها فيما سبق بالايجاز ولكن
 هناك أس ذلك ومحوره الذي تدور عليه رحاه من نفس
 الانسان المعبر عنها (بانا) تلك المضنة في القلب والوجدان التي
 متى ما صلحت صلح معها كل حال للانسان كما في الحديث
 الشريف وقد تقدم

فنفس الانسان لهذا وجب ان لا تترك وهوها بل يجب
 ان تهذب لتصلح من وراء ذلك احواله واعماله كلها في سائر
 ما هو مطلوب من الانسان في الشؤون العملية والامور المعنوية
 على نحو ما سلف إذ اى فائدة يجنى الانسان اذا كان ظاهره
 انيق في اموره الحسية والمعنوية وباطنه حشوه الخبث والمكر
 والخديعة والكذب الى غير ذلك مما يفسد عليه ارادته واذواقه
 فيشقي

وادب هذه النفس كما تقدم ينقسم الى قسمين ادب
 للنفس مع الخلق وادب لها مع الخالق ولولاها لما نجح للانسان
 عمل ظاهري ولا قوى له شأنه الروحاني ، فالاخلاص والصدق
 والامانة والعفة والرحمة والتواضع والحلم والترفع والشجاعة ونحوها
 كلها لازمة للانسان مثمرة لعمله منبجعة لشأنه كله بعكس التخلق

باضدادها وارتكاب الشرور والمعاصي فانها مشعرة حنظلا
 مخسرة الانسان ثالبة منه مسرات نفسه ولذات وجدانه وان
 شعر بادئ بدء بانه حاصل على نوع سعادة والله تعالى يقول
 « قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها » والرسول صلى
 الله عليه وسلم يقول في الحديث « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »
 أي النفسية والعملية التي بعث بها نبينا صلى الله عليه وسلم وبينها
 القرآن والسنة وما نبى عليهما وقيس بقياسهما ووزن بميزانهما
 بحسب المقتضيات وتجنب الرذائل والشرور والفساد في الارض
 المنهي عنه شرعاً وعرفاً هو ما يجب ان نحققه لانفسنا لنحظى
 بين الخلق بصحيح السعادة وننجح في معاملاتنا وأحوالنا بين
 الامم ونحن خير أمة اخرجت للناس لا بأجسامنا ولكن
 بمبادئ قرآنا وديننا وآدابنا العلية

لقد بان للناس الهدى غير انهم غدوا بجلايب الهوى قد تجلببوا
 أما أدب النفس مع الخالق لقول الرسول صلى الله عليه
 وسلم « من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين
 الناس ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته » وهو لا يكون
 الا من قوة الايمان وتقوى الرحمن فمن بلغ هذا الاوج فقد

فاز بأجل الأرب ونعمة الله التي لا تقدر ونضح له من ذلك
على جوارحه فيوضات الآداب السامية المبنية على الورع والحشية
والحب والاخلاص وصدق التوكل والتقوى الصحيحة الصادرة
من أعماق القلوب

وتقوى الله أفضل كل زاد لنفس بالهدى عرفت هداها
ولقد تبين لك مما سلف فضل تلك الاحوال والمقامات
الرفيعة التي لا يشارك فيها الحيوان الانسان بل لا يشابه فيها الانسان
الانسان فمن الناس من لا يكون له من تلك الاذواق والمعارف
المعنوية الا بمقدار ما يعلم من اسمائها ويشرح من مسمياتها
ويثني عليها بما هي اهله ولكنها لن تتعدى لسانه ومنهم من
تملاً ما بين جنبيه وهو بعد لا يعرف ما هي أسماؤها والله في
خلقه شؤون

رب ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدي بها من تشاء
وإذ جعل تعالى الاكوان كما قال ابن عطاء الله السكندري
« ظاهرها غرة وباطنها عبرة » لذلك أمرنا الله تعالى بالنظر
والتفكير فيها وفي احوال نفوسنا العجيبة في أعمالها وتصرفاتها
وميوها لنزداد إيماناً وتبصرة وعلماً ونوراً

اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة
 وليس المقصود بهذا التفكير المعرفة السطحية والنظر
 الظاهري وحلقة الابصار مع الذهول وفقدان نور البصيرة
 فهذا ليس فيه العبرة المقصودة ولا تحصل منه الفائدة العلمية
 المرجوة من حسن التأمل والتدبر بلذة وشوق وتأثر وخشية
 مما يفيض على القلب المعارف ويكسب الوجدان أشرف
 الاحوال والمقامات والواردات
 ان شمس النهار تغرب بالليل لى وشمس القلوب ليست تغيب

تم الكتاب والحمد لله تعالى
 وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وسلم



رسالة

الحكم النبوية

ذيل ادب الاسلام

رسالة الحكم النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي الكبير والصلاة والسلام على البشير النذير،
وبعد فهذه رسالة جمعت فيها مائة حكمة وحكمة من حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصل كل هداية وينبوع كل حكمة وهي
مختارات من صحاح احاديثه الشريفة واقواله المنيفة في شؤون
الحياة الادبية والاجتماعية والدينية وقد شرحها شرحاً عصرياً
وجيزاً ليسهل تناولها ولما سئمت الفرصة لاعادة طبع هذا
الكتاب رأيت ان اذيلها به لتكون « لادب الاسلام وقارنه
الكريم مسك الختام »

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق »

(حديث شريف)

* الحكمة الاولى *

إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى
لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَقْتَصِمُوا بِحَبْلِ

اللَّهُ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا ، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ
أَمْرَكُمْ وَيَخْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ
أَمْوَالِ

لعمرى ان ما يرضاه الله سبحانه وتعالى لنا هو الخير كل
الخير وهذا الحديث الصحيح والحكمة البالغة يرشدنا بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اكل الآداب في السلوك الاجتماعي:
يقول عليه السلام ان الله يأمركم بثلاث خصال من الخير ذات
فوائد لكم وبينهاكم عن ثلاث خصال من الشرفيها الضرر
اللاحق بكم لان الرضا والسخط كما قال العلماء عبارة عن الامر
والنهي ، فأول ما يأمرنا به تعالى من خلال الخير الثلاث هو
ان نعبده سبحانه مخلصين له الدين لا نشرك به في العبادة سواء ،
الثانية ان نعتصم بحبله أي نستمسك بالقرآن المجيد نعمل بحلاله
ونجتنب ما حرم علينا فيه ونهانا عنه ولا نختلف فيه فرقا وشيما
لان في التفرق والانشقاق الضرر والضياع ، الثالثة ان ننصح
ولادة امورنا بان نعاونهم على الحق ونطيعهم فيه ونترك مخالفتهم
وننبههم ونذكرهم بلطف ورفق لما غفلوا عنه من الحقوق او
قصروا فيه من الواجبات وان ندفع لهم اموال الصدقات المعينة

على نظام الهيئة وسيورها وان لا نظريهم بالثناء الكاذب والتملق
 البارد . اما الخصال التي يكرها لنا من هذا القبيل الاجتماعي
 وبنهانا عنها فهي ثلاث ايضا الاولى ترك المساولة والخوض في
 اخبار الناس بالباطل والغيبة والنميمة وهو القيل والقال ، الثانية
 كثرة السؤال بالتجسس والتخسس مما وقع او لم يقع ولا تدعو
 الحاجة اليه من اخبار الناس واحوالهم الى اشباه ذلك مما عمت
 فيه البلوى ، الثالثة اضاعة المال وهو قوة لنا اي صرفه في غير
 وجوهه الشرعية وتمريضه للتلف بالسرف والتبذير في النفقات
 لانه فساد والله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد بل سمي المبذرين
 اخوانا للشياطين في محكم تنزيله

﴿ الحكمة الثانية ﴾

أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِسْلَامًا مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ
 وَيَدِهِ ، وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَأَفْضَلُ
 الْمُهَاجِرِينَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ
 جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ

الاسلام انما يدعو الى افضل الخلال واكرم الخصال

ويأمرنا بان نتحلى بحلي الادب والكمال في معاملة الناس ومعاشرتهم
 ومخالطتهم وقد جاء هذا الحديث الصحيح يثبتنا نبأ صادقاً
 ويخبرنا خبراً يقيناً عن أفضل المسلمين درجة عند الله وأعلام
 منزلة في الهيئة الاجتماعية وارفعهم كعباً في الفضائل الاسلامية
 ومعنى الحديث ان افضل المؤمنين أي أكملهم في الاسلام
 من نجا وخلص المسلمون رجالاً ونساءً ومن في حكمهم ممن لهم
 ذمة وعهد من تعديه وتطاوله عليهم بالطعن والقذف والشم
 والسب باللسان وما في حكمه او التعدي عليهم باليد أذية
 بالضرب او القتل فمن اتصف بذلك مع ما تستلزمه صفة المسلم
 لا جرم كان افضل المسلمين اسلاماً بل اكمل الناس انسانية
 والمراد به ما ترمي اليه الآداب الاسلامية من التمسك باكمل
 الآداب في معاملة الناس والسلوك في المجتمع ولذلك عطف
 عليه بان افضل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً لان حسن الخلق
 دال على كمال الايمان وسوء الخلق دال على نقصه عن الكمال.
 ولما كانت الهجرة فراراً بالدين من الاضطهاد الديني واجبة
 في الاسلام ولها ثوابها لذلك جعل افضل المهاجرين ذلك الذي
 يهجر اي يفر ويترك قبل كل شيء ما نهى الله عز وجل عنه من

المحرمات والمنهيات مما هو مبين بالشريعة المطهرة كما جعل افضل
الجهاد الذي فرضه الله ابي احسنه وأعظمه درجة جهاد المرء
نفسه في ذات الله بفعل المأمورات وكفها عن المحرمات امثالاً
لامر الله تعالى لان الشيء انما يفضل ويشرف بشرف ثمرته
وثمره مجاهدة النفس الهداية قال الله تعالى « والذين جاهدوا
فينا لنهديهم سبلنا »

﴿ الحكمة الثالثة ﴾

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَإِنْ صَاحِبُهَا سَدَّدَ
وَقَارَبَ فَازْجُوهُ وَإِنْ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعْدُوهُ
الشرة الحدة والنشاط والرغبة والحرص على الشيء والفترة
بمعكس ذلك الوهن والسكون بمد عظم الرغبة ومعنى هذا
الحديث الجليل ان للمرء في الحياة في امور الدين والدنيا نشاطاً
ورغبة يتبع ذلك عادة فتور وسكون بقدر ذلك فان لزم صاحب
الشرة أى النشاط والرغبة التوعدة والسداد في امره فقد سلك
سبيل الرشاد واختار طريق الامجاد وأمن لعمري العثار فصار
ممن يرجى فلاحه وثباته أما ان أفرط حياً بالشهرة وميلاً مع
الانانية حتى يشار اليه بالبنان فهذا يجب ان لا يعتد به ولا

ينبغي ان يحسب في العاملين الكاملين لكونه إما مرثياً او
 انانيا سريع الخطأ قريب الكبو فلا تدوم له حال بعكس الاول
 فانه يمكنه الثبات لملازمته الاعتدال والتوسط في الامور
 وأحب الاعمال الى الله أدومها وان قل ، واذا اعتبرنا هذا
 الحديث وطبقناه على اعمال بعض ممن يتوسعون في الاعمال
 الدنيوية بالتهور والاندفاع حتى يشار اليهم في الغنى وانثراء بالبنان
 ثم ما قد يسقطون به الى الحضيض بسبب تلك الشره المالية
 لرأينا مصداقه مجسما ظاهراً للعيان ظهور الشمس في رابعة النهار

﴿ الحكمة الرابعة ﴾

اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ . مَنْ اسْتَحَى مِنْ اللَّهِ
 حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا
 حَوَى وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَاءَ . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ
 الحياء حالة تعتري النفس خوف العيب وخشية العار مما
 يقبح من الافعال أو ينبوعه الذوق السليم من الخصال مما قد
 يستبان في الحديث واتباع الشهوات وكأن بعض الصحابة حين

قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحكمة : استحيوا
من الله حق الحياء ، انبهم عليهم فهم معناها فقالوا يا نبي الله
: إنا نستحي من الله ولله الحمد ، فقال لهم ليس كذلك وإنما من
استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى أى جمعه
من الحواس الظاهرة والباطنة فلا ينظر المرء ولا يستمع الى
ما يحرم ولا يتكلم فيما لا يعنيه او يكون فيه الاثم عليه . ويقصد
بالبطن وما حوى من الاعضاء القلب والبطن والفرج واليدين
والرجلين فلتحفظ كلها وتصان عما يحرم ويحذر مما يملأ الجوف
من الحرام ثم ان من شروط الاستحياء الحق من الله ان
يذكر الموت وما بعده وان من رغب في الآخرة حق عليه ان
يترك زينة الحياة الدنيا الكاذبة فلا يكثر من التمتع والرفاهة حتى
ينال حسن ثواب الحياة الاخرية فمن فعل ذلك واخلص النية
في العمل كان جديراً بان يكون ممن يستحيون من الله حق
الحياء ويخشونه حق خشيته تعالى فيرفع الله درجاته ويفيض
عليه نعمه ظاهرة وباطنة « وان تعدوا نعمة لا تحصوها »

﴿ الحكمة الخامسة ﴾

إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ

وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ
 مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ
 ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَيْثَةً

هذا مثل جميل وتشبيه بليغ ومعنى الحديث ان جليس
 الانسان ان كان صالحاً بما حوت نفسه وأخلاقه من مكارم
 وفضائل وآداب كان لعمري كالذي يحمل المسك الازفر وهو
 ما نعلم ريحاً طيبة وأريجاً ذكياً ومثل الجليس السوء اي الفاسد
 الاخلاق السيئ الطباع كالحداد الذي ينفخ الكير في خبث
 ريحه وتن دخانه فالجليس الطيب قد يعطينا من اخلاقه
 ومعارفه ما هو أفضل من المسك وينشر علينا ما هو اذكي رائحة
 منه بعكس الجليس السوء فانه يفسد اخلاقنا ويشوش افكارنا
 ويضل ألبابنا فهو مثل نافخ الكير والدنو منه إما ان يحرقنا
 بناره او ينشر عاينا من دخانه وخبث ريح كيره ما فيه أعظم
 الضرر والقصد من هذه الحكمة النبوية الشريفة انما هو النهي
 بأبلغ عبارة وأقرب تمثيل عن مخالطة الاشرار والاراذل ممن
 تؤذى الانسان مجالسهم وتسرق من اخلاقهم أخلاقه والترغيب

في مجالسة من تنفعنا مجالستهم وتكسبنا الفضائل مخالطتهم
سواء فيما يتعلق بأمر الدين او الدنيا ولقد جاء في حديث آخر
صحيح في الحث على مخالطة الفضلاء والصلحاء «جالسوا الكبراء
وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء» وفي حديث آخر «خير
جلسائكم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذو كرم
بالآخرة عمله» ولعمري انه نعم المجلس

﴿ الحكمة السادسة ﴾

مَا كَانَ الرَّفِقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا تُزِعَ مِنْ شَيْءٍ

إِلَّا شَانَهُ

الرفق والعنف ضدان لا يستويان وامر ان يختلفان ونتائج
الاول حميدة ومغاب الثاني قد يكون فيها غالباً الضرر البليغ
على صاحبه ، فالرفق أى التوعدة يزين الاعمال ويسهلها لان
العقل يكون فيها الحاكم والسلطان وعلى الضد من ذلك العنف
والمعجلة فانه مقرون بالنفرة والقاء الجفوة وسرعة الكبوة فهو لذلك
يشين صاحبه ويفسد عليه غالباً عمله وليس المراد بالرفق التواني
في الامور او التراخي في الاعمال وانما المراد به التوعدة ولقد جاء
في حديث آخر صحيح «التوعدة كلها خير الا في عمل الآخرة»

﴿ الحكمة السابعة ﴾

خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ خُلُقٌ حَسَنٌ وَشَرُّ مَا أُعْطِيَ
الرَّجُلُ قَلْبٌ سَوِيٌّ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ

ما اخلاق الحسن الا الاتصاف بمحاسن الشيم والتحلي
بالفضائل النفسانية والكمالات الانسانية في المعاملات
والمعاشرات والنبي صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس بذلك كما
قال في الحديث المشهور «بعثت لاتم مكارم الاخلاق». ومعنى
الحكمة النبوية التي نحن بصددها هنا ان صاحب الاخلاق
الطيبة الرضية هو افضل الناس وخيرهم عند الله وان شر الناس
انما هو ذلك الذي تسوء اخلاقه وتفسد اعراقه وتخبث في
معاشرته الناس نفسه وان حسنت صورته الظاهرة وبزته
فكانت على عكس صورته الباطنة والله سبحانه وتعالى كما جاء
في بعض الحكم النبوية لا ينظر الى صورنا وانما ينظر الى اعمالنا
ونياتنا اي ما يحويه وجداننا لانه ينبوع اعمالنا وهناك احاديث
كثيرة تمتح على تحرى حسن الخلق فيجب لعمرى على
صاحب الاخلاق الفاسدة والطباع السوء التي ينضح منها على
اعماله فتفسد عليه في الهيئة الاجتماعية احواله ان يجاهد نفسه

الامارة بالسوء حتى تصلح ارادته ويحسن خلقه فتذهب شرور
رذائله وتستقيم له اعماله فيجبه الناس ورب الناس

﴿ الحكمة الثامنة ﴾

عَلَيْكُمْ بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مَصَارِعَ السُّوءِ،
وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقَةِ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

اصطناع المعروف عبارة عن البر بالانسانية ومد يد الرفد
والمساعدة للفقراء ثم حسن معاملة الناس الى اشياء ذلك مما
يعد من المروءات الانسانية والكمالات البشرية فالنبي صلى
الله عليه وسلم يحننا على اصطناع المعروف مع الناس كافة لانه
من اعمال البر الانساني التي رضي الخالق وتقي صاحبها الهلكة
لانها تحبب فيه الناس وان صدقة السر التي مدحها النبي صلى
الله عليه وسلم في غير ما حديث يحبها الله لانها بعيدة عن مظنة
الرياء وطلب الشهرة فلا يقصد بها صاحبها في الواقع غير
مرضاته تعالى فهي لهذا تطفى غضبه على الانسان فيما كان منه
من ذنوب واوزار لم يابه لها فضلاً عما فيها من البر والاحسان
بدون رياء ولا امتنان

﴿ الحكمة التاسعة ﴾

لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ

عِنْدَ الْغَضَبِ

الشديد القوي والصرعة الذي يصارع الناس فييطش
بالاقران في حلبة الرهان وحومة الميدان وهو من المفاخر
الانسانية واعمال الفروسية الشهيرة بينهم فالنبي صلى الله عليه
وسلم يقول لنا على رسلكم ليس هذا المتصف بالقوة وشدة
البأس في الصراع هو القوى الشجاع ولكن هناك من هو
أقوي منه أو أحرى منه بالاتصاف بذلك وهو الذي يتمكن
من قهر نفسه ويصرعها عند ما يملكها الغضب وتثور ثأثرته في
الرأس وهو أمر ممدوح محمود المغيبة مثاب عليه كما جاء في
حديث آخر « من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ
لسانه ستر الله عورته » وفي القرآن المجيد « ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وهو أعلى
مراتب الحلم «

﴿ الحكمة العاشرة ﴾

إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخِرَ أَحَدٌ
عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْنِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ

التواضع وهو لين الجانب وخفض الجناح من غير مذلة
من أكرم الفضائل وأكمل الآداب البشرية وقد جاءت
أحاديث نبوية كثيرة تحت عليه وتنصحنا به وهما نهينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على أن الله عز وجل أوحى إليه وحي
إرسال أن يأمر الأمة الإسلامية بالتواضع ولين الجانب وأن
لا يفخر إنسان على إنسان منهم - لأن الكرامة عنده تعالى
بالتقوى - وأن لا يظلم أحد أحداً لأن الظلم والبغي مرتبهما
وخيم وعقابهما شديد وعاقبتهما على كل حال ندامة وخسران

﴿ الحكمة الحادية عشرة ﴾

إِرْحَمُوا تَرْحَمُوا وَأَغْفِرُوا يُغْفَرَ لَكُمْ، وَبِئْسَ لِأَقْمَاعِ
الْقَوْلِ، وَبِئْسَ لِلْمُصْرِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ

الرحمة رقة تلحق النفس وشفقة تأخذ القلب فتمطفه على

البائسين وذوي المصائب فان العطف على هؤلاء والاتصاف بالرحمة في السلوك مع الناس كلهم يوجب رحمة الله تعالى كما جاء في حديث آخر « ارحم من في الارض يرحمك من في السماء » وكذلك الصنم عن الزلات وإقالة العثرات مما يحبه الله لعظم كرمه وغفرانه ويحب من يتصف به ويقابل صنيعه مع الناس بمثله عنده ، ثم قال ويل لاقصاع القول أي شدة وهلكة وخسر لا وثلك الذين لا يعون الحكمة وسمعهم كالقمع والقمع تنفذ منه السوائل ولا يحفظها وويل كذلك لأولئك الذين يصرون على الذنوب والردائل ضاللاً وغواية وعناداً وهم يعلمون مع ذلك انهم على مساوي ومعاصي وردائل مردية بهم وبسواهم

﴿ الحكمة الثانية عشرة ﴾

لَيْسَ الْغِنَى مِنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ
العرض ما ينتفع به من متاع الدنيا ومعنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال لان كثيراً ممن وسع الله عليهم في الثروة مجردون من القناعة النفسية شراهة وحرصاً فكان من هذه الصفة صفة من الاغنياء فقير من شدة حرصه وعظم

شراسته وطمعه أما الغنى الحقيقي فهو غنى النفس وان أحرزت
 اليدان الاموال وقال القرطبي كما نقله المقرئى بمعنى الحديث
 ان الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس وبيانه انه
 اذا استغنت نفسك كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل
 لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح اكثر من الغنى الذى
 يناله من يكون فقير النفس لحرصه فانه يورطه في رذائل
 الامور فيكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم فيكون
 أصغر من كل صغير وأذل من كل ذليل ، والله در الشاعر
 حيث قال

والناس أكيس من ان يمدحوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان

﴿ الحكمة الثالثة عشرة ﴾

كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَابْسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا

مَخِيلَةٍ .

المخيلة والخيلة العجب والتكبر قال العالم عبد اللطيف
 البغدادي هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الانسان نفسه اذ
 فيه تدبير مصالح النفس والجسد والدنيا والآخرة فقيه الامر
 بالاكل والشرب من الحلال الطيب والتصديق على الفقير

والمسكين والامر بتزيين اللباس ولكن بلا اسراف ولا تبذير
ولا عجب ولا خيلاء اذ في الاسراف ضياع المال وهو أساس
الحياة وعتادها وفي العجب والكبر ومباهاة الناس به مثال لما
كان عليه قارون الذي ضرب الله به المثل في القرآن المجيد
لكل غني معجب بغناه متكبر على الناس به فسبب له ذلك
ذهاب ماله وضياع نفسه حتى كره الغنى لما شاهدوا ما أصابه
من تمنوا من قومه ان يكون لهم مثل حظه وثروته وزينته

﴿ الحكمة الرابعة عشرة ﴾

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ
وَالصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ
الْحَالِقَةُ

قال بعض العلماء انما يراد باصلاح ذات البين ما بين
الناس من الاحوال حتى تكون احوال محبة والفة واتفاق وقيل
المراد به اصلاح الفساد والفتنة التي تكون بين الناس وبعضهم
فهذا الاصلاح واجب عندنا وجوب كفاية مهما وجد الانسان
اليه سبيلا ويحتمل الاصلاح بمواساة الاخوان والمحتاجين

ومساعدتهم فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا في هذه الحكمة الى ان اصلاح ذات البين أعظم ثواباً ودرجة من الصلاة والصيام والصدقة لما فيه من المصلحة العامة اما فسادها أو إفسادها بالقاء بذور الشقاق فهي الخصلة الذميمة الخالقة أي المردية المستأصلة للدين والدنيا كما تستأصل موسى الشعر لانها الفتنة والفتنة بين الناس خطبها عميم وشرها مستطير وكم أردت بافراد الناس وأضرت بجماعاتهم

﴿ الحكمة الخامسة عشرة ﴾

أَبَاكَ وَالخَمْرَ فَإِنَّ خَطِيئَتَهَا تَفْرَعُ الخَطَايَا كَمَا أَنَّ

شَجَرَتَهَا تَفْرَعُ الشَّجَرَ .

اضرار الخمر كثيرة وانمها اكبر من نفعها ومعني الحديث الشريف احذر الخمر وشربها فان خطيئتها أي وزرها يطول جميع الخطايا والاوزار ويزيد فيها ويجر اليها ويعلوها كما تعلو شجرتها أي الكرمة جميع الشجر وتفرع عليها وتتسلق جذوعها وفروعها ، قال العريزي وفي الحديث معنيان لطيفان : أحدهما تشبيه المعقول بالمحسوس وجعل الاحكام الشرعية في حكم الاعيان المرئية ، والآخر ان الخمر طريق الى الفواحش ومحسنة

لها ومدرجة الى كل خبيثة ولذلك سميت « أم الخبائث » ولقد
 جاء في حديث آخر صحيح « اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر »
 وفيها يقول ابن الوردي في اللامية :

ودع الخمر ان كنت فتى كيف يسمى في جنون من عقل

﴿ الحكمة السادسة عشرة ﴾

كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ

لا يخلو امرؤ من خطأ أو زلل مهما كان كماله في نفسه
 وعلمه وعمله وأدبه وفضله لما يعرفوا النفس عادة من النسيان
 ونحوه من الاغيار ولكن العقلاء والأكمل يرجعون الى الصواب
 ويعودون باللامة على النفس ويشوبون الى الهدى والتوبة
 واصلاح الخطأ والرجوع عنه ، فالحديث الشريف يدل لعمرى
 على تلك القاعدة أى الناموس الطبيعي المعرض له البشر وان
 ليس ثم نفس تخلو من الخطأ ولكنه يقول ايضاً ان خير البشر
 أولئك الذين يدركون خطأهم ويعرفون غلطهم فيرجعون عنه
 ويتوبون الى الله تعالى منه ، فالانسان لا يضره خطاؤه بمقدار
 ما يضره اصراره عليه مع معرفته إياه وعدم التوبة منه والاقلاع

عنه حتى يقل بذلك خطاؤه ويأمن العثار والهلكة بالتمادي في الخطيئة وعدم الاكتران لها والالتفات اليها والاقلاع عنها

﴿ الحكمة السابعة عشرة ﴾

خَيْرُ النَّاسِ . مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ وَشَرُّ النَّاسِ
مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ

المرء في هذا العالم ليس الا سيرة فمن حسن سلوكه اي عمله ومعاملته فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس وطال به الامد على ذلك لا جرم صار افضل الناس وخيرهم سيرة وسريرة بعكس ما اذا ساءت فعاله وقبحت خصاله وضلت سيرته وسريرته وتمادي به العمر في ذلك فصار من شرار الناس وتقمه عليهم فمضى الحديث لعمرى هو ذاك ولذلك جاء في حديث آخر « خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يؤمن شره ولا يرجى خيره » وفي حديث آخر « خير الناس انفعهم للناس » والاحاديث في المعنى كثيرة والآداب جمّة ولقد قال الشاعر قديماً

سابق الى الخيرات اهل العلى فانما الناس احاديث
كل امرئ في شأنه كادح فوارث منه وموروث

﴿ الحكمة الثامنة عشرة ﴾

لَا أَشْتَرِي شَيْئًا لَيْسَ عِنْدِي ثَمَنُهُ

كثيرون قد يملك أفئدتهم حب الظهور ومنافسة الاقران
والنظراء في المقتنيات من الاثاث والرياش والحلي والثياب وغير
ذلك فيقدمون على مشتري ما تشتهي عليهم انفسهم وتتوق
اليه اهوؤهم واطماعهم ولو لم يكن عندهم ثمن ما يشتهون في الحال
ارتكانا على السداد في الاستقبال وهذا من شر البلايا على
الناس اذ تكثر عليهم الديون وتتراكم من جراء ذلك على النفس
الوحول والهموم وهذه القاعدة الاقتصادية الرشيدة سبق بها
النبي صلى الله عليه وسلم كل الاقتصاديين والاخلاقين حيث
ارشدنا في هذا الحديث الشريف والحكمة البالغة الى انه
لا ينبغي للمرء وان جازله ذلك شرعا ان يبتاع شيئا لا حاجة له
به وليس عنده ثمنه وما عني الا الاحتراس من الوقوع في الديون
والخذر من السقوط في تلك الاحوال بل الاحوال التي يرزح
تحت اثقالتها كثير من الناس سفهاً وحمافة غير مقدرين للعواقب
ولا متدبرين في الامور والانسان قل ان يغتبط في الحياة بغير
تقدير ولا تدبير (شعر)

كن بما أوتيته مغتبطاً تستدم عيش القنوع المكتفي
 ان في نيل المني وشك الردي واجتناب القصد عين السرف
 كسراج دهنه قوت له فاذا غرقته فيه طفي
 وفي الحديث ايضاً « ما عال من اقتصد » والدين على
 كل حال شين بل رق ولذلك قال حكيم « الدين رفك فلا
 تبذل رفك لمن لا يعرف حقك » وجاء في الحديث الشريف
 ايضاً « أقلل من الدين تعش حراً »

﴿ الحكمة التاسعة عشرة ﴾

الجمال في الرجل اللسان

• الانسان في معاشرته لاخوانه ومعاملته لا بناء هيئته مفتقر
 الى محادثتهم ومكالمتهم فان كان مهذب المقال حلو اللسان رقيق
 الجانب لا جرم احبه الناس وعظمه الخلقاء والجلال فارشدنا
 النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث الى ان هذه الحال في
 المرء جمال له وكمال وليس المقصود به تحري الفصاحة والبلاغة
 تشدقا وتفيهاً وانما اراد بهذا الجمال ما هو اسمى من ذلك وأعلى
 كعباً وهو ما عناه الشاعر بقوله :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فالمرء اذا كل له ادب نفسه ورجاحة عقله لا جرم نطق
بالصواب لسانه وتسربات بالمحاسن اقواله فاقبات عليه الاسماع
ومالت اليه الارواح بمكس البذى الفحاش وان كان قس
الفصاحة وذاك باقل المي

✽ الحكمة المتممة للعشرين ✽

لَا نَ يَا خُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُو إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبُ
فَيَبِيعُ فَيَأْكُلُ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ

السمي في طلب الرزق عتاد الحياة والعمل على المعاش
أس العمران لانه قوام الحياة الفردية والاجتماعية وبه نظامها
في جميع العالم فلذلك جاء الحث على العمل وترك التواني
والاماني في جميع غرر آداب البشر وان العمل مهما حقر
وصغر فهو أفضل من البطالة وسؤال الناس حتى قال عمر بن
الخطاب «مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس» وقال بعض
الحكماء «لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فالكريم
محتال والدنيء عيال» فالحديث يرمي الى أشرف الاغراض
واكرم الاحوال من حيث السمي على المعاش والحث على
العمل وطلب الرزق وانه لا ينبغي للمرء القادر ان يرضى بان

يكون عالة على المجتمع يتكفف ويسأل الناس وهو أمر
مزدري محقر خير منه احقر أحوال السعي مثل الاحتطاب
ونحوه فيجمع الحطب من الجبل فيبيع منه ويأكل ومن شر
الاحوال من هذا القبيل الكسل والتعلل بالاماني والترفع عن
كثير من الاعمال النافعة أملاً في نيل ما هو أشرف منها في
اعتبار بعض الاوهام فتضيع على المرء أوقاته ويزداد قعوده
وخلوده الى الاماني وتخور عزيمته وينتهي به الحال الى البطالة
والكسل والجمق والذيلة وابو تمام يقول
من كان مرعى همه وهمومه روض الاماني لم يزل مهزولاً

﴿ الحكمة الحادية والعشرون ﴾

قَلِيلٌ تَوَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ

هي كلمة حكمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لثعلبة
ابن حاطب أحد الصحابة عند ما قال له « ادع الله يرزقني)
ولا غروفان المال الوفير والنشب الكثير كثيراً ما يطغى صاحبه
ويكثر مشاغله ويضيع عليه هناء نفسه وراحة باله اذا لم يحسن
التصرف فيه والتدبير له ووضع مواضعه وصرفه في مصارفه
وهو لعمرى معنى لا تطيقه بعكس القليل فان صاحبه يبقى دائماً

محتاطاً لنفسه عاملاً على تدبير أمره واصلاح شأنه قليل الهموم
مع ذلك خفيف الحمل ناهيك اذا كان ممن يتصفون بالتقوى
والورع فانه بلجائه الى الله وشكره له تعالى على ما رزقه وميله
الى القناعة والزهادة يكون بآمن من الزلل والعتار على قدر
الامكان متصفاً بأحسن الاحوال الاخلاقية والمعاشية في كل
أين وأن وكم من غني فقير بحرصه ومشاغله وفقير غني بقناعته
وراحة باله قال الشاعر أبو العتاهية :

اذا القوت تأتي لك والصحة والامن
واصبحت اخا حزن فلا فارقت الحزن

﴿ الحكمة الثانية والعشرون ﴾

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَّمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ
وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا

من أفضل الاخلاق وأكرم الصفات الكرم اي الجود
والله سبحانه وتعالى هو أكرم الا كرمين فلذلك يحب من عباده
الاتصاف بالكرم الشامل للجود والسخاء وما جرى مجراه من
الخلال كما انه يحب معالي الاخلاق من الشجاعة والعفة والعدل
والحكمة ويكره لعباده الاتصاف باضداد ذلك من الخصال

والاحوال الحقيرة المسترذلة ومدار الآداب الاسلامية في القرآن
والحديث انما تدور حول هذا المحور على انه يجب على المرء
على كل حال أن يجاهد نفسه حتى يكسبها المعالي ويلبسها رداء
المحامد ويخلع عن جيده اغلال الرذائل وهو صر ك قد يكون
ذلولاً اذا وسط الانسان عقله ولم يعط نفسه في كل ما تشتهي
مناها ومن حكم اكرم بن صيفي لولده « يا بني ذلوا أخلاقكم
للمطالب وقودوها على المحامد وعلوها المكارم ولا تقيموا على
خلق تدمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتخلقوا بالجدود
يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البنجل فتعجلوا الفقر »

✽ الحكمه الثالثة والعشرون ✽

لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبِذِيِّ
من اوصاف الكاملين في الايمان الكاملين في الآداب
الترفع عن هذه الارجاس والتعالي بالنفس عن تلك الادناس
من الشتم والسب واللعن وخش القول وبذاءة اللسان لانها
كلها عيوب محقرة لصاحبها مشينه للمتصف بها فالحديث
الشريف يرشدنا الى ان المؤمن الذي أشرب قلبه حلاوة
الايمان والاسلام ليس من أخلاقه ولا من شيمته الطعن اي

الوقوع في اعراض الناس بنحو ذم او غيبة او نعيمة ولا هو
ذو فحش في منطقته ولا تقيصة في اقواله وافعاله فلا تنطق شفتاه
ببذاءة ولا يأتي لسانه بدنيئة ولقد جاء في حديث آخر صحيح
« ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن
الناس اسلاماً احسنهم خلقاً » وقال الحسين بن مطير يفتخر
بآدابه من هذا القبيل :

احب مكارم الاخلاق جهدي واكره ان اعيب وان اطابا
واصفح عن سباب الناس حليماً وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيؤه ومن حقرا الرجال فلن يهابا

﴿ الحكمة الرابعة والعشرون ﴾

لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ

المؤمن المخلص الايمان الكامل فيه من تورع فلازمته الامانة
في المعاملات كلها فامنه من ثم الخلق على اموالهم وانفسهم
وكذا من صفة الدين التقي ان يفي بعهوده ويربوعوده فلا
يماطل ولا يخلف وعداً فاذا تجرد المرء من الامانة وسلب الوفاء
بالعهود والبر بالوعود فهما كان اتصافه بالايمان والدين لا يكون
لعمري كاملاً في ذلك لا عند الله ولا عند الناس بل كان احري

بان يوصف بما جاء في هذا الحديث « آية المنافق ثلاث اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان » وانها لسببة
عظيمة بين الناس وجريرة ظاهرة الاثر في الهيئة الاجتماعية
وامم عند الله لو يعلم الناس عظيم

اخلاق بمن رضى الخيانة شيمة ان لا يري الا صريح حوادث
ما زالت الاراء تخلق بووسها ابداً بغادر ذمة او ناكث

﴿ الحكمة الخامسة والعشرون ﴾

إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا
تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ .

الحسد حب زوال النعمة عن المنعم عليه بها وهو امر
مكروه ممقوت مفسد لحال الحاسد مضيع عليه صوابه في
دنياه ودينه لانصرافه عن اصلاح حاله الى الخط من شأن الغير
والعمل على الاضرار به وازالة نعمته بغياً وحسداً مما قد يضر
به دون المحسود فالحديث الشريف يبين لنا ان هذه الحال
النفسية السيئة التي تمنى بها بعض النفوس لعجزها قد تفسد
عليها اعمالها وتذهب بحسناتها حتى انها لتأكلها كما تأكل النار

المنهية الحطب اليابس ، والحسد غير الغبطة اذ الغبطة حب
 نيل النعم بلا كراهة لوجودها ودوامها على المغبوط وانما يشتهي
 المرء لنفسه مثلها وهي مفيدة لانها قد ترشد المرء الى خير السبل
 غالباً وفي الحسد يقول شيخ المعرة
 ان كان قلبك فيه خوف بارئه فلا تجاور حذار الله بالحسد

﴿ الحكمة السادسة والعشرون ﴾

دَعِ مَا يَرِيْبُكَ اِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ
 وَالكَذِبَ رِيْبَةٌ

اي اترك ما تشك في كونه حسناً او قبيحاً او لا تدري ان
 كان حلالاً او حراماً ضاراً او نافعاً صدقاً او كذباً حتى تكون
 دقيقاً في امرك يقظاً في شأنك واستمسك بما لا تشك في
 كونه حسناً صحيحاً متيقناً حله معتقداً صدقه فان الصدق في
 القول والتدقيق في العمل طمأنينة تطمئن بها النفوس وتسكن
 اليها القلوب بعكس الكذب والبهتان فانه ريبة اي شك يفتق
 منه القلب ويضطرب له الوجدان وتشوش الاعمال فالحديث
 يدعو الى اكرم الاحوال المنجية للانسان المعينة للعقل على

الخلاص من كثير مما يعرقل طريقه ويضله السبيل من الريب
والشكوك والكذب والسماع له ولله در الشاعر حيث قال

والناس شبه ظروف حشوها صبر وفوق افواها شيء من العسل
تحلو لذائقها حتى اذا انكشفت له تين ما تحويه من زغل

❖ الحكمة السابعة والعشرون ❖

مِنْ حُسْنِ اسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنيهِ .

كثير من الناس لا تنصرف احاديثهم بل وهمهم الا فيما لا فائدة
لهم منه البتة من القيل والقال وهذا فيه مضيعة لاوقاتهم
وصرف لهممهم فيما لا يجديهم نفعاً ولا يهتمهم منه شيء في
معاش او معاد فهذه الحكمة النبوية الشريفة تدلنا على ان من
حسن اسلامنا وكمال ايماننا ان نترك ما لا يهمننا ولا يعنيننا من
القيل والقال واشتغال البال بامر الغير واحوال الناس وكثرة
الاجاج والحجاج في التافهات ولقد حد الغزالي ما لا يعنى بانه
مالو ترك لم يفت به ثواب ولم ينجر به ضرر ولعمري فان من
اقتصر على هذا في حاله وكلامه قل كلامه وصلح حاله وحاسب
نفسه ولم يضع اوقاته ونال سعادته
اذا شئت ان تحي عزيراً مسلماً فدبر وميز ما تقول وتفعل

﴿ الحكمة الثامنة والعشرون ﴾

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي .

من تمام الادب الانساني أن يحسن المرء معاشرته أهله وأفراد أسرته وذوي عشرته بحسن القيام عليهم والتدبير لامرهم والتلطف بهم لتصفو لهم وله معيشتهم ويحصل له ولهم الهدى والهدى جاء في حديث آخره ان من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله « فهذا الحديث وأمثاله بحسنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الادب الواجب يقول ان أفضلكم من أحسن معاشرته أهله من الزوجة والولد وذوي القرابة ونحوهم ولما كان لنا في رسول الله القدوة الصالحة والاسوة الحسنة لا جرم اين لنا انه كان خير الامة الاسلامية كلها في أدب معاشرته الاهل وذوي العشرة ليزيد في حشاشا على الاقتداء به ولنا فيه لعمرى الاسوة الحسنة كما قال الله تعالى « وللم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »

﴿ الحكمة التاسعة والعشرون ﴾

إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ فَإِنَّ أَيْتُمُ الْأَمْجَالِسِ

فَاعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا غَضُّ البَصْرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ
وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .

اعتاد كثير من الناس الجلوس في الاسواق وعلى قارعة
الطرق في أوقات الفراغ تسلية للنفس وترويحاً للصدر من عناء
الاعمال ولكن كثيرين منهم قد يجرهم ذلك الى ما يفسد
الاخلاق ويحط بالشرف ويخدش الناموس فالحديث يحذرننا
من هذه المجالس ويحظرها علينا ويقول ان كان لا بد لكم من
ذلك تسلية للنفس فاعطوا الطريق حقها أي أدبها المفيد لكم
ونهيئتمكم الاجتماعية بأن تقضوا البصر عن النظر الى النساء
المسارات ولا تؤذوا السابلة بلسانكم او عملكم او تسدوا الطريق
على الناس وان تردوا السلام على من سلم عليكم وان رأيتم شيئاً
منكراً فانهوا عنه وامروا بالمعروف ولعمري ان الناس لو عملوا
بهذا الحديث وتمسكوا بأدبه لكان في ذلك اعظم فائدة للبيئة
الاجتماعية في آدابها العامة والخاصة بعكس ما هو حاصل الآن
من شغف الناس وميلهم الى الجلوس في المقهوات على قارعة
الطرق مما فيه الحسار والاضرار والتأثير في الاخلاق ولقد جاء
في حديث آخر « شر المجالس الاسواق والطرق وخير المجالس

المساجد فان لم تجلس في المسجد فالزم بيتك »

﴿ الحكمة المتممة للثلاثين ﴾

إِنَّ أَكْبَرَ الْإِثْمِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُضَيِّعَ الرَّجُلُ مَنْ يَقُوتُ .
 لقد يبلغ فساد الاخلاق ببعض الناس ان يهمل بيته
 ومن تلزمهم نفقته من زوجة او ولد او والد ووالدة وينفق ماله
 في اللهو واللعب واتباع الشهوات والزينة الى اشباه ذلك وهو
 الامر الواقع الآن كثيراً من بعض من لا اخلاق لهم فيكثر
 الفساد في الهيئة الاجتماعية وتضيع كثير من الانفس البريئة
 من النساء والاصفال والشيوخ فالحديث الشريف يحظر هذا
 الامر ويقول صراحة ان هذا الفعل القبيح من أعظم الذنوب
 بل هو اكبرها عند الله وكفى بالمرء اثماً ان يضيع من يقوت
 كما جاء في حديث آخر

﴿ الحكمة الحادية والثلاثون ﴾

إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ
 فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ .

اعتادت الناس ان تعبط ذوي اليسار وارباب الجاه والثراء

والقوة وان يكثر من ذكرهم وترديد اسمائهم واحوالهم ويشغلهم ذلك عما قد يكونون عليه هم من احوال هنية ربما لم تكن لاولئك الاغنياء وأرباب الجاه فتتنفص عليهم عيشتهم فدواء ذلك ان ينظر المرء اي يقارن ايضاً بين حاله وحالة من هو اقل منه درجة في المال والجاه والعافية فبذلك ترتاح نفسه ويعلم مقدار نعمة الله تعالى عليه وان من هم دونه اي اكثر منه عناء وشقاء في العالم اكثر ممن فضلوا عليه فهدأ من ثم نفسه وتطيب وتشكر على ما هو لاحق بها من النعم والسعادة فتسر بذلك وتنشط في العمل . وقال العالم ابن بطال كما في شرح العزيزي على الجامع الصغير ما نصه: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لان المرء لا يكون بحال يتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها الا وجد من هو فوقه فمتى ظلمت نفسه للحاق به استصغر حاله فيكون ابداً في زيادة . ولا يكون على حالة خسيصة من الدنيا الا وجد من اهلها من هو احسن منه حالاً فاذا تفكر في ذلك علم ان نعمة الله وصلت اليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير امر اوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده » وقال غيره « في هذا الحديث دواء الداء لان

الشخص اذا نظر الى من هو فرقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسدا ودواؤه ان ينظر الى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعية الى الشكر» وجاء في الحديث ايضا انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لاتزدروا نعمة الله عليكم»

﴿ الحكمة الثانية والثلاثون ﴾

إِذَا ظَهَرَ الزَّيْنِي وَالرَّبَّابِي فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ
عَذَابَ اللَّهِ

الزنى والربا من كبائر الذنوب المنهي عنها في القرآن المجيد لانها من شر الآثام واشأمها على الناس ومعلوم ان العذاب في الذنوب الكبائر غير قاصر على القصاص والمقاب الاخروي بل هو مما يعجل فتشاهد آثاره السيئة في فساد احوال الناس واضطراب امورهم وتشويش فهمهم وارتباك شؤونهم وضياع أموالهم وسقم ابدانهم وفساد احوال ذراريهم فمعنى الحديث ان هذين الاثمين الكبيرين والوزرين العظيمين اذا فشيا في هيئة اجتماعية فقد احلت بنفسها عذاب الله أي تسببت في وقوعه بها وتعميله عليها لمخالفتها بارتكاب هذين الاثمين الخطرين الحكمة

الآلهية في حفظ الانساب والاموال بالربا الفاحش وخرق
 حرمة الناموس ناموس العفة في الاعراض والاموال فتحدث
 ردود فعل ضارة ونحن لو نظرنا بعين الناقد البصير في الاحوال
 الاجتماعية الراهنة لرأينا ان ما الناس واقعون فيه من فساد
 الاحوال الاجتماعية والاقتصادية انما سببه فشو امثال هذه
 الرذائل الخالقة وهم غير ابهين لها ولا مكترثين تعة بالاماني
 واتكالا على سعة الرحمة وما انتظار الرحمة بالاصرار والتماس
 المغفرة بالمعصيان الا خطة سخف وذريعة لبس سولتها اهواء
 النفوس والجهل بالحقائق الدينية والاجتماعية وما يترتب على
 مخالفتها من الخسران في العاجل قبل الاجل .

تعزز بابعاد المعاصي ورفضها فما العز الا في الفرار من الذنب
 وثابر على تقوى الاله فانها نجاة لباغيها من المركب الصعب
 وكن طائعا لله في كل حالة تجدلذة الدارين ان كنت ذاب

﴿ الحكمة الثالثة والثلاثون ﴾

انني احرّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ
 النّحْرِيحِ التّضْيِيقِ وَالتّحْرِيْمِ وَاليَتِيمِ مِنْ مَاتَ اَبَوَاهُ اَوْ
 اَحَدَهُمَا وَهُوَ صَغِيرٌ فَصَارَ فِي كِفَالَةِ غَيْرِهَا وَتَحْتَ وَصَايَةِ سِوَاهَا

في نفسه وماله حتى يكبر والمرأة مثل الزوجة والاخت والمطلقة
والارملة الى ما يشبه ذلك وحقوقها من نحو صداق أو نفقة
او ميراث او مال مشترك فائن كانت الحقوق كلها متساوية في
الحرمة والتحرير فان تخصيص التحريم بحقوق اليتيم والمرأة
لضعفهما إنما جاء لمزيد العناية بهما حتى لا تقتال حقوقهما ولا تبدد
أموالهما اذا لزمتنا أو وضعت في رقابنا ووكلت الى عهدتنا فنعمل
فيها بالسهر والتشدد في الحفظ والصيانة ولكن كم الناس عاملون
الآن بذلك موفون بالحقوق فيه لعمرى ان احوالنا في ذلك
ومشاكلنا من جرائم اكثر من ان تحصى مما جعلنا في واد
وما ترمي اليه آدابنا الاسلامية وشريعتنا القراء في واد آخر
والله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله « ان الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيراً »

﴿ الحكمة الرابعة والثلاثون ﴾

الكيسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ
مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي .
المرء الرشيد العاقل التقي يجعل نصب عينيه تدليل نفسه

وتنشطها في العمل المقرب الى الله سالكا في ذلك سبيل الاخير
العاملين والابرار المجدين بعكس الكسل الوكل الذي يتبع
شهوات نفسه ثم يكثر من الاماني الكواذب فمعنى الحديث
ان الكيس اي العاقل المستبصر الراغب حقيقة في الخير من
دان نفسه اي حاسبها وذلها على الخيرات في المعاملات
والطاعات حتى صارت لها ملكة راسخة وجعل نصب عينيه
مخافة الله تعالى ورجاء ثوابه الاخروي أما العاجز اي المقصر
العاقل فهو من اتبع شهوات نفسه الامارة بالسوء فلم يكفها
. ولم يبصرها في العواقب ثم جعل همه مع تقصيره وتفريطه في
الطاعات والخيرات التمني على الله ان يعطيه ويصالح حاله ويعفو
عنه قال الغزالي رحمه الله وهذا غاية الجهل والحق اوردته
الشیطان في ضمن الدين وقال الدميري «فائدة هذا الحديث
تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة
والخروج من المظالم وقضاء الدين والوصية بما له وما عليه»
وقال الشاعر :

واعلم بانك لن تسود ولن ترى طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

﴿ الحكمة الخامسة والثلاثون ﴾

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالِإِمَامُ
 رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ
 مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ
 عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ
 وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَكُلُّكُمْ
 رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

هذا الحديث جامع لاعظم قاعدة عمرانية عليها مدار
 حفظ الحقوق والقيام بالواجبات من حيث الامانة والحفظ
 والعدل وفيه تشبيه الاحوال الاجتماعية بالحكومة في سياستها
 وتديرها دلالة على اهميتها وعظم عبئها حتى في اصغر امورها .
 فالامام اي الحاكم راع مسؤول اي مطالب بحقوق رعيته بالسهر
 على مصالحها واقامة العدل بينها والرجل في بيته راع ملزم بوفاء
 حقوق اهله واولاده من نفقة وكسوة وتربية والمرأة في بيت
 زوجها راعية مطلوبة بحسن تديره وتربية اولادها وتحسين
 عيش زوجها والامانة له والخادم المؤمن على مال سيده مسؤول

عنه بحفظه والقيام بما عهد اليه فيه خير قيام وكذا الولد المؤمن
على مال والديه راع فيه ومطالب بحسن تديره ثم عم مرة
اخرى فقال فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ليدخل في
العموم حتى المنفرد الذي لا زوج له ولا ولد فانه لعمري راعي
نفسه ومسئول عن رعيته بحسن التصرف في نفسه وماله بعمل
المأمورات واجتناب المنهيات

﴿ الحكمة السادسة والثلاثون ﴾

لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا
يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا

الطير من انشط الحيوان في السمي على ارزاقها والتبكير
في طاب اقواتها بنظام عجيب وترتيب غريب حتى ان منها
ما يصيف في بقاع بعيدة وتحل شتاء اصقاعا مترامية مع نشاط
وخفة ونغاء وطرب في غدوها في الصباح خماصا اي خاوية
ورواحها في المساء بطانا ممتئة الحواصل مما كدحت له وسعت
في التقاطه من الجبوب والاقوات فهي لا جرم على افضل
حال في التوكل بالسمي لا كما يفهم البعض في معنى الحديث
الشريف حتى قال البيهقي « ليس في هذا الحديث دلالة على

القومود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق لان
الطير اذا غدت فانما تعدو لطلب الرزق دائما اراد والله اعلم لو
توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا ان الخير
بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانمين كالطير تعدو
خاصا وروح بطانا لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم وينشون
ويكذبون ولا ينصحون وهذا خلاف التوكل ،

وفي التوكل والسعي يقول الشاعر :

توكل على الرحمن في الامر كله

ولا ترغب في المعجز يوما عن الطلب

ألم تر ان الله قال لمريم

وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء ان تجنيه من غير هزه

جنته ولكن كل رزق له سبب

﴿ الحكمة السابعة والثلاثون ﴾

مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَابْتِغِزْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

فَلِسَانَهُ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ

المنكر كل ما خالف الشرع والعرف الصحيح من الامور

الاجتماعية والاحوال الانسانية فكل هذا ازالته واجبة والنهي
 عنه امر لازم فلذلك وجدت له التمازير والقصاصات الشرعية
 والوضعية في الامم كما وجدت للشرور في الآداب العامة القومية
 القصاصات الادبية حتى تلاشي من الهيئة وقررت الحسبة في
 الاسلام لتلك الغاية من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 كما امر به في القرآن المجيد فالحديث يبين لنا ادب ذلك بان
 ما تقدر على تغييره باليد بدون اذى لاحد فعلناه وان كان مما
 لا قبل لنا به نبهنا عليه باللسان فان لم نستطع لا هذا وذاك
 انكرناه بقلوبنا واستهجنناه في نفوسنا حتى نخرج من اثمه ولا
 تقع في خطيئته ثم قال وذلك اضعف الايمان دلالة على ان
 الشجاعة الادبية في السعي بالنفس والمجاهرة باللسان لازالة
 المنكر من افضل الايمان واعظمه لانه ذب عن الحق وازاله
 للشرور عن المجتمع ولذلك جاء في حديث آخر « مزوا بالمعروف
 وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم » على انه
 قد ابتكرت الآن طرائق لازالة المنكر والشرور من الطف
 ما ذهبت اليه العقول اعني به مثل جماعات ابطال المسكرات
 ومقاومة المنكرات الى اشباه ذلك مما هو بالغ حد الكمال في الغرب

﴿ الحكمة الثامنة والثلاثون ﴾

إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مِثْلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ
 كَمِثْلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فِجَاءَ ذَا بَعُودٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى
 حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ
 بِهَا صَاحِبُهَا تَهْلِكُهُ

قد يستصغر المرء امورا معيبة تسرب الى نفسه فيستهين
 بها ولا يابه لها ويعدها من الصغائر المتعففة ولكن هذه الصغائر
 قد تولد الكبار أو تعظم وتتأصل في النفس حتى تصير من
 كبار الذنوب فتضر بصاحبها - ومعظم النار من مستصغر
 الشرر - فعنى الحديث احذروا صغار الذنوب التي تحتقرونها
 ولا تأبهون لها فانها قد تؤدي بكم الى كبارها ثم ضرب لذلك مثلا
 بليغاً بقوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود من الحطب وذا بعود
 حتى جمعوا من الحطب كفايتهم لا يقاد نار عظيمة انضجوا عليها
 خبزهم وطعامهم فأكلوا وشبعوا أي ان تلك المساعي الصغيرة
 اتجت لهم شيئا عظيما استوفوا منه حظوظهم وشبع بطونهم
 فكذلك مرتكب الصغائر أو غير الآ به لها فيما يقوم به من

الافعال والاقوال قد تعظم وتستحکم فيه تلك الصغيرات حتى
تصير له ملكة راسخة وسبيلا الى الهلكة والخسار وانت خبير
انه إنما يقصد به الحث على عدم التهاون في اتقاء الرذائل صغيرها
ككبيرها ومحاسبة النفس على جليلها وحقيرها حتى يستقيم عودها
وترجع بالتوبة والاقلاع عن الشرور جهدها والا ضلت طريق
الهدى واضلم نورها بعد الضياء ولقد جاء في حديث آخر
« ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكثت نكته سوداء في قلبه فان
هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو
على قلبه وهو الران الذي ذكر الله « كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون »

﴿ الحكمة التاسعة والثلاثون ﴾

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ
الْجَسَدِ إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ
وَالْحُمَّى

التضامن في الهيئة الاجتماعية في كل الاحوال لازم
اسلامتها بحيث لو اختلف فرع من فروع مقومات حياتها الحسية

والمعنوية ظهر أثر ذلك محسوساً في سائر الفروع الأخرى .
وهذا الحديث ونحوه يدلنا على أن الإسلام سباق في معرفة
أسرار الحياة الاجتماعية أي العمران البشري والديمقراطية
الصحيحة والآداب العامة الراقية من حيث الحض على التعاضد
والتواد والتراحم والتحاب لأن الهيئة الاجتماعية كرجل واحد
إذا مرض عضو من جسمه اضطربت له سائر الأعضاء واختلت
بنيتها لما هناك من الارتباطات والاتصال في تحمل الضرر
ولقد جاء في حديث آخر ما نصه « إن حقاً على المؤمنين أن
يتوجع بعضهم لبعض كما يألم الجسد الرأس » وفي حديث آخر
« المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله وإن
اشتكى عينه اشتكى كله » فالضرر اللاحق بأي فريق يتأثر منه
الفريق الآخر من أبناء الهيئة فوجب أن تسير الهيئة على
منهج عدل وأمر سوى وتلاطف وتعاطف حتى لا يختل نظامها
ولا تنوء بأحمال نفسها المرهقة المهلكة إذا لم تدرك بالمعالج
الصحيح ونحن لو سألنا العمرانيين والمنادين بالإنسانية وحقوقها
العامة لما رأيناهم تخطوا هذه القاعدة فيما بنوا عليه كثيراً من
نظرياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومدارها في الغالب على أن

الانسانية بجسم واحد ولا بد لهذا الجسم ان تؤدي اعضاؤه
وظائفها على التمام وتنال حقوقها موزعة كذلك وبذلك يعتدل
مزاج العالم وترتاح هيئاته الاجتماعية وطوائفه وافراده ولا تنوء
جماعاتهم تحت اثقال تضر بالكل بسبب ما قد يلحق من
الضرر بالجزء

﴿ الحكمة الاربعون ﴾

إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ
كَسْبِكُمْ

اصول الكسب ثلاثة الزراعة والصناعة والتجارة وهي
موارد حياة البشر وكلها ممدوحة مشكورة في الاحاديث والآثار
وزاؤها الصحابة والتابعون والناس اجمعون لانها مورد عيشهم
ومصدر رزقهم فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل اطيب ما يأكل
الانسان مما كسب بيده وسعى فيه بنفسه وحيث ان الولد ثمرة
من ثمرات غرس الانسان فلا جرم كان من كسبه وتعبه في
تربيته فلذلك كان من حقوق الوالدين في حالة الحاجة ان يأكلا
من مال ولدهما حتى جعل الامام الشافعي نفقتهما واجبة عليه

وفي هذا الحديث ضمناً الحث على احسان تربية الاولاد حتى
يكونوا غرساً صالحاً وكسباً نافعاً

﴿ الحكمة الحادية والاربعون ﴾

إِيَّاكَ وَمُشَارَةَ النَّاسِ فَإِنَّهَا تَدْفِنُ الْغُرَّةَ وَتُظْهِرُ الْعُرَّةَ

من الناس من قد يتصف بالشراسة والشكاسة فيؤدي
بمساوية الناس فتخفي فضائله وتمحي محاسنه ويسقط اعتباره
بينهم فهذه الحكمة النبوية الشريفة تحذرنا هذه الخصلة الذميمة
خصلة مشاركة الناس وان لا نفعل بهم شراً حتى لا يفعلوا بنا
مثله فضلاً عن ان اشتهار المرء بذلك يدفن غرته ان يخفي
حسناته واعماله الصالحة عندهم شبه بقررة الفرس ويظهر العرة
أي القدر الدنس استعير للعيب والنقائص التي يأتيها من هذه
خصلته ولقد جاء في حديث « ان شر الناس من اتقاه الناس
خشية فحشه أو شره » كما جاء في احاديث أخرى وجوب
مداراة الاشرار والسفهاء ليكمل للمرء الرشيد ادبه وتظهر فضائله
وينال سعادته

﴿ الحكمة الثانية والاربعون ﴾

إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةٌ فَمَنْ أَتَّبَعَ قَلْبَهُ الشَّعْبَ
كُلَّهَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ تَعَالَى بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ
كَفَاهُ الشَّعْبَ

ان مشاغل الانسان في العالم كثيرة ومنازع نفسه ومناهجه
مختلفة فهو ما دامت له الحياة معلق القلب مشغول الفكر بتلك
المشاغل والشهوات مهموم النفس بها فان لم يجعل له خطة ويرسم
له طريقاً ينتهي الى الركون على جانب الله بالتوكل والخشية
والتزام الحدود قادته اهواؤه الى التلف والبوار لتشعب تلك
الاهواء وخطل النفوس فيها فهذا الحديث يرشدنا الى ابلج نهج
في الحياة نقف عنده ونستمد من امداده يقول عليه الصلاة
والسلام ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة أي له في شؤون الحياة
ضروب من الفكر كثيرة مختلفة باختلاف الاغراض والشهوات
فمن اتبع قلبه الشعب كلها أي صرف قوي نفسه وفكره في
حظوظه المتنوعة واهوائه المختلفة غير مبال بحقوق الله ولا ملتزم
حدوده ولا خاش بأسه لم يبال الله بأي واد اهلكه أي انه يضل

في تلك الاودية النفسية السحيقة حتى يناله منها العطب والهلكة
قصاصاً منه تعالى على ما فرط في جنبه بتماديه في فروره واتباع
شهواته بعكس من اعتدل فيها وجعل معتمده خالقه ومجآه
شريعته وهاديه أدبه فانه لعمرى يكيفه مؤونة حاجاته المتشعبة
ويوفقه الى خير السبل وآمن الطرق واقسطها واعدها واحسنها

﴿ الحكمة الثالثة والاربعون ﴾

اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً
وَكُلُّوهَا صَالِحَةً

الشفقة على الحيوان الاعجم من أعظم ما حث عليه الشارع
الحكيم ولقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة كقوله صلى الله عليه
وسلم ما معناه (ان امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلا هي
اطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض) وكقوله
في حديث آخر ما نصه (غفر الله لامرأة مومسة مرت بكاب
على رأس ركي [بئر] يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفيها فأوثقته
ببخارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك) ومعنى الحديث
الذي نحن بصدده خافوا عقاب الله واشتقوا على هاه البهائم
المعجمة الخرساء التي تسخرونها ولا تقدر على النطق والشكوى

من الجوع والعطش والتعب والنصب فاحسنوا ركوبها وتحميلها
وعلقها واكلوا ما يؤكل منها صالحا أي سليمة سميئة ولقد جاء في
حديث آخر الحث على العناية باناث الحيوانات الالهية للنتاج

﴿ الحكمة الرابعة والاربعون ﴾

إِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ فَإِنَّ الْكِبْرَ لَيَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَإِنَّ عَلَيْهِ الْعِبَاءَةَ

الكبر من الرذائل النفسية والآفات التي تضر بصاحبها
وليس هو خصيص بالاغنياء وأرباب الجاه بل الكبر قد يكون
في اصغر الناس كما ترى في هذا الحديث الذي ينهانا عنه لانه
يضر بالمتصف به في معاشه ومعااده ويذهب بمحاسنه وفضائله
ويسقطه في اعين الناس ويمقته الله تعالى من اجله لتجبره وتكبره
ولقد جاء في موعظة أخرى نبوية « اجتنبوا التكبر فان العبد
لا يزال يتكبر حتى يقول الله اكتبوا عبدي في الجبارين »
والجبار هو المتكبر العاتي، وليس الكبر في شيء من شمم النفس
وترفعها بل هو حال قد يدركها كل من عاني احوال الناس وسبر
اغوار اخلاقهم وطبائعهم بالخلطة وليس أحسن من التواضع في
غير مذلة

﴿ الحكمة الخامسة والاربعون ﴾

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَخَامَةِ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ
 كَفَتْهَا فَإِذَا سَكَنَتْ إِعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكْفَأُ بِالْبَلَاءِ ،
 وَمَثَلُ الْفَاجِرِ كَالْأَرْزَةِ صَمَاءً مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى
 إِذَا شَاءَ

الانسان في هذا العالم عرضة للمحن والفتن ومغالبة الامور
 وتذليل الصعاب في الحياة فاذا كان عاقلاً رشيداً تحايل في
 التماس المخارج متمسكا باهداب الحق بالرفق واللين لا بالعرف
 والشدة حتى تصفوله الامور وتطيب له الاحوال ويأمن جانب
 الزلل والعمارة بعكس الاحمق المتصلب فانه كثير الزلل سريع
 العطب ، ومعنى هذا الحديث الجليل الذي يعلمنا أجمل الاحوال
 في مناهج السلوك في الحياة وأكمل الآداب في ذلك ان
 المؤمن الصادق الايمان مثله في أخذه الامور بالرفق واللين
 كمثل خامة الزرع أي الطاقة الغضة اللينة التي لم تشتد من النبات
 فيلتجئ إلى الله ويتلطف في أحوال الشدة والبلاء التي تصيبه
 كما تكفي الرياح خامات الزرع ولكنها للينها لا يكسرهما اشتداد

هبوبها فاذا سكنت تلك الرياح الشديدة والعواصف العاتية
 قامت الخمامات على اصولها سليمة نقيّة . اما الفاجر اي المنيد
 المتصاب فلا يلين ولا يلجأ الى الله فيوقمه تصلبه في الخطأ والزلل
 فتدهوره المصائب كالارزة وهي شجرة الصنوبر فانها لصلابتها
 وعدم ميلها مع الريح حيث تميل كثيراً ما تقتلها الريح وتذهب
 من الارض ريحها وعلى مثل هذا الحديث بني لافنوتين احدى
 خرافاته الشعرية الحكمية وقد نقات الى العربية^(١)

﴿ الحكمة السادسة والاربعون ﴾

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ إِنْ أَكَلَتْ أَكَلَتْ طَيِّبًا
 وَإِنْ وَضَعَتْ وَضَعَتْ طَيِّبًا وَإِنْ وَقَعَتْ عَلَى عُوْدٍ نَخَرَ لَمْ
 تَكْسِرْهُ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ سَبِيكَةِ الذَّهَبِ إِنْ تَفَخَّتْ عَلَيْهَا
 أَحْمَرَتْ وَإِنْ وَزِنَتْ لَمْ تَنْقُصْ

هذان مثلان جميلان أيضاً للمؤمن فشبهه في الاول منهما
 بالنحلة تلك الحشرة المفيدة اللطيفة التي لا تأكل إلا من أطيب

(١) العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ للمرحوم عثمان جلال

الأزهار ولا تنتج إلا خيراً ما كول أي العسل وهي مع ذلك خفيفة الروح خفيفة الحمل لا تثقل بجسمها على ما تقع عليه وتحط من الفصون حتى انها اذا وقعت على عود نخر لم تكسره اشارة الى ان الممثل له حاله كذلك في العالم ومع الناس اية كانت أحوالهم ، ثم مثل للمؤمن أيضاً بسبيكة الذهب لعظم قيمته في نفسه وما تحوى من فضائل وان تلك السبكة مهما أوقدت عليها بالنار أحمرت ولكن كل ذلك لا ينقص من قيمتها ووزنها كذلك المؤمن الصادق مهما اعتوره من المحن والفتن والتجارب فان يزعه ذلك ولن ينقص من قيمته في نفسه وما أبلغ هذا التمثيل وأحراه بالاتباع والاستماع لقوم يعقلون

﴿ الحكمة السابعة والاربعون ﴾

إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالتَّنَعِّمِينَ

إنتماس الانسان في النعيم ورفاهية العيش ليس بالمشكور في جميع آداب البشر قديمهم وحديثهم لانها حالة تؤدي الى البطر والاشتر والكسل وضعف البدن وهي في آدابنا الاسلامية ليست بالمشكورة وان جازت من الحلال الصنف لما فيها من المضار الأنفة وليست بالخصلة التي تشغلهم أو تلك الذين يتحرون

الآداب الراقية الراغبين في السكّمال النفسي والديني فلذلك
حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وقال انها ليست بالحالة
التي يجب أن تكون عادة لعباد الله الراغبين في حسن ثوابه
واستكّمال نفوسهم . ولعمري فان مطاوعة النفس في التمتع في
المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك ليس بالامر المحمود لانه
فضلاً عما فيه من المضار التي يجرها على الذات يجر كذلك الى
السرف والسرف يجر الى الخراب الحسي والمعنوي

﴿ الحكمة الثامنة والاربعون ﴾

أَسْمَعُ وَالطَّاعَةَ حَقٌّ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ
كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا
طَّاعَةَ

الطاعة من أفضل الخلال لتمشية النظام واقامة الشرائع
واداء الحقوق والواجبات وادارة الشؤون العامة منها والخاصة
والا أصبح الناس فوضى وكل أمور العالم ما لم يكن فيها نظام
متبع وطاعة شاملة وكلمة مسموعة فسدت وعرتها الفوضى
فالحديث يدلنا على ان ديننا جمع أي حث على اكرم خلة اجتماعية

وان السمع والطاعة للنظام والشرع واجب على كل مسلم ولو كان
فيهما ما يكره لانه ربما كان فيه مصلحة عامة لا تذكر في جنبها
مصاحته الخاصة لكن اذا تحقق للمرء ان فيما يؤمر به او ينهى
عنه أمراً يخالف الشرع وانه مما يعده من المعاصي فينبذ ينفي
ان لا نسمع ولا نطيع تبعاً للقاعدة التي جاءت في الحديث
الآخر (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) والآحاد في
الطاعة كثيرة

﴿ الحكمة التاسعة والاربعون ﴾

أَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرًا مِنَ الْحَلَالِ مَنْ
فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَمَنْ أَرْتَعَ فِيهِ كَانَ كَالْمُرْتَعِ إِلَى
جَنْبِ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى وَإِنْ
حِمَى اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَحَارِمُهُ

الحرام ما حرمه الشرع والحلال ما احله لنا وفيه مندوحة
عن الحرام بحيث لم يكن فيما حرم شيء الا وفيما احله ما هو
افضل واشرف منه ولا ينقص عنه مع ذلك في فوائده ومآذاته
ومسراته على ان معنى الحديث ان من جعل بينه وبين الحرام

حداً من الحلال كان ذلك اصون لدينه وورعه وسلامة عرضه
 من الذم الشرعي والعرفي ومن توسع في ملذات الدنيا وارتع
 فيها تطرف فيوشك ان يقع في الحرام كالذي يرتع الى جنب
 الحمى أي الشيء المحمي فيوشك ان يقع فيه وان لكل ملك حمى
 فتمد كان ملوك العرب قديماً يتخذون أرضاً ذات مرعى او نحو
 ذلك يحمونها فلا يقربها احد. فحمى الله في أرضه ما حرمه على
 عباده فعلى العاقل ان يتقي المحارم ويتورع فيما احله الله الى حد
 محدود حتى لا تطوح به نفسه فيقع في الحرام

﴿ الحكمة الخمسون ﴾

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قِيلَ وَمَا اسْتَعْمَلَهُ ؟
 قَالَ يَفْتَحُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ
 مِنْ حَوْلِهِ

الاعمال الصالحة في الدنيا كثيرة وهي ذاهبة كل مذهب
 في الشؤون الحيوية بين تجارة وصناعة وامارة فالله تعالى يهدي
 من عباده للخير فيها من يشاء من خلقه حتى يرضى عنهم من
 حولهم من الناس ويثنون عليهم من اجلها تمام فضلهم ونفعهم

بها وتأديتهم حقوقها فالمرء الذي يوفق في عمله وينجح فيه ويشتهر
بفضله بين الناس حتى يرضوا عنه ويكثر عمله بواسطة نفعه لهم
فذلك لعمرى ممن ينطبق عليهم هذا الحديث الشريف فيعيش
صاحبه نافعاً ويموت صالحاً مرضياً عنه من الناس ورب الناس
(وخير الناس أنفعهم للناس) فيبرئون ذمته ويثنون عليه خيراً
ويجز الله سبحانه وتعالى شهادتهم

﴿ الحكمة الحادية والخمسون ﴾

سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ
الشم والقذف والغيبة والتميمة ثم التطاول على الناس
بالضرب والأذية والقتال واغتصاب الاموال بالوسائل المحرمة
السافلة كل هذا حرمة الشارع تحريماً صريحاً ووضعت له
القصاصات الحقة في الشرائع السماوية والوضعية فالحديث
الشريف يرشدنا الى أشرف القواعد الادبية اذ يقول ان من
الفسوق أى الفجور والعصيان سباب المسلم والسباب أبلغ من
السب لان السب شتم الانسان والتكلم فيه بما يعيبه والسباب
أن يقول فيه بما ليس فيه واذا كان سباب المسلم من الفسوق
فقتاله أى مقاتلته كفر عبر به مبالغة في التحذير أو انه لو استحل

قتله كان كذلك وحرمة ماله أى عدم التعدى عليه في ماله
 بالاغتصاب والسرقه وما أشبه ذلك واجب كوجوب الحرج
 والمنع في اهراق دمه ونحن لو نظرنا في اخبار طبقاتنا الدنيا في
 الارياف من التعدى على اخوانهم بالشتم والتناول عليهم بالاذية
 والقتل وانتهاب الاموال واغتصابها بالطرق غير الشريفة علمنا
 اننا لسنا لعمرى على شيء كبير من آداب ديننا القويم . ولقد
 جاء في حديث آخر كالتأييد لهذا الحديث (كل المسلم على
 المسلم حرام ماله وعرضه ودمه . حسب امرى من الشر ان يحقر
 أخاه المسلم)

﴿ الحكمة الثانية والخمسون ﴾

إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنْفِقُ ثُمَّ يَمْنَحُ

من اعظم الفضائل في البيع والتجارات الامانة والصدق
 وعدم الغش والخداع والحلف الكاذب ونحوه وان الصدق
 والامانة ليلزمان التاجر لزومهما لاكثر الناس تعرضاً لمعاملة
 الناس ولذلك جاء في حديث آخر (التاجر الامين الصدوق
 مع الشهداء يوم القيامة) لانه من اكبر المجاهدين للنفس عن
 الحرام وهو الجهاد الاكبر ومعنى الحديث الذى نحن فيه احذر

كثرة الخلف في البيع فانه يروج سلعتك قليلاً في الظاهر
 لكنه يؤول الى زوالها وخسرها في الحقيقة لان الله لا يرضى
 النش والناس لا يقبلون على من يشتهر به . وفي حديث آخر
 « من غش فليس منا » وهو يشمل عمل التاجر وغير التاجر

﴿ الحكمة الثالثة والخمسون ﴾

خَيْرُ مَا يُخَلَّفُ الرَّجُلُ بَعْدَهُ ثَلَاثٌ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ
 وَصَدَقَةٌ تَجْرِي بِبَلْعَتِهَا أَجْرُهَا وَعِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ

ما وجد الانسان في هذا العالم الا لينفع بالمعلم والعمل
 واخلاف النسل ، فبالعلم يستفيد الناس وينتفعون اديباً ومادياً ،
 وبالعلم تحرز الاموال والمكاسب التي هي قوام الهيئة وبها
 صلاحها وما يجري من أعمال البر الجارية ، وبالذرية واصلاح
 تربيتها وتعليمها يقوم الخلف مكان السلف وبني كما كان يبني
 تلك سنة الله في خلقه وقاعدة في العمران قل ان تخل في
 هيئة او تضعف الا لحق بها الفساد وساد فيها الخلل ، ومعنى
 الحديث ان افضل ما يترك الرجل من اثر صالح بعد موته وما
 قدم في حياته ثلاث : اما ذرية طيبة صالحة تعرف حقه في
 تربيتها وتعليمها فتدعو له بالرحمة في مماته واما صدقة أي عمل

بردائم الاثر يناله ثوابه ويذكر به عند الناس واما علم يؤثر عنه
يستفيد به الناس من بعده وكلها نعمت الآثار ونعم ما يعمل
المرء ويكدهح لنيلها والوصول اليها

﴿ الحكمة الرابعة والخمسون ﴾

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ
يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

لقد شرع الله تعالى شرعه المنيف وبين لنا فيه الحلال
والحرام فهو تعالى لذلك يحب لعباده المؤمنين ان يمتنعوا عما
حرم ويجتنبوا كل ما يشين من الآثام والذائل حبا بهم وشفقة
عليهم مما رتبته من الجزاء على الافعال، فعنى الحديث الشريف:
ان الله يغار على عباده المؤمنين غيرهم هم على أنفسهم وحرمتهم
وغيرته عز وجل انما هي من جهة ان يأتي العبد ما حرم تعالى
على عباده حبا بهم وصونا لهم وشفقة عليهم من الوقوع في هذه
الارجاس والخطايا المردية لهم

﴿ الحكمة الخامسة والخمسون ﴾

اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا

الشَّحَّ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ
سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَأَسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ

الظلم من أشد ما تسوء به حال الأمم والافراد اذا ساد
فيها وفشا بين بنيتها لانه خروج عن الحد في العدل والعدل
أساس الملك فمتى اختل ميزانه باءت الاحوال بالخسران وآلت
الامور الى البوار والدمار ، والشح عبارة عن شدة الحرص
والطمع والبخل بالحقوق والرغبة في اهتضامها ، فالنبي صلى الله
عليه وسلم يقول : احذروا الظلم أي لا تتجاوزوا الحد ولا تمتدوا
بعضكم على بعض فان خطره عند الله تعالى كبير وعقابه شديد ،
واحذروا الشح اي الحرص والطمع والبخل بالحقوق فان هذا
قد أهلك من كان قبلكم من الامم كالفرس واليهود واليونان
والرومان واضطروهم الى العداوة والنزاع والقتال واستحلال
ما حرم عليهم من اغتصاب الاموال وهو ردع عن الوقوع في
تينك الرذيلتين وفروعهما من الحصال الذميمة المردية وتحذير
من مغابها السيئة واضرارها اللاحقة . والآحاديث في أدب
الباب كثيرة بل الاسلام مداره كله على اقامة قسطاس العدل
وترك الظلم والعدوان وانه مما لا يترك ذنبه بلا عقوبة وان

دعوة المظلوم مستجابة وان الله لا يقدر أعمالنا ما لم يأخذ
 ضعيفنا حقه من قوتنا وان من تولى الامور منا والقضاء فينا
 ينبغي له أن يكون على العدل الصرف والنزاهة والاستقامة .
 وجاء في الشح أي الحرص والطمع أحاديث كثيرة كلها
 تدل على قبح تلك الخصال وسوء حال المتلوث برذائلها في
 الحال والمآل

﴿ الحكمة السادسة والخمسون ﴾

لَا يَبْلُغُ الْمَرْءَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزِنَ مِنْ لِسَانِهِ

اطلاق اللسان في الثروة والمهذيان والتطوح في المقال
 ليس أقبح منه لأنه كثيراً ما يكون ذلك في الفشار او الكذب
 والغيبة والنميمة وما أشبه ذلك فكل هذا اذا اتصف به انسان
 كان ناقصاً عن الكمال . والحديث يقول : لا يصل المرء الى
 الايمان الكامل ويتصف به على الحقيقة الا اذا بعد عن تلك
 الخصال وجعل فيه كما قال العالم المزاوي : « خزنة لسانه فلا
 يفتحه إلا بفتح اذن الله » اي انه يصونه ولا يتكلم الا بما فيه
 مرضاته وخير نفسه وهيئته وذوي عشيرته . ولقد جاء في حديث
 آخر ما نصه : « اذا اصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تكفر

اللسان فتقول اتق الله فينا انما نحن بك فان استقممت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا

﴿ الحكمة السابعة والخمسون ﴾

المرء مع من أحبَّ ولَهُ ما اكتسبَ

اذا تحرى الانسان معاشره الكمل وتخلق باخلاق افاضل
الرجال وتمسك بمبادئهم عن محبة وورغبة كان لعمرى معهم ان
لم يكن بالجسد فبالروح والمنهاج والاخلاق وكان معهم في
الآخرة وانما لا يوصله الى ذلك كله ولا يكسبه اياه الا عمله
الذي هو عتاده فان كان خيراً فهو مع الخيرين في الدنيا والآخرة
وان كان شراً فلكل ما اكتسب . واما الحب بغير ذلك فلا
ثمرة فيه . وهل يجنى السكر من الحنظل .

﴿ الحكمة الثامنة والخمسون ﴾

إِيَّاكُمْ وَالْهَوَىٰ فَإِنَّ الْهَوَىٰ يُصِمُّ وَيُعِمِّي

الهوى انصراف النفوس الى الرغبات وتحول الوجوه
والعزائم في الامور لدرجة تأخذ نلى اللب خناقه وتسد على
العقل المنافس فلا يلتفت اليه فيما تنزع اليه الالهواء ولا يوسط
ويستخدم في تلك الشؤون وهذه حالة قبيحة وعادة في البشر

كثيراً ما تجلب الندم فلا يعرف المرء سوء مغبتها الا في نهاية
امره وعند شعوره بما يحيط به من الاخطار ولقد ذم الشارع
الحكيم ذلك في غير ما حديث وفي هذا الحديث يقول :
احذروا الهوى اي الميول النفسية الفاسدة لانها تجعل المرء اصم
عن سماع صوت العقل اعمى عن طريق الصواب والهدى
في مناهج الحياة

﴿ الحكمة التاسعة والخمسون ﴾

خَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ وَلَا دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ
وَلَمْ يَكُنْ كَلًّا عَلَى النَّاسِ

الدنيا مزرعة للآخرة فمن يعمل فيها بالحق ويأخذ من
الانياة نصيبه بالصدق ويعيش متبعاً لما امر الله به عباده من
العمل للدارين وتجنب نواهيها، للخطوة بالسعادتين كان لعمري
من خير الناس في هذا العالم . اما من قد تنصرف همته الى
عمل الآخرة وهجر ما امر الله به في الحياة الدنيا فذاك ليس
بالافضل وكذلك من شغلته دنياه عن امور دينه فهو ايضاً بشر
منزلة ، فالحديث صريح في ان افضل الناس منزلة من لم تشغله

دنياه عن آخرته ولا آخرته عن دنياه بل يعمل لهذه ولتلك حتى لا يكون في معاشه عالة على الناس وهو حث على التزام حد الوسط في المطالبين ولذلك جاء في حكمة اخرى: «اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»

﴿ الحكمة المتممة للستين ﴾

إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ
فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ
الدَّلْجَةِ

امر الدين كله يسر وليس بعسر والتشديد فيه والتشدد في امور العبادة ليس بالمحمود وقد جاء في ذلك احاديث كثيرة لانه صارف للانسان عن امور دنياه وهي مطلوبة للحياة والاستعانة بها على نيل السعادة الابدية وهل يحصد المرء بلا زرع فالتيسير في امر الدين انما هو لمصلحة الدين نفسه واما التشدد فما يحمل النفس على الملل والضجر فضلا عن مخالفة ناموس هذا العالم وما كان الدين إلا لتسديد خطى الانسان فيه حتى تطمئن النفس وترجع الى ربها راضية مرضية ، ومعنى

الحديث ان الاسلام ذويسر ولا يغالبه أحد أي لا يتعمق في
 أعماله أحد ويترك الرفق الاعجز وانقطع فيغاب وهو شأن كثير
 من المنتظمين في الدين وليس المراد منه منع طلب الاكمل في
 العبادة فانه محمود على كل حال وانما المراد به منع الافراط
 المؤدي الى الملل أو عدم احسان العمل والاشتغال عن المعاش
 فلذلك قال فسددوا أي الزموا السداد أي الصواب من غير
 افراط ولا تفريط وقاربوا أي ان لم تستطيعوا بلوغ الاكمل
 فاعملوا بما يقرب منه وابشروا بالثواب على العمل واستعينوا على
 عبادة ربكم وصلاتكم له بالقدوة صلاة الفداة والروحة بعد
 الزوال وقليل من الدجة بالفتح والضم أي الليل . فكأن
 الانسان مسافر في هذا العالم فنبه الى أطيب أوقات نشاطه
 ليستعين بعبادة ربه ومناجاته فيها حتى يبلغ نهايته بلا عناء ولا
 تحمل تعب مع المداومة على ما يسهل عليه طريقه في الدنيا التي
 أعمالها المعاشية تقتضي العناء واستفراغ شطر القوى

﴿ الحكمة الحادية والستون ﴾

طلب العلم فريضة على كل مسلم

أصبح من قبيل تحصيل الحاصل القول بفوائد العلم

ومنافعه ومزياه في الامم والافراد رجالا ونساء والقرآن المجيد
يقول : « لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ويقول :
« إنما يخشى الله من عباده العلماء » وهذا الحديث الصحيح يقول
ان طلب العلم واجب على كل مسلم والعلم لعمرى ينقسم الى
علم معاد وعلم معاش وكلاهما مرتبط بالآخر وكلاهما يعلم من
مقاصد القرآن المجيد لزوم طلبه والارتشاف من رحيقه للنفع
الديني والاخروي ، فالعلوم الشرعية مثل الفقه والتوحيد
والتفسير والحديث كلها ترجع الى صلاح المرء في معاده ومعاشه
وآدابه في سلوكه الاجتماعي ، والعلوم الدنيوية مثل اللغة والادب
والحساب والهندسة وتقويم البلدان والتاريخ والفلك والكيمياء
والطبيعة والاقتصاد السياسي والمنزلي والزراعة ونحوها كلها
ترجع كذلك الى صلاح الانسان في دنياه وتعينه على أمور
دينه ، واذا كان طلب العلم فريضة كما هو نص هذا الحديث
الصحيح فلا جرم كان ترك هذه الفريضة المحبوبة لذاتها ولغيرها
من اكبر الآثام وشر الجرائم وانه يفتحق للامة الاسلامية بناء
على هذا أن تجعل أمر التعليم إجباريا وعاما لتخرج من إثم
مخالفة هذه الفريضة

﴿ الحكمة الثانية والستون ﴾

مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعَهُ

مما يجلب بين الناس المحبة ويصلح ما بينهم من الروابط والالفة جلب النفع ودفع الضرر. والنفع للاصدقاء والاخوان غير قاصر على الماديات من حيث إيصال المعاش أو مد يد المساعدة والرفد والمؤاساة في الشدة بل هو يشمل أيضاً الامور المعنوية التي تستلزمها الحياة كالارشاد الى الخير والتنبيه الى تجنب الشر ثم دفع الغيبة الى اشباه ذلك مما يستطيع المرء أن ينفع به اخوانه واصدقائه والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ولا يصفى المودات ويزيد في التحاب غير ذلك . ولقد جاء في حكمة نبوية أخرى : « من يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته » وفي الحديث أيضاً : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف أنصره ظالماً قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره ، وفي حكمة ثالثة : « من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة » فهذا كله من تمام النفع ، ففي الحديث الاول الحث على المساعدة وفي الثاني الحض على نصره الاخ في الشدة ومنعه عن الظلم وفي الحديث الثالث وجوب رد الغيبة عنه اذا اغتیب في مجلس

﴿ الحكمة الثالثة والستون ﴾

إِنَّ الرُّقَى وَالْتَّمَائِمَ وَالتُّؤَلَةَ شِرْكَ

مما يؤسف عليه أشد الأسف اعتقاد كثير من عوام المسلمين وخاصتهم في الرقي والتمايم والسحر والنجوم والرمل الى اشباه ذلك من الخرافات التي نهى الشرع عنها وحرمها لان الاسلام لعمرى هو الدين الذي لا يرى مؤثراً في الكون غير الله عز وجل وأن السحر واشباهه مما يخيل للناس ليس منه شيء بضار الا باذنه تعالى وانه فتنة بل كفر ثم هو لم ياب على أهله الركون على الاسباب المعقولة والوسائط غير المنكورة فهو كما يأمرنا بالتداوي من الامراض واتقاء الوقوع في الاخطار والمهالك وتجنب مثل المجدوم والفرار منه ونحو ذلك يأمرنا أيضاً بان لا نشق بالرقي ولا نعول على التمايم والسحر والنجوم والرمل وسماع أقوال الدجاجلة لانه لا يعلم الغيب الا الله ولا مؤثر في الحقيقة غيره ، فعنى الحديث الشريف ان الرقي أي التمتة باللسان تستعمل للاستعانة بها على الحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعیه وهي ضرب من السحر ويستثنى من ذلك الرقية ببعض آي القرآن الشريف تبركاً فانه مما

لا بأس به ، والتأمم جمع تميمه وأصلها خرزات كانت نساء العرب
تعلقها على رأس الطفل وفي عنقه كما تفعل الى الآن بعض النساء
عندنا من تملق الخرز والاحجية لاطفالهن دفعا للعين
والامراض في اعتقادهن . والتولة وهي ما يعمل من السحر
لتحبيب المرأة الى زوجها الى اشبهاء ذلك . فكل هذا عده
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرك لان العرب من أهل
الجاهلية الاولى وغيرهم من الامم الوثنية كانت تعتقد تأثير ذلك
وتقصد به دفع الاقدار ونيل الاوطار وهو ليس في العير ولا
في النفير منها ولعمري ان وقوع هذه الامة حتى الآن في مثل
هذه الخرافات والسفاسف واعتقاد تأثيرها لما يدل على مقدار
جهلها بحقائق دينها وزيفها عن محجته البيضاء

﴿ الحكمة الرابعة والستون ﴾

لَعَنَ اللَّهُ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ

من العادات القبيحة المتبعة في هذا القطر انه اذا مات
الميت اتوا بالنائحات والنادبات والتفت النساء حولهن يسمعن
ويخن ويصرخن صراخاً مروعاً يمكن على ذلك أياماً وينصبن
المآتم على هذه الصورة أسابيع الى تمام الاربعين يوماً ويترن

بعضهن بعضاً فيها غير عالقات بما في هذا من المضار ولا آبهات
لما فيه من حرمة وخطيئة وافساد للصحة واضاعة للمال لذلك
كاه لعن الله كما في الحديث النائحة والمستمعة لنواحيها وندبها .
ولقد جاء في حديث آخر: « كل ندابة في النار » وقال عليه
الصلاة والسلام في حديث ثالث « ليس منا من لطم الحدود
وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »

﴿ الحكمة الخامسة والستون ﴾

إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ
إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِيُخَطِّبَهَا

- اعتاد الجمهور من الناس في البلاد الاسلامية أن لا ينظر
احدهم الى من يخطبها زوجة له ا كتماء بما تصفه له الخاطبات
او ذوات قرابته من النساء من صفات من يخطبها وفي هذا
اضرار كثيرة قد لا تعرف الا بعد الزواج مع ان الشرع
الاسلامي يجيز مخاطبة المرأة ان ينظر الى وجهها وهذا الحديث
يدل دلالة صريحة على انه لا بأس ان ينظر الانسان الى
مخطوبته انما بشرط ان يكون نظره اليها بقصد التزوج بها
ويشترط لمن ينظر الى الفتاة ولا يتزوجها ان لا يبوح بما رأى

وخوف هذا وحده هو الذي اضطر الناس الى الاكتفاء
في الخطبة بما ترى الخاطبات وتصف ذوات قرابة الخاطب .
وانى لنا بهيئة اسلامية تراعى آداب ذلك على افضله

﴿ الحكمة السادسة والستون ﴾

إِنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهَا مَا اسْتَحَلَّمْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ

اعتاد كثير من الناس ان يهضموا النساء حقوقهن في المهور
ومؤخر الصداق وما في حكم ذلك من النفقات الشرعية حتى
ضج المجتمع من شرور ذلك وتعبت الهيئة في مداواة دائه
ولقد مر في حكمة مضت النهي عن حق الضعيفين المرأة واليتيم
وفي هذا الحديث يقول النبي عليه الصلاة والتسليم : ان احق
الشروط واولاها بالوفاء وكلها بالوفاء به ضربة لازب الحقوق
التي استحللتم بها النساء من المهر والنفقة ونحو ذلك

﴿ الحكمة السابعة والستون ﴾

أَبْغَضُ الْحَالَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ

الطلاق جائز في الاسلام وله حد ينتهي اليه كما هو نص
القرآن المجيد : « الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريح

باحسان « وهو مع جوازه يبغضه الله لانه فصل بين نفسين
 كان حقاً عليهما ان يعيشا متحايين متصافيين لما بينهما من الروابط
 ويحصل لهما عادة من الذرية فلذلك كره مع جوازه للمصاحبة
 الصحيحة ولكننا نشاهد من أحوالنا بمزيد الاسف ما يندى له
 جبين الاسلام حياء من كثرة فشوه بين طبقاتنا الدنيا وكثرة
 ما يحتال له للرجعة وينشأ عنه من المفاسد في المجتمع فخرى بالمسلمين
 لعمري وقد علموا من هذا الحديث وامثاله أن لا يكثرؤا من
 التلفظ به ولا يطاوعوا النفس والشيطان في النطق بالطلاق لمجرد
 ما قد يحدث عادة بين الزوجين من الشجار والاثموا لهذا الصنيع
 الذي يبغضه الله وان احله للمصلحة العامة. ولقد جاء في حديث
 حسن : « ان الله يوصيكم بالنساء خيراً فانهن امهاتكم وبناتكم
 وخالاتكم ان الرجل من اهل الكتاب يتزوج المرأة وما تعلق
 يدها الخيط فما يرغب واحد منهما من صاحبه ، وجاء في
 حديث آخر صحيح توصية بالنساء وانهن كالضلع في العوج
 والمقصود به الحث على حسن معاشرتهن وسياستهن لضعفهن
 عن الرجل حتى لا ينشزن ولا يحتاج الى طلاقهن : استوصوا
 بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج ما في

الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج
فاستوصوا بالنساء خيراً»

﴿ الحكمة الثامنة والستون ﴾

خَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ تَسْرَكَ إِذَا أَبْصَرْتَ وَتَطِيعُكَ إِذَا
أَمَرْتَ وَتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ

الزوجة الصالحة والمرأة البارة بزوجها وبيتها وأولادها
هي التي تمدح ويحث على اختيارها في الاسلام ولا يتم للمرأة
ذلك الا اذا ربيت وهي فتاة في بيت أبيها تربية صالحة والا
فن أين يأتيها التخلق بالمحامد والاتصاف بالفضائل في معاملة
زوجها حتى يسر بها وتطيع أمره وتحفظه في ماله ونفسها.
فمعنى الحديث الشريف: أفضل النساء أي الزوجات من
تسرك اذا نظرت اليها لسماحة وجهها واطلاقه محياها وحسن أدبها
وعذوبة منطقتها وحديثها معك واطاعتك فيما تأمرها به من
أمورك ثم تصون نفسها عن كل نقيصة وتحافظ على مالك
بحسن التدبير لنفقة دارها ومهام بيتها مما تعد النفقة فيه صدقة
لرب البيت وربته كما جاء في حديث آخر: « اذا انفقت المرأة

من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما انفقت ولزوجها
اجره بما كسب وللخازن مثل ذلك « فمن رزق امرأة مثل
هذه فخرى به أن يغتبط . ولقد جاء في حديث آخر كالحث
على اختيار المرأة الصالحة « من رزقه الله امرأة صالحة فقد
أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي »

﴿ الحكمة التاسعة والستون ﴾

أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْظَرْتُ ثُمَّ خَرَجْتُ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا
رِيحَهَا فِي زَانِيَةٍ وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ

من اكمل الآداب والفضائل الدينية بل الانسانية أن
لا تبرز النساء في الطرقات والاسواق متبرجات متزينات متمطرات
يقصدن بذلك إظهار زينتهن ومحاسنهن . فكل هذا حرمه
الدين الحنيف كما استهجنته الآداب الصحيحة في سائر الامم
وان جرت به العادة في كثير من الهيئات الاجتماعية الآخذة
بقشور التمدن دون لبابه ونحن اذا نظرنا في كتابنا العزيز
وأحاديث رسولنا الكريم الفيناها ناهيين عن ذلك آرين
النساء المسلمات بالحشمة والوقار . ومعنى الحديث الذي نحن
فيه : أية امرأة أزينت ووضعت المطر وخرجت على الناس

ليروا محاسنها ويشموا رائحة عطرها فانها في حكم الزانية. ثم قال :
 وكل عين زانية أي التي تنظر الى محاسن النساء أو الرجال لان
 النظرة كما جاء في حديث آخر من سهام ابليس حثاً على غرض
 البصر والتزام العفة والوقار . وجاء في حديث آخر : « خير
 نسائكم الولود الودود المواسية المواتية اذا اتقين الله وشر نسائكم
 المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا
 مثل الغراب الاعصم » فهذه الآداب صريحة وهي من
 اكل الآداب ولو تمسك بها المسلمون والمسلمات لنالوا سعادتهم
 في انفسهم وذرياتهم وأزواجهم وأموالهم

﴿ الحكمة المتممة للسبعين ﴾

أَخْلَصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنْهُ

الغلو في الدين مكروه كما جاء في حديث آخر صحيح :
 « اياكم والغلو في الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين »
 والمقصود التغفل في العبادات والتعمق فيما لا يجدي ودين الله
 يسر وليس بعسر فالمرء لعمرى اذا أخلص دينه لله أي اعتقد
 بوحدانيته تعالى ورسالة رسوله على نحو ما بسطه في كتابه المجيد
 وأدى ما افترض الله عليه ثم تأدب بالآداب الشرعية الاجتماعية

وعامل الناس معاملة حسنة كفاه ذلك لنيل سعادته الدنيوية
والآخروية . وهناك آثار كثيرة للحث على التزام الوسط .
فمنها حديث : (عليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل
حتى تملوا) وحديث : (عليكم هدياً قاصداً عليكم هدياً قاصداً
عليكم هدياً قاصداً فانه من يشاد هذا الدين يغلبه) وحديث
آخر : (خير دينكم أيسره) على أن كثيراً ما نشاهد من
المتعمقين في الدين والمتشددين فيه أموراً قل أن يشاهد مثلها
في عوام الناس اولئك السذج الذين لا يرفون غير القليل من
أمور الدين ولكن لا خلاصهم فيه كانوا أجمل سيرة وسريرة
من سواهم مصداقاً للحديث الشريف : (كم من عاقل عقل عن
الله أمره وهو حقير الشأن عند الناس ذميم المنظر ينجو غداً وكم من
ظريف اللسان جميل المنظر عظيم الشأن هالك غداً في القيامة)
اذ المدار كله على الاخلاص اخلاص الدين لله دون كثرة العلم
أو العمل . وفي الحديث الصحيح أيضاً : (أحب الاعمال الى
الله أدومها وان قل)

﴿ الحكمة الحادية والسبعون ﴾

إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ

لعمرى ان جمال الله تعالى ظاهر للعيان فى حسن مبتدعاته
 وجمال مصنوعاته وبديع آياته فى ارضه وسمواته بين اشجار
 باسقة وجبال شاهقة وازاهير منسقة وطيور ذات ريش بديمة
 مفردة وحيوان بلغ منتهى العجب فى جمال خلقته وانهار تجري
 ومياه تنزل من السماء من سحب مسخر على صور وأشكال
 بديمة وبحار عظيمة تجري فيها الجوارى المنشآت وتستخرج
 منها الاسماك والحيتان واللؤلؤ والمرجان وزرع تأكل منه الانعام
 ويتغذى بحبه وثمره الانسان وسماء ذات ابراج ونجوم وكواكب
 تتلأل فى القبة الزرقاء وقد بلغت منتهى الابداع والاحكام
 فى سيرها فى مداراتها على مدار السنة فكل هذا يدلنا اعظم
 دلالة بديع صنعه واتقانه على جمال الله تعالى صانعه وجلاله
 وان احتجب عز وجل بالنور عن الابصار وعرف بالبصار لذوى
 الابصار كما قال ابو العتاهية

وانا لفي صنع ظاهر يدل على صانع لا يرى
 واذا كان تعالى جميلا جليلا بهذا المقدار الذى لا يتناهى
 احب من الانسان خليفته فى ارضه ان يكون على شيء من
 هذا الجمال ويعنى بالجمال ها هنا ليس جمال الصورة اذ هذا

ليس للانسان بد فيه ولا قدرة عليه وانما يعني به جمال النفس
وجمال الفعل وبالجملة كل ما يقدر الانسان على تجميله وتحسينه
من المصنوعات والافنون الانسانية ثم وسائل الحياة وتنظيف
البدن واللباس والمسكن وتنظيم اناة ولقد جاء في حديث آخر
« ان الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم
يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا افئدتكم ولا تشبهوا باليهود »
وما فرض الغسل والوضوء والتزام الطهارة في البدن والثوب
الا لذلك وما جعل من السنة الشريفة او الفطرة المنيفة تنظيف
اجزاء البدن وحلق بعض الشعر واخذان وتنظيف افئدة
الدور واماطة الاذى عن الطريق ورفع القمامة من المسجد
ونحو ذلك الا لمثل تلك الغاية من حب الله الجمال والنظافة
لانه تعالى جميل يحب الجمال ويحب النظافة واتقان الصناعة

﴿ الحكمة الثانية والسبعون ﴾

عَفْوُ تَعَفُّ نَسَاؤُكُمْ وَبِرُّوْا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ اِبْنَاؤُكُمْ
وَمَنْ اَتَاهُ اَخُوهُ مُتَنَصِّلاً فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ مُحِقًّا كَانَ اَوْ مُبْطَلًا
فَاِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِذْ عَلَيَّ الْحَوْضَ

العفاف من امهات الفضائل التي حث عليها الاسلام
سواء في الرجال او في النساء فاذا ترك الرجال القوامون على
النساء هذه الفضيلة واتبعوا شهوات النفس الخبيثة وحرموا صيانتها
عن ارتكاب الفاحشة واستحکم هذا الداء في الهيئة جر ذلك
ولا ريب الى فساد النساء ودخولهن هذا المدخل القبيح
طارحات للعفاف ظهريا ولبرقع الحياء جانبا ولذلك قال صاحب
منظومة الآداب المرادوى

ومن عف تقوى عن محارم غيره

يعف اهله حقا وان يزن يفسد

وقال محمود الوراق

رأيت صلاح المرء يصلح اهله

ويعديهم داء الفساد اذا فسد

ويشرف في الدنيا بفضل صلاحه

ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

والآحاد والآثار في هذا المعنى من قبح الزنا والخيانة

وفضل العفاف والصيانة كثيرة .

أما بر الوالدين ففيه من الفوائد الفردية والاجتماعية ما فيه

فهو لعمرى من اكرم الآداب واسماها وهو امر واجب
ولو كانا على غير دين المرء وفي هذا البر ما فيه من التأثير الحسن
والقدوة الصالحة اذ يقتدى الابناء بالآباء في بر الوالدين وكذا
في العفو عن الاخوان والصفح عن زلاتهم ما يديم المحبات
وتستصفي به المودات ويجعل لصاحبه المنزلة الرفيعة عند الله
تعالى ففي الحديث الامر بالتزام العفة لانها تفيدنا وتؤثر في
نسائنا فلا يتطلعن لغير ازواجهن والحث على بر الوالدين
لانه ينتج مثله في ابنائنا اقتداء بنا فيما صنعنا مع آبائنا ثم فيه
الحض على الصفح عن زلات الاخوان وقبول اعذارهم لان
لصاحبه الدرجات الرفيعة والورود على حوض رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع الواردين ونعمت الدرجة ونعمت المنزلة وفي
هذا المعنى يقول عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه
اذا امرؤ من ذنبه جاء تاباً اليك ولم تغفر له فلك الذنب

﴿ الحكمة الثالثة والسبعون ﴾

عَايَكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ وَإِيَّاكُمْ
وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ وَسَلُّوا اللهُ الْيَقِينَ

وَالْمَعَاوَةَ وَلَا تَحَاسِدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ
اللَّهِ إِخْوَانًا

التحلي بالصدق من أعظم ما حث عليه شرعنا الكريم
والإتصاف بالكذب من شر ما نهى عنه ولذلك جاء في الحديث
« اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور
الى النار وما يزال العبد يكذب ويتحري الكذب حتى يكتب
عند الله كذابا » وقال الشاعر

ما أفتح الكذب المذموم صاحبه وأحسن الصدق عند الله والناس
فالتمسك بالصدق وترك الكذب وطب اليقين والمعافاة
وتجنب الحسد والبغض والتقاطع والتدابير ليس اكرم عند الله
منه فعنى الحديث الزموا الصدق فانه من البر وصاحب البر
محبوب وهو يدخل صاحبه الجنة وتجنبوا الكذب لانه من
الفجور والشرير الفاجر يدخل النار واسألوا الله اليقين والمعافية
لانه ليس شيء مما يعمل الآخرة يتاقي الا باليقين وليس شيء
في الدنيا يهنا صاحبه الا مع العافية والامن والصحة وفراغ
القلب من المهوم والا كدار فجمع صلى الله عليه وسلم أمر
الآخرة وما يصلح لها في كلمة وأمر الدنيا وما يصلح لها في كلمة

أخرى ثم قال ولا يحسد بعضكم بعضاً بل كونوا أيها المسلمون
انتم وسائر افراد الهيئة اخواناً متصافين متحابين فان ذلك انفع
لكم واصلاح لدينكم ودينكم

﴿ الحكمة الرابعة والسبعون ﴾

أَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ

محبة الخير لبني الجنس من أفضل ما حثنا عليه الشارع
الحكيم ومن احب خير بني جنسه عاملهم احسن معاملة في
مرافق الحياة لتصفوله الحياة من حيث تبادل الحقوق
والواجبات وآداب السلوك بحيث يكون المرء كما يجب ان ينال
حقوقه قبلهم تنال الهيئة حقوقها قبله عن رضا وارتياح منه ولقد
جاء في حديث آخر زجراً وحثاً على ترك الحسد والتباغض بين
الناس قوله عليه الصلاة والسلام « دب اليم داء الامم قبلكم
الحسد والبغضاء وهي الخالقة خالقة الدين لخالقة الرأس والذي
نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى
تحابوا أفلا انبئكم بشيء اذا فعلتمره تحاببتم افشوا السلام بينكم »
والآحاديث الشريفة والآثار المنيفة في هذا الصدد كثيرة

﴿ الحكمة الخامسة والسبعون ﴾

مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِيْظْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ

حَتَّى يَنْزِعَ

من شر مامنيت به الهيئات الاجتماعية كثرة الخصومات
 والمنازعات والمقاضاة في كثير من الاحوال وقد يكون طريق
 الحق فيها واضحاً ولكن يخترع الخصوم ومحاموهم لها الاشكالات
 والتفريعات ظلماً وعدواناً يقصدون بذلك اغتيال حقوق
 اصحابها واهتضامهم واذاهم ففي هذا الحديث يبين لنا رسولنا
 الامين المأمون ان من استعان في خصوماته بالطرق الظالمة
 والحيل الفاسدة استوجب والعياذ بالله سخط الله حتى يتوب
 من ذلك ويرد المظالم وفي هذا الباب احاديث كثيرة وحكم
 جليلة كلها تحث على ترك الظلم واعانة الظالم وتجنب شهادة الزور
 ونحو ذلك مما يستعين الناس به لهضم حقوق بعضهم بعضاً
 واغتيالها وهي لعمرى من خير ما قيل في تحري العدل
 والانصاف لخير افراد الهيئة وسلامتها مما مرتعه وخيم وعاقبته
 شر وخسر

﴿ الحكمة السادسة والسبعون ﴾

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعِيدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ وَتُقَاتَهُ
فِي قَلْبِهِ وَإِذَا أَرَادَ بَعِيدٍ شَرًّا جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

مما يسعد به المرء في الحياة ان يكون راضياً بحاله قائماً بما له
مفتبطاً بعيشه متقياً ربه خاشعاً له مؤدياً حقه في ذلك العز
ورضا الله تعالى وفي القناعة والتقوى يقول الشاعر

افادتنا القناعة أي عز ولا عز اغز من القناعة
نخذ منها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة

• اما من يقصر همه على التكاثر على الدنيا والحرص عليها
فهذا وان حاز مثل مال قارون عد في الفقراء لحرصه ونهمه في
الدنيا فكان في الحقيقة فقيراً لتعبه وقلقه ولله درابي العتاهية
حيث قال في بعض اشعاره الحكمية

الرفق يبلغ ما لا يبلغ الخرق وقل في الناس من يصفوا لدرنق
لم يقلق المرء عن رشد فيتركه الا دعاه الى ما يكره القلق
متى يفيق حريص دائب ابدآ والحرص داء له تحت الحشا قلق
فغنى هذا الحديث الشريف ان الله اذا اراد بامرئ خيراً

ارضى نفسه واقنع فؤاده واسكن التقوى قلبه والخشية جنانه
 بعكس من سلبه هذه النعمة نعمة القناعة والتقوى فشقي وان
 كثر غناه وافتقر وان عظم ثراه لقلق نفسه واستحكام داء
 الحرص والطمع في حشاه ولقد قال صاحب منظومة الآداب
 فمن لم يقنعه الكفاف فما الى رضا سبيل فاقنع وتقص
 واراد بالتقص هنا الاقتصاد والتزهد قال الشاعر

فاقتصد في كل شيء تحظ بالعقبى وتحفظ
 لا تكن حلوا فتؤكل لا ولا مرا فتلفظ
 واغتم ذا العمر واعلم انه كالدر ملحظ
 فاذا فرط فيه الـ رء لم يحمد ويعكظ^(١)

﴿ الحكمة السابعة والسبعون ﴾

خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ
 لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ

انما وجد الانسان في هذا العالم لينفع أي يعمل الخير
 ويدرا الشر فمن كان بهذه المنزلة لاجرم كان خير الناس بين

(١) في القاموس عكظه بعكظه حبسه وعركه وقهره ورد عليه نخره

الناس بعكس ذلك الذي تكثر في الناس شروره ويطفح
الكأس بطغيانه فلا يأمن الناس بوائقه ولا يرجون تقمه فهو
لعمرى بشر منزلة عند الناس ورب الناس ولقد جاء في حديث
آخر صحيح « ان شبر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من يخاف
الناس شره » والشر ليس قاصراً على الشراسة وسوء الخلق وانما
هو يشمل كل الرذائل المنهي عنها من الغيبة والنميمة واخواتها كما
ان الخير يشمل كل ما يتحلى به المرء في الهيئة من صفات الكمال
والرجولية

﴿ الحكمة الثامنة والسبعون ﴾

حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَالنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

هذا الحديث من أبلغ الأحاديث وادقها حكمة خفية
فاعمال الدين والآداب الانسانية الفاضلة المؤدية الى السعادة
الحقيقية صعبة المرتقى ثقيلة على النفس لما ينازع النفس من
منغرات العالم وزخارفه الظاهرة لاحتوائها على الاهواء
والشهوات فلذلك قال بعض السلف
اهوى هوى الدين واللذات تعجبني
فكيف لي بهوى اللذات والدين

فلا بد من الوقوف بالنفس بارادة قوية عن تلك المغررات
والشهوات فثم الجنة وثم ما يحقق بها من المصائب والمكاره
بمكس ما يؤدي الى النار والعذاب من اتباع الشهوات فانها
للذتها وميل النفوس اليها ورغبتها فيها صارت لعمرك طريقاً الى
النار بل نفاخا تصاد بها النفوس ان وجد المرء لذتها اليوم لقي
منها العذاب الاليم في القدر

ما رب كانت في الشباب لأهلها نعيماً فصارت في المشيب عذاباً
ولقد جاء في حديث آخر « حلوة الدنيا مريرة الآخرة
ومريرة الدنيا حلوة الآخرة »

﴿ الحكمة التاسعة والسبعون ﴾

مَا تَقَصَّتِ الصَّدَقَةُ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ
إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ

خير ابواب البر الصدقة وهي تشمل كثيراً من أعمال البر
والتعاون الانساني وقد وعد الله صاحبها مضاعفة الحسنات
ونيل الاجر والثواب والبركة ونماء المال . والعفو والصفح عن
زلات الناس لا يزيد صاحبه في الحقيقة الا عزاً ومهابة ومحبة

في الناس وكذا التواضع في غير مذلة ، فمعنى الحديث : ان
الصدقة لا تنقص مال المرء بل تزيده ويبارك الله لصاحبها في
ماله ، والعمو كذلك لا يزيد المتحلي به الا عزاً ومحبة له في
النفوس وعلو المنزلة في الهيئة وان التواضع ولين الجانب ليس
فيه منقصة بل هو من دماء الاخلاق التي يرفع الله بها اصحابها
ويزيدهم رفعة عنده تعالى وبين بني الجنس « ومن تواضع لله
رفعه » وسيأتي مزيد بيان في الصدقة وانها خير ابواب البر

﴿ الحكمة المتممة للثمانين ﴾

« الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ
الْوَحْدَةِ وَإِمْلَاءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ
مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ »

يفضل الكثير من العقلاء الوحدة ويحبون العزلة لما فيها
من الراحة والمهنة والتفرغ الى النفس واستكمالها وتجنب جليس
السوء وقد مر مثل الجليس السوء والجليس الصالح وفي هذه
الحكمة يدلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان مجالسة اهل
الخير والصلاح وذوى الاخلاق الفاضلة يفضل الوحدة لان

ما يتحدث به في مجالسهم من المعارف والحكم والطرائف خير
من السكوت الذي ياتزمه عادة صاحب الوحدة اما اذا لم تحو
المجالس غير السفاسف والنقائص كانت العزلة خيراً منها والصمت

فيها لعمرى خيراً من الكلام . والله در المرادوى حيث قال

وفي خلوة الانسان بالعلم انسه ويسلم دين المرء عند التوحيد
ويسلم من قال وقيل ومن اذى جليس ومن واش بغيبض وحسد
فكن جلسيت فهو ستر لعورة وحرز الفتى عن كل عار ومفسد
وخير جليس المرء كتب تفيده علوما وآدابا كعقل مؤيد
وخالط اذا خالطت كل موفق من العالما اهل التقى والتعبد

﴿ الحكمة الحادية والثمانون ﴾

صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَاحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَقُلِ

الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ

التحجب الى الناس والتودد الى الاخوان وذرى الارحام
ما حث عليه الشارع الحكيم لانه من افضل الامور لصالح
الاحوال ومواصلة من يقطع الانسان او يماديه ومقابلة
الاساءات بالاحسان تلك لعمر ك الفضيلة التي يحق لصاحبها
ان يسمي الانسان الكامل والرجل الفاضل ويضارع هذا
المجاهرة بالحق والاعتراف بالخطأ والرجوع الى الصواب فليس

في باب الصدق والحق افضل منه ولا اكل ، فالحديث انما
يرشدنا الى هذه الآداب السامية اى ان نصل من قطعنا لنظهر
كما لنا دونه وان نحسن الى من اساء الينا ترى الناس فضلنا
عليه وان نجاهر بالحق ولو على انفسنا لتمم منزلتنا واقدارنا لان
متبع الحق والراجع اليه عظيما لخطر جليلا القدر بين الناس

﴿ الحكمة الثانية والثمانون ﴾

مَنْ بَاتَ كَلَامًا مِنْ طَابِ الْحَلَالِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ

الاسلام يحث على العمل ويلزم المسلمين السعي في طاب
الرزق والمعاش وبين الحلال والحرام في ذلك كله بما لا يحتاج
الى مزيد بيان ومضى هذا الحديث الشريف من سعي وجد في
طلبه الحلال ورزقه الطيب حتى رجع الى داره في آخر نهاره
تعباً جزاه الله غفران ذنوبه والمعونة في عمله وفيه مزيد حث
على الجهد والنشاط في الاعمال ، ولقد جاء في حديث آخر « ان
من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا
العمرة وانما يكفرها الهم في طلب المعيشة »

﴿ الحكمة الثالثة والثمانون ﴾

لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالَّذِينَ أَوْعَمَلٍ صَالِحٍ

حَسَبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَدِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا

المسلمون متساوون ليس لواحد منهم على الآخر فضل الا بالتقوى والاعمال الصالحة كما قال تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ومعنى هذا الحديث الشريف اى الادب الجليل البادى لنا منه ان لا نخجل لانسان على انسان الا بالتقوى والاعمال الصالحة وكفى الذين يفخرون على الناس ويشمخون بانوفهم متكئين على الغنى او الجاه او الحسب والنسب دون لتحلى بتلك الخلال الكريمة ان يكون من خصال اقدم الصلف والغطرسة والبذاءة او البخل والجبن اى كفى بالمرء اثماً وحرماناً من الخير مها عظم جاهه او نسبه ان يتصف بذلك واما الانصاف بالمحامد من التقوى والاعمال الصالحة فمما يجب التنافس فيه وتم يكون التفاضل بين الناس :

حسب الفتى يتقى الرحمن من شرف وما عبيدك يا دنيا باشراف

﴿ الحكمة الرابعة والثمانون ﴾

خَيْرُ أَبْوَابِ الْبِرِّ الصَّدَقَةُ

الصدقة وما في معناها من اعمال البر والاحسان كاطعام الجائع وكسوة العريان ومداواة المريض واعالة الارملة واليتيم

والمسكين كلهما كما لا يخفى مما حث عليه الدين وجعل الله تعالى
عليها من الثواب ما لا مزيد عليه في الآجل والعاجل لأنها
من أحسن ما تسعد به هيئة وتسلم به من الآفات الاجتماعية
ولأن فيها من التضامن والعطف والبر الانساني وصلة الارحام
وحسن الوثام ما تشاهد آثاره الحسنة في الامم العاملة به
واضدادها في غير العاملة به او التي لا ترتب اعمالها الخيرية على
نظام يناسب احوال الزمان والمكان ونحن لو تأملنا في مثل هذه
الاحوال لرأينا ان أفضل الصدقات في هذا الزمان ما انفق على
الجمعيات الخيرية والملاجي والمستشفيات بشرط أن يكون
العاملون عليها مراعين وجهه الله وروح التضامن الانساني
وحب الخير والشفقة على بني الانسان لا الفخر او الطمع

﴿ الحكمة الخامسة والثمانون ﴾

مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مِنْكَ فَلَا تَفْعَلْهُ بِنَفْسِكَ إِذَا

خَلَوْتَ

كل انسان يحب ان لا يطلع الناس على عيوبه ونقائصه
وكل منا يود ان يظهر امامهم بمظهر الفضل والكمال وان تخفى

عليهم معائبه حتى لا يراها انسان ولا يعلم بها مخلوق مخافة العار
 وخشية السبة بها ، فاذا كان في المرء مثل هذا الاحساس
 وذيا لعم الشعور بخدير به ليكون الكامل على الحقيقة ان يقلع
 عن عيوبه الخفية حتى يكون ما ظهر منه للناس كما بطن من
 حاله لان في هذا الكمال كل الكمال ، ولقد جاء في حديث آخر
 شريف ارشادا لنا الى الدواء الناجع في تهذيب اخلاقنا وتطهير
 اعراقنا قوله صلى الله عليه وسلم « البر حسن الخلق والائم
 ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس » ناهيك ان
 مالا يطلع عليه الناس يطلع عليه الله وهو تعالى اولى بان يخشى
 ويتقى وفي هذا الحديث ابلغ حكمة تهذيب النفس وتطهيرها
 من العيوب والذائل .

﴿ الحكمة السادسة والثمانون ﴾

مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ
 هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ

من الاحوال الاجتماعية الفاسدة اغتيال الحقوق او

ججدها وان يحلف عليها الايمان الكاذبة لا يبالي المرء بذلك ولا

يكثر لسوء عقباه فهذه الحال من شر الاحوال التي منيت
 بها بعض النفوس الخبيثة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم بين
 لنا في هذا الحديث ان من اقدم على حلف اليمين الكاذبة
 ليهتضم بها حقوق الناس غضب الله تعالى عليه يوم يلقاه ومن
 يحلل عليه غضب الله عز وجل فقد خسروا وما ربح لا في الدنيا
 ولا في الآخرة نموذ بالله من شر ذلك .

﴿ الحكمة السابعة والثمانون ﴾

مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ
 خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ

قد يكون لذوى الجاه والثروة في العالم اشباع واتباع
 يتبعون اقوالهم ويتجرون رضاهم في الحق والباطل حتى اذا
 قامت المنازعات والخصومات القضائية ونحوها بينهم وبين سواهم
 مشوا مع اولئك المتبوعين ونصروهم على خصومهم ولو كانوا
 ظالمين غير مدركين بان هذا حرام بل هو كما قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خروج عن الدين وهي عادة تشاهد بمزيد
 الاسف في الارياق فترى اهل القرية يؤيدون هذا العمدة
 وذلك الشيخ او الوجيه على خصومهم في الدعاوى بشهادات

الزور والاقوال الكاذبة مع علمهم في الغالب بما قد يكون فيها
من الباطل والكذب والظلم وانهم في تلك الدعاوى مبطلون
وانه لا قصد من وراء اعمالهم الفاسدة سوى الانتقام او اهتضام
حقوق فقير او ضعيف أو أكل مال يتيم أو أرملة أو اذية انسان
او اهدار دم بريء الى اشباه ذلك فاعانة الظالمين في هذا كله
مع العلم بها وتحققها داخل في هذا الضلال وخروج عن
الاسلام الذي يأمر أهله بالعدل والاحسان وينهى عن التحشاء
والمنكر والبني

﴿ الحكمة الثامنة والثمانون ﴾

مَا مِنْ أَحَدٍ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَا
يَعْدِلُ فِيهِمْ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّارِ
العدل أساس الملك وعتاد كل أمر في الجزئيات والكليات
الاجتماعية بحيث ان من تولى أمراً فال عن جادة هذا العدل
فسد النظام العملي وعراه الخلل وتطرق اليه الفساد وانبنى عليه
من ثم الضرر في الانفس والاموال ولئن نال المسبب لكل
هذا جزاءه الادبي وعقابه الدنيوى فان له فوق ذلك عقاباً
شديداً عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون ، فالحديث يحث

لمعرك كل عامل من عمال الحكومة الاسلامية بان يكون
على العدل الصرف فيما يتولاه من الاعمال وان من ينحرف
عن جادته بالظلم والجور وعدم الاستقامة والمطاباة كانت النار
جزاءه فيكب فيها

﴿ الحكمة التاسعة والثمانون ﴾

إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَابْرَأْ عَلَيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى
أَثْرُهُ عَلَى عَبْدِهِ حَسَنًا وَلَا يُحِبُّ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ

من عادة كثير من البخلاء والحريصين على الدنيا ان لا تشهد
عليهم مظاهر الغنى واليسار ولا حسن اللباس اشجعهم أو عدم
اكثرهم لذلك فالحدث يقول لهؤلاء الناس مادام الله تعالى
قد انعم عليكم بالمال فكلوا والبسوا وتصدقوا لانه عز وجل يحب
ان يرى أثر النعمة على عباده لما فيها من المصاحبة لهم وهو سبحانه
وتعالى كما يكره الاسراف والتبذير يكره كذلك البؤس اى
الخضوع والتذلل على جهة الطمع والتبؤس اى اظهار التحزن
والتخلقن والشكاية للناس شحا وحرصا

﴿ الحكمة المتمة للتسمين ﴾

إِنَّ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ هَذَا الْمَالُ

المال من أفضل النعم التي جعل الله تعالى عليها قوام
الحياة في هذا العالم فلذلك حُب إلى النفوس لما رأت فيه من
قوة لها وحبب إليها أصحابه وعظموا من أجله فمعنى الحديث
الشريف ان شأن أهل الدنيا لمعرفة قيمته المال يرفعون من
كثر ماله وان كان وضعياً ويضعون المقل وان كان رقيقاً وحسبنا
بذلك عظة وحثاً على اقتناء المال من الحلال وصرفه في الحلال
المثمر لتعيش ذوى حسب محبوبين بين الناس بما أحرزت
أيدينا من تلك القوة والله در من قال .

ان قل مالي فلاخل يصاحبني اوزاد مالي فكل الناس خلاني
وهذا لايقدر في القناعة النفسية ولا في مبدأ الاعتدال في
طلب المال

﴿ الحكمة الحادية والتسمون ﴾

إِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانَ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَدَأَ مِنَ
الْجَنَاءِ وَالْجَنَاءَ فِي النَّارِ

منيت هذه الامة ولا سيما في عواصم مدنها الكبيرة
ببذاء السن سوقها ووقاحتهم وجرأتهم في الطرق والاسواق
لنقص التربية وفساد الهيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها فلا

يوقرون كبيراً ولا يرحمون صغيراً ولا يحترمون امرأة حتى عمت
 البلوى وطنحت الكأس بشروهم مع ان ديننا الحنيف ينهى
 عن ذلك كله ويأمر بالتزام الادب والحشمة والوقار وهو المعبر
 عنه بالحياء فوجود هذه الخلال في المرء دليل لعمري على تمكن
 الايمان من قلبه وتحلى نفسه به بعكس البذاء والوقاحة فانه
 دليل التجرد من روجه فالحديث يهدينا في الموضوع الى سواء
 السبيل ويبين لنا ان الحياء فينا دليل على ايماننا وان أصحابه اى
 المتحلين بالادب والحشمة لهم الدرجات العالية في الجنة وان
 البذاء والوقاحة من الحرمان من الدين والجفاء للايمان واهله
 وجزاء صاحبه العذاب بالنار والدياب والله وصفوه القول ان الامة
 لتأثم اذا هي لم تزرع هذه الفضائل في نفوس أبنائها وتلا في
 تلك الاضرار عن نفسها بنفسها

﴿ الحكمة الثانية والتسمون ﴾

مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ أَجْرٌ لَكَ فِي مَوَازِينِكَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ

التخفيف عن الخادم من أحسن الخصال ومعنى ذلك ان
 لا يكافه ما لا يطيق ولا يرهقه في الخدمة وان يحسن أجره

وبره وطعامه ولباسه كما جاء في أحاديث أخرى ومعنى هذا الحديث الشريف : ما خففت وسهلت على خادمك في عمله وخدمته اياك جعله الله تعالى لك أجراً في موازينك وحسناتك يوم القيامة ولقد جاء في حديث آخر « اخوانكم خولكم جعلهم الله قنينة تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكافه ما يقبله فان كلفه ما يقبله فليعنه »

﴿ الحكمة الثالثة والتسمون ﴾

إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي
الْآخِرَةِ وَإِنَّ أَوْلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولاً الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ
اهل المعروف انما يعنى بهم اهل التقوى والبر والاحسان
والمروءة وحسن السلوك في العالم ومعنى الحديث ان أصحاب
هذه الصفات الجليلة هم المجازون بافضل الجزاء عند الله تعالى
في الآخرة المتسمون بتلك السمات وانهم السابقون الى دخول
الجنة والحظوة بنعيمها المقيم قبل سواهم جلالة اقدارهم وعظم
منزلة ما تحلوا به منها في حياتهم

﴿ الحكمة الخامسة والتسعون ﴾

إِذَا سَرَّكَ حَسَنُكَ وَسَاءَ نَكَ سَيِّئُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ

المرء ذو الضمير الحى والوجدان الصحيح والايان الخالص
انما هو الذى تسر سر برته ويرتاح ضميره لما يعمل من الحسنات
ويقوم به من الواجبات واذا ما بدرت منه سيئة فسراع
ما يوبخه ضميره عليها ويؤنبه وجدانه فن كان بهذه الصفة
لا جرم دات نلك الحالة النفسية منه على انه مستكمل الايمان
وسلامة القلب وان وازع نفسه قوى وشعوره الادبي متيقظ
حتى انه يتأثر فيبادر الى اصلاح خطئه والتوبة من زلله كما ارشد
اليه الحديث ويفرح ويسر وينشط اذا قام بالاعمال الصالحات
والاحاديث في اتباع السيئة الحسنة لتمجها وتقلب خصالها على
الانسان كثيرة وفي القرآن المجيد «ان الحسنات يذهبن السيئات»

﴿ الحكمة الخامسة والتسعون ﴾

الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

الايمان هو الاعتقاد القلبي ثم العمل الذى هو فرع له
وهو يشمل عندنا معشر المسلمين الاعتقاد بالله وحده لا شريك

له ثم الاعتقاد بالملائكة والكتب المنزلة على الانبياء ثم الاعتقاد برسالة الانبياء والرسول الذين بهمهم الله مبشرين ومنذرين كنوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ثم الاعتقاد بالبعث والحساب والجنة والنار كما نص عليه القرآن المجيد ثم اعتقاد ان الاشياء كلها في الحقيقة من خير ومن شر بقضاء الله وقدره وهذا الحديث أصل من أصول الدين الحنيف وفيه رد على المعتزلة القائلين بان الانسان انما هو الذي يخلق أفعاله وفي هذه المسألة خلاف كبير بينهم وبين أهل السنة الآخذين بالوسط في الامر «وخير الامور أوسطها»

﴿ الحكمة السادسة والتسمون ﴾

الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

الاسلام هو الامتثال والانقياد لامر الله تعالى وحقيقته الشرعية شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله والقيام بفروض الصلاة والصيام والزكاة والحج عند الاستطاعة كما جاء

في الحديث المشهور « بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلاً » وهذا هو ظاهر الاسلام اما باطنه فاوراء ذلك من المقامات النفسية واستحضار عظمة الله ومشاهدته في كل عمل من الاعمال الظاهرة والباطنة مما عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان كما تراه في هذا الحديث الآتي

﴿ الحكمة السابعة والتسمون ﴾

الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ

ينبغي للمرء المسلم ان يستحضر عظمة الله وعظم سلطانه في خليفته فاذا استحضر المرء ذلك في جميع شؤونه كان كأنه يشاهده عز وجل في كل أمر فالحديث يرشدنا الى ان الاحسان في الايمان هو استحضار مشاهدة الله في كل عبادتنا واعمالنا لانه تعالى معنا في كل أمر وان لم نره عياناً فهو يرانا ويعلم سرنا ونجوانا ولعمري ان من راقب ذلك وادركه بثاقب بصيرته ازداد ايماناً وتقوى وامتلاً ورعاً وخشية .

﴿ الحكمة الثامنة والتسعون ﴾

إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ

حسن الظن بالله من أكرم ما تحلت به النفوس المؤمنة به لانه تعالى عند ظن العبد به وهو عز وجل المتصف بجميع المحامد والرحمة الواسعة فاذا حسن العبد ظنه بالله في كل امر له كان في عبادته تعالى قال العزيزي في شرح هذا الحديث « اي حسن الظن بان يظن ان الله تعالى يرحمه ويعفو عنه من جملة حسن عبادته فهو محبوب مطلوب لكن مع ملاحظة الخوف فيكون باعث الرجاء والخوف في قرن » ولقد جاء في حديث آخر « أنا عند ظن عبدي بي ان خيراً خفير وان شراً فشر » فيجب على المؤمن أن يحسن ظنه دائماً بالله تعالى وان يخشاه

﴿ الحكمة التاسعة والتسعون ﴾

أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ

التضرع الى الله تعالى والابتهاال اليه عز وجل بالدعاء ليس أكرم منه على الله لانه من افضل العباداة اذ العباداة ما شرعت الا للخضوع والخشوع والتوسل اليه تعالى فلها الدعاء ، وللدعاء آداب وشروط من الاخلاص والادب وعدم

الغفلة واستحضار عظمة الله تعالى وعظم شأنه ورحمته والاحاديث في الدعاء وفضله كثيرة وفي احدها (ليس شيء اكرم على من الدعاء) وافضل الدعاء ما كان في الصلاة ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاكثر فيها منه فقال (اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجداً فاكثروا من الدعاء)

﴿ الحكمة المتممة للمائة ﴾

أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَدِّ الزَّكَاةَ وَصُمْ رَمَضَانَ وَحُجَّ الْبَيْتَ
وَاعْتَمِرْ بَرًّا وَالدِّينَكَ وَصَلِ رَحِمَكَ وَأَقْرِ الضَّيْفَ وَأْمُرْ
بِالْمَعْرُوفِ وَإِنِّهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَزَلْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ

كل هذه الفضائل الدينية والاجتماعية التي ضمنها الرسول ،

الأمين صلى الله عليه وسلم هذا الحديث الشريف من خير ما أمرنا به في الاسلام وحثنا عليه أدبه وهي كما تفيد المرء في دينه تفيده في نفسه وهيئته الاجتماعية فمعنى الحديث : أقم الصلاة أى اعطها حقها من تعديل أركانها وحفظها من وقوع ما يخل بافعالها وأقوالها وأد زكاة مالك الى مستحقها أو الى الامام وصم رمضان اذا لم يكن ثم عذر شرعي يجيز لك فطره وحج البيت واعتمر ان توفرت لك شروط الاستطاعة وبر

والديك أي أصليك فانه ليس أفضل من برهما وصل رحمك
 أي قرابتك وان بعدت واقر الضيف النازل بك فتكرمه
 وتطعمه وأمر بالمعروف الذي لا ينكره شرع ولا عرف ولنه
 عن المنكر أي ما خالف ذلك وبان ضرره في الهيئة وزل مع
 الحق حيث زال أي در مع الحق كيف دار وكلاهما كما ترى من
 أجل ما يعلوه به كعب المرء دينياً ودينياً وتصلح به أحواله
 وأحوال هيئته الاجتماعية

﴿ الحكمة الحادية بعد المائة ﴾

سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ
 عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ
 بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ
 فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ
 عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي
 أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا
 حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ

أختم هذه المختارات بهذا الحديث الجامع لشتات

الفضائل الحاث على أجل الخلال ولعمري فان هذه الاوصاف التي تحلى بها هؤلاء السبعة جديرة بان ترفعهم عند الله جل وعز الى الدرجات العلى لانها من اكرم الخلال وأعمها نفعاً في صلاح الدين والدنيا والمراد بالظل على قول بعض العلماء من شراح الحديث الكرامة والكنف والحماية من العذاب وعنى بالامام العادل الخليفة وما في حكمه من الحكم والولاة لان في عدلهم بين الناس أشرف الاعمال المصلحة المنجية وبدأ به للاهمية وعموم النفع الذي يحصل على يديه اذا عدل وثاني أولئك المكرمين عند الله الشاب الذي ينشأ على تقوى الله تعالى وعبادته متلبساً بها مائلاً اليها بفطرته وحسن تربيته وثالثهم ذلك الرجل المعلق قلبه بالمسجد أى الشديد الحب له لتقواه وحبه وأتسه بعبادة ربه في الجماعة وليس مناه دوام الجلوس في المساجد ، الرابع الرجلان المتحابان في الله أى أحب كل واحد منهما صاحبه لا يحبه الا الله لا لغرض دنيوى فاسد فاجتمعا على ذلك واقترقا عليه واستمر هذا شأنهما في محبتهما وصدقاتهما حتى تفرق المجالس بينهما . وخامس هؤلاء المفضلين عند الله تعالى الرجل الذي ملأ الخشوع قلبه والتقوى والايمان الكامل

ما بين حنایاه فاذا خلا بنفسه ذكر الله وتأمل في جلائل نعمه
وتقصيره هو وسواه من البشر في حقه تعالى وما تقابل به تلك
النعم العظيمة من الكفران والزینغ خشع قلبه وفاضت عيناه
بالدموع خشية وتقوى وسادس هؤلاء الرجل العفيف عن
الخنا حتى ان دعته امرأة ذات جمال ومال الى نفسها عف
وامتنع وقال في نفسه « اني أخاف الله رب العالمين » وسابع
السبعة ذلك الذي يجب أن يتصدق بصدقته حبا بوجه الله
لا للرياء ولا السمعة والتتميل له بان لا تعلم شماله ما تنفق يمينه من
أبلغ ما قيل في المعنى . تمت هذه الرسالة والحمد لله تعالى



فهرس لكثير من مواد الكتاب واعلامه

مرتب على حروف المعجم

حرف الالف

الاستئذان في دخول البيوت ١٥٥	ابراهيم واسماعيل ٠٦٧ ابل الابل
الاذى اماطته ١٥٥ الارادة ٢٣	زكاتها ٥٧ ابن تيمية مؤلف ٢٨ و ٣٥
الارادة الانسانية استصلاحها ١٩٧	و ٢٨٦ ابن حزم مؤلف ٣٥ و ٢٠٨
الارادة والاختيار ٢٣٧ و ٢٤٩	ابن خلدون مؤلف ٩٨ و ١١٠ ابن
الاسباب عدم انكارها ٢٧٢	عطاء الله السكندري ٢٥٦ و ٢٩٣
الاستحمام ٤٤ الاستواء معنى الاستواء	ابن مسكويه مؤلف ١٦ و ١٩١ و ٢٠٨
على العرش ٢٠ الاسلام مبني عقيدته	ابو حيان التوحيدي مؤلف ١٤٧
٧ و ٢٨٠ اعتقاد باب ادب الاعتقادات	الاتقان في علوم القرآن كتاب ٩٥
١٧ اغانة الملموف ١٥٦ اقتصاد الاقتصاد	اثبات الصانع ٩ الاجتماع البشري
والتدبير ١٢١ الاقتصاد في الاعتقاد	طبيعته وفضيلته ١٢٣ الاحرام في
كتاب ٣٠ الفة في الدنيا ١٤٢ و ١٤٣	الحج ٦٩ احياء كتاب احياء علوم
الله تعالى وحدانيته ٧ وما بعده الامامة	الدين للغزالي ٣٧ وبعده في مواضع
١٦٢ وفي الصلاة ٥٤ الامانة ٢١٠	كثيرة الآخرة ١٤ و ٩١ اخلاص
الامسك في رمضان ٦٤ الامل معنى	الاخلاص ١٥٢ و ٢١٠ والله تعالى
قصره ٢٧٥ الانسان شرفه ٧٩ قواه	٢٥١ الاخلاق علم الاخلاق ١٩٠
الثلاث ٢٠٠ استعداده ٢٣٦ الامن	(راجع حرف الخاء) ادب الادب
بسط رواقه ١٦٢ الاقطاع للعبادة	بحق الله تعالى ٢٤١ و ٢٤٢ الادراك
فساد قول من طعن به على	العقلي ١٩٤ آذان الآذان ٥٤
الاسلام ١٠٦ اول هو الاول	
والآخر ١٧ ايلام الخلق نظريته ٣٠	

- الايمن بالله وبالرسل ١٤ ضرب مثل له ٢٤١ الايمان والاسلام ٢٤٣ الايمان عمل القلب ٢٤٤
- حرف الباء
- الباعث في الاعمال ٢٤٩ بخارى صحيح البخاري ٤١ و٦٤ البخل ٢١٦ البدن اعضاؤه المسخرة ١٩٣ البناء تركه ١٥٥ البر والشفقة ١٥٣ البر بالمساكين ١٥٦ برهان حدوث العالم ٧٧ البسط التوسط في الانبساط مع الاهل ١٣٧ البشر وطلاقة الوجه ٢١١ البصر السمع والبصر ٢٤ بطانة بطانة السلاطين ١٨٢ بعثه الرسل ٣٢ و٣٣ و١٩٨ بعثه صلى الله عليه وسلم ٣٤ البغض الحب والبغض في الله ١٤٥ بقا بقاء الله تعالى ١٧ البقرزكاة البقر ٥٨ البلاغة علومها ٨٧ و٩٨ البناء صناعة البناء ١١٢ البيت الحرام ٦٧ البيوع ١١٥
- حرف التاء
- تأديب الاولاد ١٣٩ التأنق والتفخل مساويهما ٢٧٤ تجارة
- التجارة ١١٥ وحركتها عند المسلمين قديماً ١١٦ التجسس نجس الاخوان كراهيته ١٤٩ تحكيم التحكيم بين الأزواج فيما يشجر بينهم ١٤٠ التخفيف وترك التكليف ١٥٢ التداوي من الامراض ٢٧٢ تدبير المنزل ١٢٨ تدوين العلوم ٨٦ التراويج صلاتها ٥٣ و٦٥ تربية التربية العصرية ٨٩ تربية البنين والبنات ١٢٨ و١٣٩ التربية اساسها في تهذيب الاخلاق ٢٠٣ التربية النفيسة ١٩٨ و٢٠٦ التربية والتأديب ٢٤٠ ترتيب ترتيب القرآن ٧٣ الترفع والتصون ٢١٢ التسامح الديني ٢٨٧ التسبيح في الصلاة ٤٩ تسلسل الحوادث في الخلق ١٧ تسلسل العلوم ٨٩ التسليم في الصلاة ٥١ التشهد ٤٧ التشخيص ١١٨ التصوف ٩٧ التطوع صلاتها ٥٢ التعاليم والتعلم ٨١ و١١٧ تعليم الزوجة ١٣٩ تفاضل العلوم ٨٤ تفسير علم التفسير ٩٤ تفسير عصري ٩٦ التقايد الوقوف بالعقل عنده

٢٠١ التقوى ٢٤٦ و ٢٤٥ تكليف
 التكليف ٢٩ تكليف مالاخط فيه
 للمرء ٣٠ التلبية في الحج صيغتها ٦٩
 تلاوة آداب تلاوة القرآن ٧١ التهور
 ٢٠٨ و ٢١٨ التمني الكاذب ٢٥٧
 تنازع البقاء ١٠٧ تنزيه الخالق ٢٨٠
 النبوة ٢٠٦ و ٢٥٨ و ٢٦٣ باعتبارها ٢٦٣
 التواضع ٢١٢ التوحيد قبل
 الاسلام ٩ علم التوحيد ٨٨ توحيد
 الاسلام جملة ٢٨٠ التودد ٢٨٨
 التوكل ٢٧٠ تحقيق معناه ٢٧١
 الكمال فيه ٢٧٢ نمرة ٢٠٣ التيمم
 للصلاة ٤٢

حرف التاء

النبات فضيلته ٢١٩ الثرثارون ٢٢٦
 الثروة تسهيل مواردها على الرعية
 ١٦٣

حرف الحيم

الجامع الصغير كتاب ٦٢ وبعد الجبرية
 ورأيهم في الجبر ٢٧ الحين ٢٠٨ و ٢١٨
 الجزء الكسبي الاختياري في
 الانسان ٢٦ الجزء ١٥ و ٢٠٦

الجزع ٢١٩ الجلوس أدب الافساح
 في المجالس ١٥٥ الجماعة صلاة
 الجماعة ٥٤ الجمال الباطني والظاهري
 ٢٠٤ الجمع في الصلاة ٥١ الجمعة ٥١
 الجمعيات الخيرية ١٥٦ الجنازة صلاتها
 وتشديدها ٥٣ و ١٥٨ الجمود ٢٠٢
 الجند أخلاقه وأحواله وفوائده
 ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ٢٩٠ الجندية
 تنظيمها ١٦٩ الجنة ١٥ و ٣٦ الجهة
 الاصطلاح فيها ١٩ الجواب الصحيح
 كتاب ٣٥ الجوار حقوقه ١٥٧
 الجوارح كفها ٦٦ أديها ١٩٩ الجور
 ٢٠٩ الجورم الله ليس بجورم ٢٨
 الجيلاني عبد القادر الجيلاني مؤلف
 ٢٤١ و ٢٦٦

حرف الحاء

حاجة أدب قضاء الحاجة ٤٣ حاجات
 الاخوان قضائها ١٤٨ الحجاج
 الحاجة القرآنية في التوحيد ٧ حال
 شرح الاحوال الذوقية الدينية ٢٥٦
 الحب ٢٦٥ محبة الله تعالى ٢٥١ أنواع
 المحبة ومعناها ٢٥٢ و ٢٥٣ المحبة أعظم

السعادات ٢٥٤ حب الله لعباده ٢٥٤
الحج ٦٧ و ٦٨ و ٢٨٣ الحجاب
الشرعي ١٣٣ الحدادة ١١٣ حدث
طهارة الحدث والحديث ٣٩ حدوث

العالم ١٧ حديث ع- علم الحديث ٨٦

الحركة والسكون بيد الله ٢٦ حرم

المدينة ٧٠ حرية العمل ١٢٠

الحساب ١٥ و ٣٦ علم الحساب ٩٨

الحسبة ١٦٤ الحسد ٢٢٨ حسن

الخلق في معاشره الخلق ١٤٢ و ١٤٣

وبين الازواج ١٣٧ الحشر والنشر ١٥

و ٣٥ و ٩١ الحضارة تأنيقاتها في الصناعة

١٠٨ حضور القلب في الصلاة ٥٤

الحقارة حقارة الشأن ٢٢٣ و ٢٢٤

حقوق الصحبة ١٤٧ الحقوق

والفصاحات ١٦٤ الحكم رسالة الحكم

النبوية ٢٩٥ الحكمة والموعظة الحسنة

هي العلم ٨١ الحكمة ٢٠٨ و ٢٣١

الحكومة باب أدب الحكومة ١٥٩

ومحورها الذي تدور عليه ١٦٠ و ٢٨٨

الحلف الكاذب قبحها ٢٢٠ الحلم ٢١٤

الحمد والشكر ٢٦٠ الحواس الناهرة

والباطنة ١٩٣ و ١٩٤ الحياة ٢٣٠

الحياة الابدية ١٥ حياة الله تعالى ٢٣

الحيوان ادراكه ١١٤ الشفقة عليه

١٥٦

حرف الخاء

خالق العالم لا بد له من خالق ١٦

خبت طهارة الخبت ٣٩ و ٤٣ الخبت

والغيلة ٢١٧ الختان ختان الاولاد

٤٤ و ١٣٩ الخدم المتبادلة ١١٧

الخراج ٥٦ و ١١١ الخرشني مؤلف

١٣١ الخرق والوقاحه ٢٣٠ الخروج

على السلطان شره ١٨٧ الخسوف

والكسوف صلاتهما ٥٣ الخشوع في

الصلاة ٥٤ خطبة خطبة الجمعة ٥١

والعيدين ٥٣ خطبة الزواج ١٣٢

خلاصة ٢٨٠ الخلافة ١٦٢ الخليفة

١٧٧ و ٢٨٩ خلق خلق الانسان

١٠ و ١٢ خلق السموات والارض

١١ و ١٢ وأفعال العباد ٢٦ الخلق

تعريفه ٢٠٤ حسنه وقيجه ٢٠٥

قابليته للتغيير ٢٣٥ الاخلاق الفاضلة

تحريرها ٢٠٧ كيف تتكون وتصير

معهم ١٤١ و ٢٨٧

حرف الراء

الراحة راحة النفس وهناؤها
بالرواج ١٢٧ الرازي مؤلف ٣٧
و ٦٨ الراغب الاصفهاني مؤلف ١٠٤
و ٢٠٩ الرجاء والخوف ٢٥٦ الرحمة
٢١٥ الرذائل ٢٣٢ الرسالة ٣٢
الرسل الايمان بالرسل ١٤ و ٢٨١
الرسل أطباء النفوس ٣٣ الرسل
٩١ الرشوة ١٦٦ الرعية وجوب
رعايتها واكتساب قلوبها ١٨٨
و ٢٨٩ الركاز زكاته ٦٠ رمضان شهر
رمضان ٦٤ و ٦٥ و ٢٨٣ الركوع ٤٦
رهبانية . لا رهبانية في الاسلام
١٢٦ الرؤية . رؤية الله تعالى ٢١
الروح ١٩٠ رياضة . رياضة النفس
٢٣٤ الرياضيات ٨٧ و ٩٨

حرف الزاي

الزراعة والمزارعة ١١١ الزرع
زكاته ٥٩ الزكاة زكاة الاموال
٥٥ و ٢٨٢ زكاة الفطر ٦٦ الزنى
حد ١٩٢ زناتي الشيخ زناتي مؤلف

ملكات ووجوب تهذيبها ٢٣٨ الحمر
حد ١٩٢ الخوف ٢٥٨ خوف
العارفين ٢٥٩ الخيانة ٢١١ الخير
ارشاد اليه الاسلام ٢٣٧ الخير المودع
في الانسان ١٩٧

حرف الدال

دردير الشيخ الدردير مؤلف ٤١
الدرهم والدينار ١٢٠ الدستور ١٦١
و ١٧٦ الدعاء ٧٧ الدعاء ٢٢٤ دلائل
الوحدانية من عالم الحس ٩ الدماغ
حال وظيفتها ١٩٤ الدنيا ليست
بدار خلد ١٤ الدهلوي مؤلف ٥٥
الديمقراطية الاسلامية ١٧٧ دين
الاسلام دين الفطرة ٩ الاديان
السماوية قبل الاسلام ٨

حرف الذال

ذات البين اصلاحها ١٤٠
الذريعة الى مكارم الشريعة كتاب
١٠٦ و ٢٠٩ ذكر ذكر الله ٧٥
الذنوب والرذائل وشؤمها ٢٠٥
آثارها اللاحقة ٢٠٦ افسادها
الاحوال ٢٣١ ذوى القربى الادب

٦١ الزهد ٢٧٤ تحقيق معناه ٢٧٥
فضله ٢٧٦ أعلى درجاته ٢٧٦ الزواج
١٢٥ كراهية الزواج لعدم القدرة
١٢٠ آداب الزواج وأركانه ١٣١
الزوج والزوجة الخصال التي تتحرى
فيهما ١٣٢ الزور شهادة الزور فبجها
٢٢٠ زيارة قبر المصطفى صلى الله
عليه وسلم ٧٠

حرف السين

سبب ٠ الأسباب لانسكر في
التمسك بها وملاستها ٢٥٧ و ٢٧٢
الستر في الصلاة ٥١ السجود ٤٧
سجود التلاوة ٧٣ سجود السهو
٥١ السخاء ٢١٦ السخافة والدناءة
٢١٢ السر الاطلاع على اسرار
الناس ١٥٥ السر كتمانها ٢٢٥ السرف
والتبذير ٢٢٢ السرقة التنوية عن
حدها ١٩٢ السفه ٢١٤ السفية
الحجر عليه ١٢١ السعادة سعادة
الدارين ٢٣٢ سعادة الخلق في جودة
الحكومة ١٦١ السعاية ثؤمها ٢٢٠
السمي في الحج ٦٩ السمي وعون الله

٢٧٣ السلطان ظل الله في الارض
١٦٠ و ١٨٩ آدابه ١٧٧ و ١٧٩
و ٢٨٩ السلطان احترامه في شخصه
١٨٧ السلم مبدؤه اسلاميا ١٧٠
السلام افشاؤه ١٥٣ و ١٥٥ سلامة
النية ٢١٧ السماء خالق السموات
١٠ رفع الايدي الى السماء في الدعاء
٢٠ السمع والبصر ٢٤ السمعيات
٣٥ السهروردي مؤلف ٢٤٥
السوق الاسواق شرورها ١٦٥
سنوية كتاب ٩٠ السيوطي جلال
الدين مؤلف ٦٢

حرف الشين

الشافي الامام مؤلف ١٣ الشجاعة
٢٠٨ و ٢١٨ الشحاذون ٦٣ الشرح
الصغير كتاب ٦١ الشرطة ١٦٤
الشرك النهي عنه ٨ الشرك الخفي
٢٧١ الشركة ١١٥ الشره ٢٠٨
الشرور وأمراضها ٢٣٣ الشعر ٨٧
و ٩٨ الشفاء كتاب ٣٥ الشفاعة أصلها
وحكمتها ١٥٧ الشفقة ٢١٦ الشكر
لله ٢٦٧ مقامه ٢٦٨ شكر المنعم

﴿ حرف الطاء ﴾

الطاعة ضرورتها ١٨٣ و ٢٨٩
 الطاعة ما استدفعت النعمة بأحسن
 من طاعة الله ٢٠٦ الطب صناعة
 الطب ٨٤ و ١١٧ الطباعة ١١٥
 الطبري مؤلف ٦٨ الطبيعيات ٨٤
 الطرطوشي مؤلف ١٧١ و ١٧٩
 و ١٨٥ الطعام تناوله مع الامل ١٣٨
 الطلاق ١٤٠ الطمع والشره ٢٢٥
 الطهارة ٣٩ و ٢٨١ الطواف السعي
 والطواف في الحج ٦٩

﴿ حرف الظاء ﴾

الظلم شؤمه ١٦٣ و ١٦٦ و ٢٢١
 الظهر صلاة الظهر ٤٦

﴿ حرف العين ﴾

العالم نظام العالم دليل الصانع ١٥
 و ٢٨٠ العبادة عبادة الله تعالى ٣٨
 و ٢٨٠ عبد الله جمال الدين مؤلف
 ١٦٦ العبوس ٢١١ العدالة ٢٠٨
 و ٢٢١ العداوة والنباغض ٢٢٧
 العدل قيام العالم به ١٦٠ و ٢٨٩
 العدل بين الزوجات ١٤١ العدلية

واجب ٢٦٩ شكر الناس ٢٧٠
 الشهوات ١٩٤ الشورى مبدؤها
 اسلامياً ١٦١ و ١٧٦ و ٢٨٩
 الشيطان مداخلة ١٩١ الشيرازي
 مؤلف ٢٠٨

﴿ حرف الصاد ﴾

الصانع تعالى ١٦ الصبح صلاته
 ٤٦ الصبر ٣١٩ و ٢١٩ و ٢٦٦ الصحبة
 والصدقة ١٤٤ حجة الاخيار
 ١٤٥ الصدق ٢٢٠ الصدقة صدقة
 التطوع ٦١ و ١٥٦ الصراط حق
 ٣٦ الصفا والمروة ٦٩ صفات الله
 تعالى ٢٢ و ٢٥ صغر الهمة ٢٢٤
 صغر العلم في الصغر ٨٢ الصلاة ٤٥
 ٢٨٢ الصلاة على النبي ٧٨ الصنائع
 والحرف ١٠٨ الى ١١٨ الصيام
 فرضه ٦٤ و ٢٨٣ الصيدلة فن
 الصيدلة ١١٨

﴿ حرف الضاد ﴾

الضيافة ما يراعى فيها بين
 الاخوان ١٥٢

الامور العدلية ١٦٣ العدة كراهيه
الخطبة في حال العدة ١٣٢ العذاب
بالبلاغ ٣١ عذاب القبر ٣٦ العرب
جيلهم الذي هداه الاسلام ٢٣٨
عربي محيي الدين بن العربي مؤلف
٢٠٨ و ٢٤٠ العرش معنى الاستواء
عليه ٢٠ العرض الله ليس بعرض
١٨ العرض صيانة الاعراض و حمايتها
١٥٦ العسر الافراج عن المعسر
١٥٦ العسكريه ١٧١ العشرة ١٣٦
٢٨٧ عصيان شره ١٨٥ العفو
عن هفوات الاصدقاء ١٥١ العقل
البشري المكلف ٢٧ قبوله للتهديب
٢٠٢ سلطانه الحاكم ٢٠١ العقل
عمله ١٩٥ هدايته بالكتاب والسنة
٢٠٢ العقوبات الشرعية والقدرية
١٩٢ و ٢٠٦ الاعتكاف في المساجد
في رمضان ٦٦ علم علم الله تعالى
٢٢ العلم ادبه ٧٩ و ٢٨٥ العلم
الذي هو فرض عين ٨٥ فضل
العلم والعلماء ٨٠ العلوم الآلية ٩٨
تسلسل العلوم ٨٩ فضل التعاليم

والتعلم ٨٠ العلوم الكلية الضرورية
١٩٦ العمارة فن العمارة ١١٢
العمرة ٦٩ عمال الحكومة ١٦٥
١٦٩٠ و ٢٨٩ عمل أدب العمل ١٠٠
العمل في المعاش وادبه ١٠٢ و ١١٩
و ٢٨٦ العمل بالعلم ٨٣ عمل الباطن
روح عمل الظاهر ٢٤٧ عون الله
تعالى ٢٧٠ عيادة عيادة المرضى
١٤٨ العيدان صلاتهما ٥٣ عياض
القاضي عياض مؤلف ٣٥

حرف الغين

القدر والتكبر ٢٢٩ الغزالي
مؤلف ٣٧ و ٤٥ و ٦٧ و بعد الغزل
صناعة الغزل والحياكة ١١٤ الغسل
٤١ الغضب ١٩٤ غفران الذنوب
٢٥٧ الاستغفار ٢٦٥ الغناء
والموسيقى ١١٨ الغنم زكاتها ٥٨
الغيبة شرها ٢٢٠ الغيرة ١٣٨

حرف الفاء

الفجر ٥٣ الفجور والشهوات
٢٢٢ الفخرى مؤلف ١٧٩ و ١٨٤
الفضائل تحصيلها ٢٠٧ و ٢٣٢ الفطر

عيد الفطر وصلاته ٥٣ الفطر زكاته
 ٦١ الفطرة الاسلام دين الفطرة ٢٨١
 الفطور في رمضان ٦٦ لوازم الافطار
 ٦٥ فعل افعال الله تعالى ٢٦ افعال
 العباد ٢٦ فقه ٩٢ العلوم الفقهية ٨٦
 الفقه الاكبر رسالة للشافعي ١٣ الفكر
 حرية الفكر ٢١٩ التفكير في العالم
 الكوني ٢٧٧ الفكر في الاحوال
 النفسية ٢٧٧ ثمرة الفكر ٢٧٨ و ٢٩١
 الفلاحة ١١١ الفلسفة ٨٧ الفلك عامه
 ٨٧ الفوز الاصغر كتاب ١٦ الفوضى
 لا يصلح الناس فوضى ١٦٠ و ١٨٥
 ١٨٨ و

• ﴿ حرف الكاف ﴾ •

الكبر العلم في الكبر ٨٣ الكبر
 والغطرسة ٢١٣ كتاب الكتب
 السماوية ١٦ وكتب عصرية ٩٣
 الكذب قبحه ٢٢٠ الكرسي وسع
 كرسية السموات والارض ٢٠ كذب
 كسب العيش وآدابه والمال ١٢٠ كسر
 الشهوة ١٢٧ الكسل والحوال ٢٢٤
 الكسوف والحسوف صلاتهما ٥٣
 الكعبة ٢٠ و ٦٧ الكفاءة كفاءة

﴿ حرف القاف ﴾

قاسم قاسم امين بك مؤلف ١٣٤
 القبر سؤاله ٣٥ و ٣٦ قبر النبي صلى
 الله عليه وسلم زيارته ٧٠ القبلة ٢٠
 القتل حده ١٩٢ القديح قبحه ١٤٨
 القدرة ٢٢ القدم قدم الصانع ١٧
 القراءات المشهورة ٧٤ القرآن
 ١٦ و ٧٠ و ٢٨٤ القسوة ٢١٥
 القشيري مؤلف ٢٤٥ القصاص

العمال ١٦٥ كف الجوارح ٦٦
كفار ١٥ كفارة الصيام ٦٥ الكلام
٢٥ العلوم الكلامية ٨٦ الكون ١٥
الاكوان ٢٩٢

حرف الميم

المال حق الصاحب فيه ١٤٥ وكسبه
١٢٢ مبادئ مبادئ العلوم اللازمة
٩٩ المبادئ الصحيحة وجوب
التوقيف عليها ٢٤٩ مجاهدة مجاهدة
النفس ٢٣٣ المحاضرة والمسامرة
بين الاخوان ١٥٠ المحاسبة والمراقبة
٢٦٠ المحامد اكتسابها ٢٣٢ المحبة
والمودة ٢٢٦ محمد صلى الله عليه
وسلم ١٦ و٣٤٠ محمد عبده مؤلف ١
و٩٦ و٩٦ محمد المغربي الصوفي ٢١
محي الدين بن العربي مؤلف ٢٠٨
و٢٤٥ مخالفة مخالفة تعالى للحوادث
١٧ المدارس الصرف عليها ٦٣ تأسيسها
قديمًا ١٧٢ المداعبة والملاعبة بين
الزوجين ١٣٦ المدن غوغاؤها ٢٣٠
المدينة ٦٧ و٧٠ المرء ١٥٠ المرأة
الصالحة ١٢٩ و١٣٤ المروءة ٢٨٧

المريض أطعامه مايشتهي ١٥٦ المزاح
١٤٩ و١٥٤ مساجد المساجد الصرف
عليها ٦٤ المساواة ١٨٧ المستشفيات
٦٤ مسلم الامام مسلم مؤلف ٤١
مصرف الزكاة ٦٠ المضاربة الشرعية
١١٥ المضغة من القاب اذا صلحت
صلح ١٩٨ المظالم والمغارم ١٦٣
المعاشره باب أديها ١٢٣ و١٥٣ و٢٨٧
المعاصي ١٩٥ المعاملات آديها ١٥٣
معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآنية
٤٣ معرفة الله واجبة بالانجاء ٣٢
المعروف الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ١٦٤ المعتزلة آراؤهم في الافعال
٢٧ المعية معية الله تعالى ٢١ مغرب
المغرب صلاتها ٤٦ مكارم الاخلاق في
الهيئة ١٤٣ المكايسة في المعاملة ١١٦
مكة ٦٢ و٦٩ مكروهات الصلاة ٥١
الملكية حق الملكية ١٠٤ و١١١ الملوك
صفاتهم وأخلاقهم ١٧٧ الملهوف اغانة
الملهوف ١٥٣ و١٥٦ مناسك الحج
٦٩ المنافسة ٢٢٧ مندوبات الصلاة
٤٨ المنطق علم المنطق ٨٧ المنكر ازالة

المنكر ١٥٤ المون الانسانية ١٠٤
المهور ما يستحب فيها ١٣٥ المواثيق
والفرائض ١١٩ الموت الايمان بما
بعده ١٥ الموسيقى والغناء ١١٨
الميزان حق ٣٦

حرف النون

النار الجنة والنار ٣٦ و ١٥ نبوة
نبوة الانبياء ١٦ النجاح ٢٣٥ و ٢٣٦
النجارة صناعة النجارة ١١٣
النحو لاصرف ٨٧ و ٩٨ النساء
أحوالهن الراهنة ١٣٣ مراعاة
الادب في مخاطبتهن ١٥٦ نشاط
التنشط في السعي بسبب العائلة ١٢٩
النشر الحشر والنشر ٩١ و ١٥ نصح
نصح الاخوان ١٤٥ و ١٤٩ النصفة
بين الاخوان ١٤٩ النظافة

حرف الهاء

هاجر السيدة هاجر ٦٧ الهدية
اتجال اسمها ١٦٧ الهرج هرج الرعية
شؤمه ١٨٦ الهيئة الاجتماعية ادب
العشرة فيها ١٤٢ الهيئة علم الهيئة ٨٧
حرف الواو
واجبات الصيام ٦٥ الوتر ٥٣
الوجدان عمله ١٩٠ و ١٩٥ وجوه

٢٨١ و ٤٣ و ٣٩ النظام نظام العالم
دليل الصانع ١٥ قيام العام بالنظام
١٥٩ و ١٦٠ نظرية حدوث العالم
١٥ النعم زكاتها ٥٧ نعم الله تعالى
المتواصلة ٢٦٧ النفس ادب النفس
١٤٣ و ١٨٩ و ٢٠٠ ومع الله ٢٤١ علم

المخالق تعالى ١٣ الوجدانية ٧ الوحي
 ٢٥ الوراقة صناعتها ١١٥ الوزير آدابه
 ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ٢٨٩
 بحقهم ٢٧٢

﴿ حرف الباء ﴾

الوشاية شرها ٢٢٠ الوصاية على
 القصر آدابها ٢١١ الوضوء ٤٠٠ الوفاء
 الاخوان ١٥٢ و ٢٢٩ الوقاحة
 قبحها ٢٣١ الوقار ٢٣٠ وقت أوقات
 الصلاة ٤٦ الوقف ٦٢ و ٢١١

يثرب المدينة ٦٧ و ٧٠ يحيى أبو زكريا
 يحيى بن عدي مؤلف ٢٠٨ اليمين
 الكاذبة قبحها ٢٢٠

﴿ تمت ﴾

وكالة ٢١١ ولد ايجاد الولد ١٢٥
 ولد تربية الولد ١٣٩ والودون



فهرس

صفحة

٣ رفع الكتاب الى كريم الاعتاب

٤ مقدمة الطبعة الثانية

٥ مقدمة الكتاب

﴿ الباب الاول ﴾

(أدب الاعتقاد)

مبنى الاسلام على التوحيد - توحيد العرب قبل الاسلام -
 دلائل الكون المنصوبة للعقل الدالة على الصانع - الايمان بالرسول
 والملائكة - الايمان بما بعد الموت - تفصيل مجمل - نظام
 العالم دليل الصانع - نظرية حدوث العالم - هو الاول والآخر
 - تعالى ان يكون جوهرأ متخيلاً - نفي الجسمية والعرضية -
 نفي الاختصاص بجهة - معنى الاستواء على العرش الرؤية -
 المعية - الصفات - القدرة - العلم الحية - الارادة - السمع
 والبصر - الكلام - قدم الصفات - افعال الله تعالى - الجزء
 الكسبي الاختياري للانسان - نظرية تكليف بالاطاق - نظرية
 ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق - معرفة الله تعالى
 واجبة بإيجاب الله - بعنة الرسل - بعنة سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم - الحشر والنشر - سؤال الملكين - عذاب
 القبر - الميزان والصراط حق - الجنة والنار

٧

﴿ الباب الثاني ﴾

(أدب العبادات)

العبادة - الطهارة - أقسام الطهارة - الوضوء - الغسل -
 التيمم - طهارة الثوب واجزاء البدن - النظافة من الايمان -
 الصلاة عماد الدين - خمس صلوات كتبهن الله - عدد الركعات
 وأوقات الصلوات - اركان الصلاة - المندوبات - تسبيح الركوع
 وتسبيح السجود - القنوت - مكروهات الصلاة - فريضة الجمعة
 - النوافل - الآذان والجماعة - روح الصلاة - فرض زكاة
 الاموال - على من تجب الزكاة ومقدارها - مقدار زكاة النعم -
 زكاة الزرع - لمن تصرف الزكاة - زكاة الفطر - الاوقاف والحبوس -
 الصوم وفضله - لوازم الافطار - سنن الصيام - آدابه الجميلة -
 ذكرى البيت الحرام - أركان الحج - فضل الحج - زيارة قبر
 النبي صلى الله عليه وسلم - القرآن المجيد - أدب تلاوته -
 الذكر والدعاء والصلاة على النبي صلعم

٣٨

﴿ الباب الثالث ﴾

(أدب العلم)

شرف الانسان - فضل العلم - فضل التعليم والتعلم - العلم في
 الصغر - تفاضل العلوم - ابتداء امر العلم في الاسلام - العلوم
 التي اشتغل بها المسلمون - المقدار اللازم من العلم الذي هو فرض
 عين - أدب التوحيد - الفقه - علم التفسير - علم الادب - العلوم
 الآلية - ما يلزمنا الآن معاشر المسلمين بالنظر الى الجمهور

٧٩

﴿ الباب الرابع ﴾

(أدب العمل)

شرف وظيفة الانسان - فضل السعي في الدنيا - الخلق مسخرون
 في أعمالهم بصفة مخبرين - مبدأ الصناعة البشرية - حكمة الصناعة
 في الاسلام - الحث على اتقان الصنائع - امهات الصنائع - الفلاحة -
 صناعة البناء وفن العمارة - التجارة والحدادة - الوراقة -
 حرفة التجارة - صناعة النقل - الخدم - صناعة التعليم - الطب
 ١٠٠ - الغناء والموسيقى - جمع المال من حلال

﴿ الباب الخامس ﴾

(أدب المعاشرة)

الانسان مدني بالطبع - أصل الاجتماع بحسب المبدأ الاسلامي -
 الزواج - فوائد الزواج - التربية كراهة الزوج بغير قدرة بأكثر
 من واحدة - لزومه في الجمهور - اركان الزواج - آداب الزواج -
 الخصال التي تحرى في الزواج - أدب العشرة بين الزوجين -
 تدبير المنزل - الادب بحق الوالدين - أدب المعاشرة مع الاخوان
 وعموم الهيئة - حسن الخلق - الصداقة - اختيار الاصدقاء -
 ١٢٣ حقوق الصحبة - حقوق وآداب الهيئة الاجتماعية - حقوق الجوار

﴿ الباب السادس ﴾

(أدب الحكومة)

النظام الطبيعي - العدل أساس الملك - الاصول اللازمة من
الحكومة - الحكومة النيابية في الاسلام - بسط رواق الامن -
العدل وضبط أحوال الرعية - ضرورة انتقاء العمال بالكفاءة
- الرشوة علة فساد الشرق قديماً - تنظيم الجنديّة من أهم دعائم
الملك - ولاية القيادة على الجند - مهمة الدولة بحق العلم - لضمان
سير الامور - آداب الملوك الخصوصيّة - شأن الوزير - آداب
الوزير - اختيار العمال - حاشية الملوك ومة ابلاتهم - طاعة
السلطان - احترام السلطان في شخصه ١٥٩

﴿ الباب السابع ﴾

(أدب النفس)

نفس الانسان المخاطبة - النفس والقلب والروح - الشرور
ومداخلها - جنود النفس وأعوانها - فرق ادراكات الانسان
والحيوان - استصلاح الارادة أهمية تربية الوجدان - تقسيم
أدب النفس ١٨٩

﴿ القسم الاول ﴾

(أدب النفس مع الخلق)

قوى النفس الحيوانية والممتازة - العقل الرشيد وسلطانه في
 الدفع - مصادر أدب النفس والعقل - الاخلاق وتهذيبها - التربية
 النفسية - شؤم الذنوب والرزائل - آثار الذنوب اللاحقة -
 أمهات الفضائل واطرافها من الرذائل - عدة من الفضائل .
 الاخلاص - اداء الامانة - البشر - الترفع - التواضع - الحلم
 الرحمة - السخاء - سلامة النية - الشجاعة - الصبر - الصدق
 - القناعة - كتمان السر - المحبة والود - المنافسة - الوفاء -
 الوقار - جملة الاخلاق الفاضلة ومحاسنها - استئصال الرذائل -
 ٢٠٠ رياضة النفس - هل يمكن تعبير الخلق - مطية النفس

﴿ القسم الثاني ﴾

(أدب النفس مع الخالق)

الادب بحق الله تعالى - املاء القلوب من عظمة الله - الاسلام
 والايمان - حال النفس المستكملة المعتمنة - التقوى - رماع الخير -
 الاخلاص وصدق النية - تعريف النية - الاخلاص الحق -
 المحبة لله تعالى - مقامات واحوال النفس - الاخرى - الرجاء
 والخوف - محاسبة النفس ومراقبتها - التوبة - الصبر - الشكر - التوكل

٢٤١ الزهد . التفكير

﴿ الباب الثامن ﴾

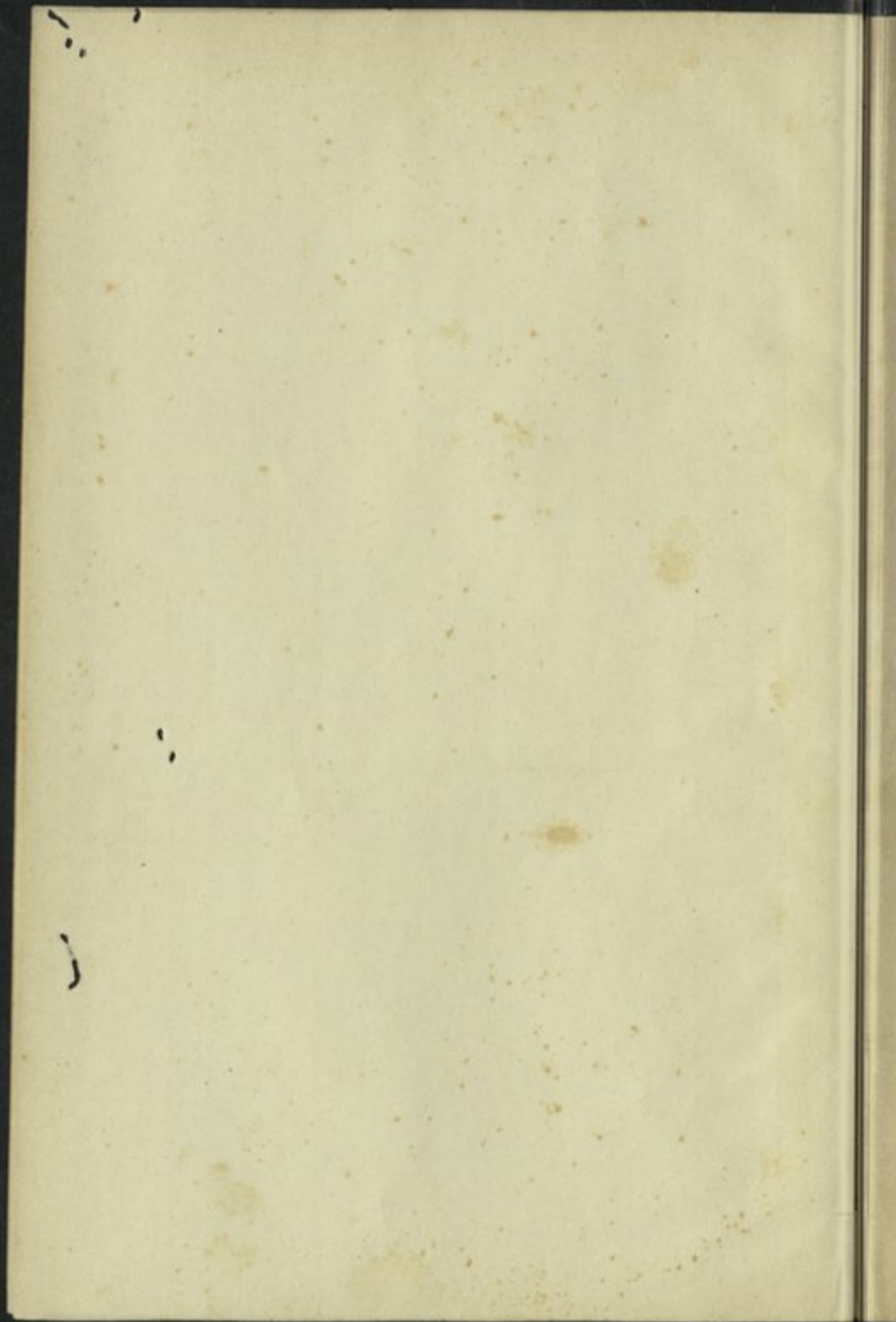
(خلاصة)

- مباديء الاسلام في التوحيد والاعتقادات - الطهارة والصلاة
 الزكاة الصيام - الحج - القرآن - العلم - العمل - شأن الحكومة
 ٢٨٠ النفس وادابها مع الخلق ومع الخالق
 ٢٩٥ رسالة الحكم النبوية
 ٤٠١ فهرست على حروف المعجم

(تمت الفهرست)

(تنبيه) وقع بعض خطأ مطبعي في هذا الكتاب
 نرجو القارئ فيه المذرة





الكتاب الثاني

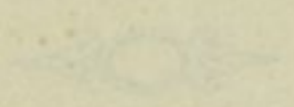
الجزء الأول

سافر الأديب في نحو من السنين
 إلى بلاد الهند في سنة ١٠٠٠
 من الهجرة وأقام بها نحو
 من السنين ثم عاد إلى
 بلاده في سنة ١٠٠٠

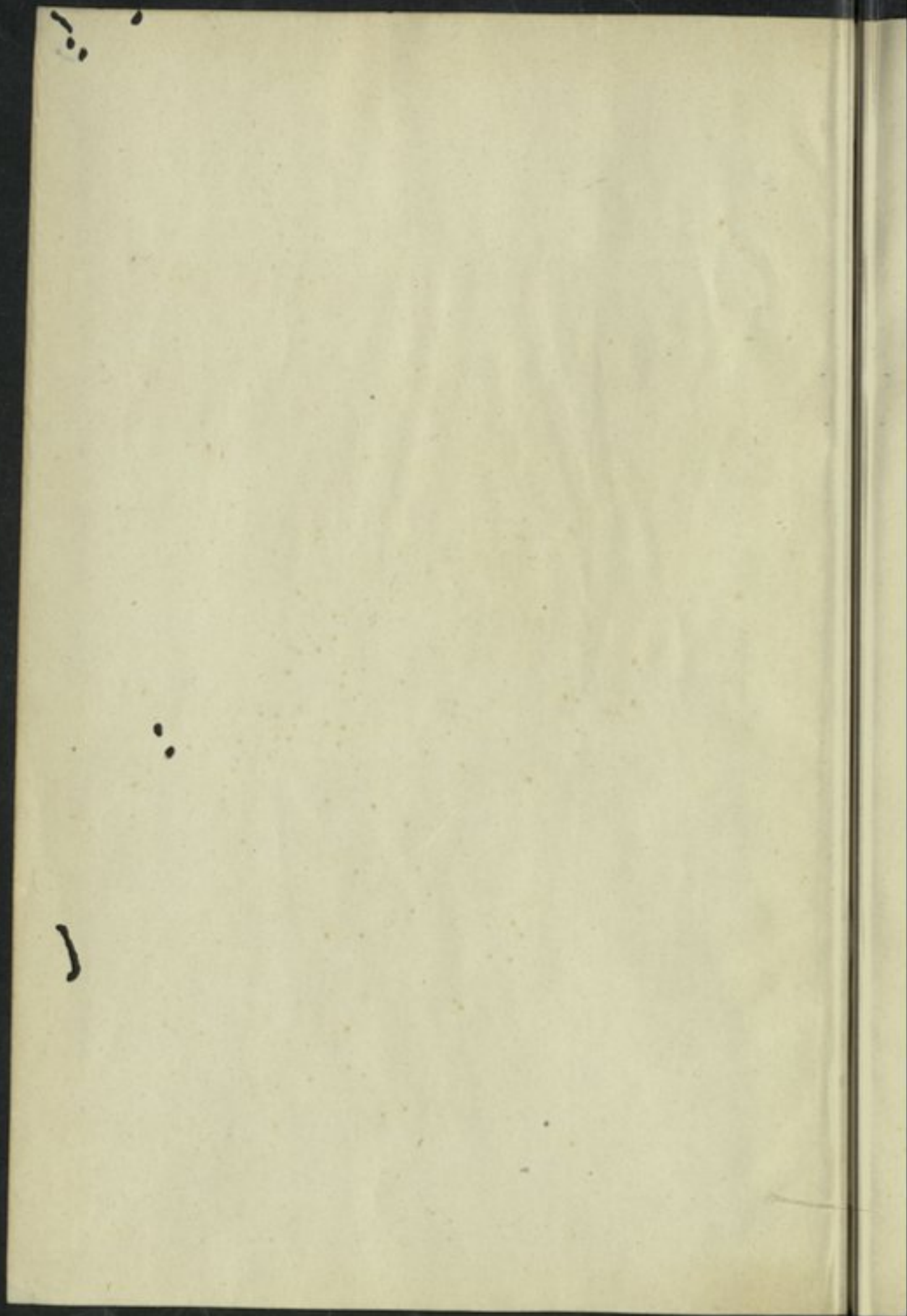
(تمت)

(تمت)

في سنة ١٠٠٠



١



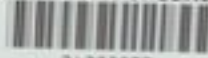
5

297.41:H22aA:c.1

حماد، صالح حمدي

ادب الاسلام، ويلييه رسالة الحكم النبوي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01008957

American University of Beirut



297.41

H22aA

General Library

